الندوة الدولية لحرب أكتوبر ٧٣

القاهرة

٢٧ - ٣١ اكتوبر ١٩٧٥

القطاع العسكري

المجلد الأول

الندوة الدولية لحرب أكتوبر ١٩٧٣

التى عقدت بجامعـة القاهـرة

المدة من ٢٧ — ٣١ أكتوبر ١٩٧٥

القطاع العسكرى

المجلـد الاول

ادارة المطبوعات والنشر
للقـوات المسلحه
١٩٧٦

فهرست

القطاع العسكرى

الموضوع	رقم الصفحة
الباب الأول :	
الكلمات الافتتاحية والكلمة الختامية للندوة .	
كلمات الافتتاح	
كلمة السيد حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية	١
كلمة الدكتور صوفى أبو طالب رئيس جامعة القاهرة ورئيس الندوة	٣
كلمة الختام :	
كلمة الدكتور محمد حافظ غانم نائب رئيس الوزراء ووزير التعليم العالى مندوباً عن السيد نائب رئيس الجمهورية	٧
الباب الثانى :	
التقرير النهائى للقطاع العسكرى	٩
الباب الثالث :	
البحوث العسكرية :	
الاستراتيجية العسكرية لحرب أكتوبر ١٩٧٣	
فريق أول ـ محمد الجمسى	٢٣
تحليل عسكرى لحرب أكتوبر	
الكولونيل تريفورن . ديبوى	٣٥
استراتيجية حرب أكتوبر ونتائجها على الاستراتيجية الدولية	
الجنرال ج . بوى	٦٢
الاستراتيجية العسكرية لحرب أكتوبر وأثرها على الاستراتيجية العالمية	
ميجور جنرال فارار هوكلى	٦٦

الموضوع	رقم الصفحة
دور الدفاع الجوى المصرى فى حرب أكتوبر ١٩٧٣	
فريق محمد على فهمى	٧٢
الصواريخ المضادة للدبابات والطائرات	
الليفتنانت جنرال ستيج لوفجرين	٨٠
دور القوات البحرية فى حرب أكتوبر ١٩٧٣	
فريق فؤاد أبوذكرى	٩٢
الأصداء الاستراتيجية لحرب أكتوبر ١٩٧٣	
بريجادير جنرال كينيث هنت	١٠٠
دور القوات الجوية فى عمليات أكتوبر ١٩٧٣	
اللواء طيار محمود شاكر عبدالمنعم	١٠٨
الآثار العسكرية لحرب أكتوبر ١٩٧٣ على الوضع الاستراتيجى فى أوروبا	
الجنرال البرت ميرجلين	١١٧
الدروس العسكرية المستفادة من حرب أكتوبر ١٩٧٣	
الجنرال البرت ميرجلين	١٢٥
نظرية الأمن الإسرائيلية	
لواء إبراهيم فؤاد نصار	١٣٣
نظرية الأمن القومى الإسرائيلى	
اللواء الركن المتقاعد يوسف كعوش	١٣٩
الأصداء العسكرية لحرب أكتوبر ١٩٧٣	
الكولونيل ـ جيمس ف . دنويدى	١٦١
تأثيرات حرب أكتوبر	
الميجور إدجار أوبالانس	١٦٨

الموضوع	رقم الصفحة
التركة النووية لحرب أكتوبر ١٩٧٣ فى الشرق الأوسط دكتور روبرت ج برانجر ، دكتور دبل ر . تاهتنين	١٩١
تحليل العمل العسكرى غرب القناة لواء متقاعد عدلى سعيد ، لواء بحرى فاروق الشيخ	٢٠٠
الباب الرابع :	
المناقشات العسكرية :	
الجلسة الأولى صباح يوم ٣٠ أكتوبر :	
الأسئلة الموجهة إلى الكولونيل جيمس دنويدى	٢١١
الأسئلة الموجهة إلى الميجور إدجار أوبالانس	٢١٢
الجلسة الثانية صباح يوم ٣٠ أكتوبر :	
الأسئلة الموجهة إلى الكولونيل تريفور ديبوى	٢١٤
تعليق اللواء حسن الجريدلى رداً على إجابة الكولونيل تريفور ديبوى	٢١٦
تعليق العقيد أ ح أحمد فؤاد هويدى على الجسر الأمريكى ...	٢١٨
الأسئلة الموجهة إلى الجنرال ستيج لوفجرين	٢٢٣
تعليق اللواء طه المجدوب عن تقييم نظرية خط بارليف ...	٢٢٤
إجابة اللواء أحمد سيد نصر على سؤال البروفسور سامبا كابوتو (من زائير)	٢٢٩
تعليق اللواء عبدالستار أمين على القيادة والسيطرة المصرية خلال عمليات أكتوبر ١٩٧٣	٢٣١
الكلمة الختامية للواء محمد حسن غنيم مقرر القطاع العسكرى	٢٣٤
الباب الخامس :	
التقرير الختامى للندوة	٢٣٥
الباب السادس :	
الملاحق :	
أ ــ كشف بأعداد المشتركين بالندوة مقسم بحسب الدول ...	٢٤٧
ب ــ كشف بأسماء المشتركين بالندوة	٢٤٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الأول

الكلمات الأفتتاحية والكلمة الختامية للنـــدوة

أولا : كلمـــــة

السيد / حسنى مبـــارك نائب رئيس الجمهورية

فى حفــل افتتاح النـــدوة الدولية لحـــرب أكتوبر

١٩٧٣

السيدات والسادة أعضـــاء نـــدوة حرب أكتوبر الدولية

السيدات والســـادة ضيـــوف النـــدوة

— يسعدنى أن التقى بـــكم اليوم نيابة عن الرئيس محمد أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية وأن أرحب بكم باسم الشعب المصرى والحكومة المصرية متمنيـــا لندوتكم كل نجـــاح وتوفيق .

— تنعقد هذه الندوة فى اطـــار حرص مصر على ان تضـــع أمام العالم كله صورة صـــادقة وأمينة لمقدمات حـــرب أكتوبر وتطوراتها وتصورهـــا لمـــا أسفرت عنـــه من نتائج وأن تطلب من علمـــاء العالم المتخصصين أو مفكريه من ذوى الاختصاص والخبرة فى الشئون العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية أن يشاركوا بالرأى والفكر فى تحليل وقائع ونتائج هذه الحرب .

— ويهمنى منذ البدايـــة ان أؤكـــد على الطابع العلمى للنـــدوة وعلى حرصـــنا الكامل على حرية الرأى وديمقراطية المناقشة وعلى أن يكون الطابع الموضوعى هو الســـمة الرئيسية لعمـــل ندوتـــكم .

— لقـــد عاش الشعب المصرى ، كمـــا عاشت منطقتنا ، فى حـــروب متصـــلة منذ نهايـــة الحرب العالمية الثانية ، وهى حروب الحقت الخـــراب والدمـــار بالمنطقـــة وأعاقت تقدم شعوبها نحو التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، ولـــم تكن هزيمة مصر والدول العربية ١٩٦٧ وانتصـــار اسرائيل فيها بالأمر الذى يحـــل مشكلة الشرق الأوسط أو حتى يخفف من حـــدة التوتر فيها ، وذلك أن اقامـــة السلام وهو هـــدف نبيل ، فضـــلا عن كونه مطلبـــا مشروعـــا لكـــل الشعوب لابـــد ان تتوافر ظروف معينـــة تسمح للسلام بأن يحقـــق مبادىء الحـــق والعـــدل والمنطق وحـــكم القانون .

— ولهذا فما أن انتهت حرب يونيو ٦٧ حتى بدأ الاستعداد من الجانبين العربى والاسرائيلى لحرب جديدة . فلم يكن من المنطق أن يسكت العرب على احتلال أراضيهم أو ينسى الشعب الفلسطينى حقوقة الوطنية وعلى رأسه حقة فى تكوين دولتة الفلسطينية .

— وحينما خاضت مصر معركة اكتوبر كان منطلقها أن تكون معركة دفاع شرعى من أجل اقامة السلام العادل بمعنى أن تؤدى المعركة الى اندفاع شعوبنا وشعوب العالم كافة فى الطريق نحو التوصل الى تسوية حقيقية وجادة لكل المشكلات التى تسبب التوتر والصراع ومن ثم يقوم السلام الذى يكفل لكل الشعوب حقوقها ويؤمنها على حاضرها ومستقبلها ويفتح الطريق أمام نمو وازدهار المنطقة لصالح شعوبها ولصالح شعوب العالم اجمع .

— كان ذلك تصورنا ، ومن أجل ذلك كان قتالنا وكانت تضحياتنا ونحمد الله ان كان من النتائج الرئيسية للمعركة أن بدأ تحرك جاد اشتركت فيه كل شعوب العالم التى أحست بأن الحرب فى الشرق الأوسط تمس أمن العالم ورخاءه اذ أنها تعطل استخدام المنطقة ومواردها بما يكفل تحقيق المصالح المشتركة للمجتمع الدولى ولكن الأثر الايجابى لهذه الحرب كان فى منطقتنا ولصالح شعوبنا ، فنحن فى مصر قد استعدنا ثقتنا فى انفسنا وفى امكانية قيام السلام العادل وكان ذلك أمرا ضروريا ليس فقط للتخطيط من اجل السلام ولكنه كان بداية لتخطيط واسع النطاق لاعادة البناء ولوضع استراتيجية حضارية شاملة تهدف الى اصلاح ما افسدتة الحرب والى اللحاق بالتقدم الاقتصادى والعلمى بمستوياتة العالمية .

— لقد خطت مصر خطوات جادة وقوية فى طريق السلام فوقعت اتفاقيتين لفض الاشتباك ، واعادة فتح قناة السويس للملاحة العالمية وعاد سكان منطقة القناة الى بلادهم يعيدون بناءها لكى يعيشوا حياة طبيعية كلها عمل وخير وامل فى المستقبل . كما ستبدأ مصر خطة خمسية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية للأعوام ٨٠/٧٦ فى اطار متطور لخطط طويلة الأمد لاقامة دولة عصرية حديثة تكفل للمواطنين جميعا الأمن والعدل والرفاهية فى اطار من الديمقراطية وسيادة القانون .

— لقد كانت حرب أكتوبر نقطة تحول تاريخية تستأهل الدرس والمناقشة واستخلاص النتائج المباشرة وغير المباشرة ، ولذلك تنعقد ندوتكم التى نأمل لها أن تصل الى دراسات تعود علينا وعلى شعوب العالم بالفائدة والنفع .

— وختاما أيها السيدات والسادة . . .

أكرر ترحيبى بكم فى مصر . . وتمنياتى لكم بالاقامة الطيبة وادعو الله لكم بالتوفيق . . والسلام .

ثانيـــا : كلمة

الاستاذ الدكتور / صـــوفى حسن أبو طالب

رئيس جامعة القاهرة

فى حفـــل افتتاح النـــدوة الدولية لحرب أكتوبر ٧٣

السيد / نائب رئيس الجمهوريـــة

ســـيداتى ، سادتـــــى

يشرفنى أن التقى بكم اليوم وان اشكركم باسم جامعة القاهرة على استجابتكم لدعوتنـــا لحضور الندوة الدولية لحرب أكتوبر ١٩٧٣ والمشـــاركة فى اعمالهـــا . لقـــد وجهنـــا الدعوة اليكم بوصفكم من صفـــوة علمـــاء العالم المدنيين والعسكريين المتخصصين فى كافـــة المجالات المتصلة بأعمـــال هذه النـــدوة ، كمـــا وجهنا الدعوة الى ابـــرز ممثلى الصحافة وأجهزة الاعـــلام لتحيط الراى العـــام العالمى بالمعلومات الصحيحـــة .

ولا نقصـــد من هذه الندوة أن تكون فرصـــة نفاخـــر فيها بمـــا حققنـــــاه فى حـــرب أكتوبر من عبـــور لقناة السويس الى تحطيـــم لخط بارليف الى تـــلك المعـــارك الرائعة التى خاضتها قواتنـــا المسلحة على أرض سيناء والجـــولان والتى سيتوقف أمامها طويـــلا دارسو الاستراتيجية العســـكرية .

وليس القصـــد أيضا أن نؤكـــد اصرار الامـــة العربية على نيـــل حقوقهـــا المشروعة وعلى قدرتهـــا على الصبر والاحتمـــال .

ولا نقصـــد منها كذلك أن ندرس ما وقعنـــا فيـــه من أخطـــاء لنتفاداهـــا فى حرب جديـــدة .

بـــل قصدنـــا أن نتدارس سويـــا حرب أكتوبر : اسبابا وظروفـــا ونتـــائج دراســـة علميـــة موضوعية وصـــولا الى هدفين :

أولهما : التأكد على ضرورة اقامـــة سلام عادل ودائـــم فى الشرق الأوسط يكفـــل استرداد الارض السليبة ويضمن الحقـــوق الوطنية المشـــروعة للشـــعب الفلسطينى — تلك الحقوق التى اقرتهـــا هيئة الامم المتحدة وأكدت عليهـــا فى قراراتهـــا العديدة وآخرهـــا قـــرار الجمعية العامة بتاريخ ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٧٤ فى خصوص حـــق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره دونما تدخـــل خارجى ، وحقه فى الاستقلال والســـيادة الوطنيـــة .

وهدفنـــا الثانى ان نبحث معـــا فى رسم استراتيجية حضاريـــة شاملة للمجتمـــع المصرى تقوم على أساس من العلم والتكنولوجيا المتقدمـــة .

ان حرب أكتوبر وقد مكنتنا من الانطلاق الى مرحلة جديدة من حياة شعبنا العريق ، قد مهدت تمهيدا حقيقيا لحركة التقدم فى العالم العربى ، وسيكون لها اثرها الحاسم فى صنع مستقبلنا على مايلى :

اولا : رسم استراتيجية حضارية شاملة تقوم على العلم والايمان — وتحفظ للشعب المصرى ذاتة العربية .

ثانيا : اعادة النظر فى نظم ومفاهيم التعليم والتثقيف بكل أنواعه ومستوياته .

ثالثا : دخول عصر العلم والتكنولوجيا بقدم ثابتة .

رابعا : دفع عجلة التنمية الاقتصادية بمعدلات تضمن الارتفاع بمستوى معيشة الغالبية العظمى لشعب مصر ويعيننا على ذلك ما اتخذناه من أنفتاح اقتصادى فى الداخل والخارج .

خامسا : اقامة مجتمع مفتوح ينعم بالحرية ويطمئن فيه المواطن على يومه وغده .

ولاشك أن ما قدم من ابحاث فى هذه الندوة وما ستنفسر عنه المناقشات سيكون خير عون لنا فى تحقيق اهدافنا .

سيداتى وسادتى :

لا يصح أن يغيب عنا ، ونحن ندرس آثار حرب أكتوبر ، أن نتعرف على طبيعة هذه الحرب واغراضها — فهى لم تكن حربا عدوانية من جانب العرب ، بل كانت حرب تحرير عادلة ومشروعة دافع فيها العرب عن حريتهم وكرامتهم وتاريخهم وأراضيهم المغتصبة ، تنفيذا لقرارات الامم المتحدة ومن بينها كما تعلمون قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ الذى اجتمعت عليه ارادة الجماعة الدولية .

لقد خضنا هذه الحرب حين لم يعد أمامنا طريق غيرها — وبعد أن استنفذنا كل الوسائل السلمية لتنفيذ القرارات الدولية وكان لمسلكنا الواضح صداه فى العالم أجمع ، عبر عنه بحق سير اليك دوجلاس هيوم Sir Alec Douglos Home

وزير خارجية المملكة المتحدة آن ذلك بقوله « انه لم يكن من الممكن أن يظل العرب صامتين أمام الاحتلال » وهو أيضا ما صرح به ميشيل جوبير M.Jobert وزير خارجية فرنسا فى ٨ أكتوبر بقوله « نحن لا يمكننا أن نلوم أناسا يريدون استرجاع اراضيهم أو نحاول اتهامهم بالعدوان » .

وبذلك المعنى قال المارشال جريتشكو Gretchko وزير الدفاع السوفيتى « ان الدول العربية تقوم بالدفاع عن استقلالها القومى عن طريق الكفاح العادل » .

ان العرب أمة عريقة ، اسهمت بدور رئيسى فى صنع الحضارة ، وكان من أبرز معالم حضارتهم انكار التفرقة العنصرية فى كافة صورها وأشكالها . ولعل تاريخ الحضارة العربية وآثارها بالأندلس خير شاهد على ما نقول ، ومازالت دعائم حضارتنا العربية تتسع لأن يضم البيت الواحد المسلم والمسيحى واليهودى فى تعايش سلمى متساوين فى الحقوق والواجبات .

نحن لا نوصد دون اليهود بابا ، فمجال العمل فى مختلف مجالاته مفتوح أمامهم ، وأرقى المناصب فى متناولهم وقد بلغ بعضهم مرتبة الوزارة فى كثير من البلاد العربية .

ولست فى حاجة الى أن أذكركم أن اسرائيل كيان عنصرى يقوم مبدأ وتطبيقا على أساس ظاهر من التفرقة العنصرية والدين تأباه الحضارة الانسانية ويدينه المجتمع الدولى .

ان اسرائيل أيها السيدات والسادة تعمل على توسيع رقعتها ومد استعمارها العنصرى ، بجلب مهاجرين جدد من بلاد يعيشون فيها الى أراض تنتزعها قسرا من أصحابها الذين يعيشون فيها .

ان أصدق تعبير لمنطق اسرائيل فى السلام ما أكده قائدهم العسكرى الجنرال موشى ديان من أن « شرم الشيخ بلا سلام خير من السلام بلا شرم الشيخ » .

والعرب فى مواجهة هذا الخطر لا يطلبون الا سلاما عادلا يكفل حقوقهم المشروعة ويوفر للشرق الأوسط الامن والاستقرار والطمأنينة والسلام .

سيداتى سادتى :

ان حرب أكتوبر كشفت عن الكثير من الحقائق وغيرت كثيرا من المفاهيم فى النواحى العسكرية والسياسية والاقتصادية والحضارية والعلمية وقد انعكست آثارها الجلية فى اسرائيل وفى مصر والعالم العربى بل وفى العالم اجمع ، وعلينا أن نتدارس سويا هذه الآثار حتى نستبين طريق السلام العادل .

ان العرب قد تحملوا فى صبر غرور اسرائيل وصلفها وخاصة بعد نصرها الخاطف فى حرب ١٩٦٧ — ثم كانت حرب أكتوبر فردت اسرائيل الى حجمها الطبيعى وردت على العرب عزتهم وكرامتهم .

ان العالم العربى لم يعد غنيمة يختلف الأقوياء على أنصبتهم فيها ، ولم تعد مصائرهم ترسم على موائد المفاوضات بين العواصم الكبرى ، بل أصبحوا قوة قادرة على التحدث عن نفسها وبنفسها ، تفرض احترامها على الغير دون ما اعتداء على حقوق احد .

ان ما وصلنا اليه حتى الآن ، بعد حرب أكتوبر ، لـم يحقق ســوى جـزء من حقوقنا المشروعة ، وعليكم وأنتـم صفوة الفكر والعلم فى بلادكـم ، أن تحملوا اقلامكم ، وتبذلوا جهدكم من أجـل اقامــة السلام العادل فى الشرق الأوسط .

وانتـم مطالبون أيضا بدراسة موضوعية لسلوك أطـراف النــزاع وحقيقة نياتهم — تستخلصون منها نظــرة موضوعية متجردة لمستقبل مشرق للشرق الأوسط ينعـم بالرخـــاء والسلام والأمــن .

لقــد هب العالم أجمــع ليرفع عن اليهود نير النازيــة الغاشمة وعليه الآن أن يتجمع مرة اخــرى ليرفع عن العرب نير الصهيونية الباغيـــة .

ان حرب اكتوبر قد فتحت البــاب أمــام سلام عادل ودائــم فى الشرق الأوسط وعلى اسرائيل أن تــدرك ذلك قبل فــوات الأوان .

سيداتـــى وســـادتى :

ان شعارا يرتفع بيننــا نردده كل يــوم ، ان لنــا يــدا تبنى ويدا تحمـل السلاح ، ونحن فى يقظتنـــا الدائمة للدفاع عن أنفسنا ، نتقــدم الى العالــم أجمــع بأغصـــان الزيتون مستمسكين بالسلام كمــا عرضــه وعبر عنه الرئيس الســادات فى خطابة التاريخى يوم ١٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ وفى أوج انتصــار جيوشنا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ثالثــا : كلمـــــة
السيد الاستاذ الدكتور محمد حافظ غانم
نائب رئيس الوزراء ووزير التعليم العالى
فى ختـــــام دورة أكتوبر ١٩٧٥
نيابة عن السيد/ محمد حســـنى مبـــــارك
نائب رئيســــس الجمهــــورية
(٧,٠٠ مســـــاء الخميس ١٩٧٥/١٠/٣٠)

السيد رئيس جامعة القاهرة

السيدات والســـادة أعضاء نـــدوة أكتوبر

السيدات والســـادة الضيوف

على مدى ايام اربعة شهدت هذه القاعة والقاعات المجاورة ، فـــكراورايا وتحليلا ، اتصف بالموضوعية ، وبالعمق والصراحة ... اثراء للمعرفة البشرية حول حدث نعتبره نقطة بارزة فى حياة هذه المنطقة من العالم ، بل وفى مسار العلاقات الدولية المعاصـــرة .

ومما لاشك فيه أن هذا النشاط العلمى الكبير ماكان ليتوافر الا بفضل اشتراك هذه النخبة من رجال العسكرية والسياسة والاقتصاد والحضارة والاعلام فى مختلف بلدان العالم . لقد اشتركتم ، مع اخوان لكم من مصر ، بالبحوث وبالمناقشات الجادة وقدمتم أفكارا بالغة الاهمية . ولذلك أوجه اليكم نيابة عن السيد حسنى مبـــارك نائب رئيس الجمهورية وباسم الحكومة المصرية والشعب المصرى ، تحية تقـــدير وأعجاب ، تحية شـــكر وعرفان ، متمنيا لكم دواما التوفيق فى خدمة الفكر الانســـانى ، والحضارة البشرية ، وتدعيم أسس ســـلام عالمى قائم على العدل والتعاون الدولى .

الســـادة أعضاء النـــدوة

السيدات والســـادة الضيوف

اننا ننظر الى هذا الجمـــع الكريم الذى التقـــى هنـــا فى جامعة القـــاهرة على مدى الايـــام القليلة الماضية نظـــرة ملؤهـــا التقدير والاعتزاز .

فلقـــاء هذه النخبـــة الممتازة من مختلف بلدان العالم ، هـــو فى حـــد ذاتـــه دليـــل على أن الطريق الـــى السلام والتعاون الدولى والتضامن الانســـانى ، طريق مفتوح وممكن ، الأمـــر الذى يؤكـــد ما يطالب بـــه الرئيس محمد أنور الســـادات من تكثيف الجهـــود من أجـــل الوصول الى تسويـــة شاملة لكل المشـــكلات التـــى تسبب التوتـــر والصراع فى هذه المنطقـــة .

كما ان هذا اللقاء بكل ما قدمت فيه من بحوث ، وما دارت فيه من مناقشات ، ننظر اليه هنا باعتباره تطبيقا عمليا حقيقيا لسياسة الانفتاح لفكرى الذى اتيح لمصر أن تنتهجها كنتيجة من نتائج حرب أكتوبر : انفتاح على العالم أجمع فكرا وحضارة وعلاقات اقتصادية وانسانية .

ومن ناحية أخرى فان هذه الندوة تمثل بالنسبة لنا اضافة حقيقية الى خبرتنا وتجربتنا ، وهى اضافة نعتز بها ونحن نسعى الى تحقيق امالنا فى اقامة دولة عصرية حديثة ، وفى تطبيق استراتيجية حضارية شاملة تضمن الامن والسلام والحرية والتقدم لأبناء شعبنا العريق .

السيدات والسادة

ان حرب أكتوبر لم تكن مجرد قتال مرير بين جيوش متحاربة ، وانما كانت بداية لانطلاقة فى تاريخ منطقة من أكثر مناطق العالم حساسية ، لقد أحدثت تلك الحرب تغيرات وتطورات واسعة النطاق ، وعلينا أن نستفيد من نتائجها الايجابية فى مصر ، وأن نعمل لكى يظل الطريق مفتوحا فى اتجاه السلام العادل ، والتعمير واعادة البناء ومن أجل حياة جديدة ومليئة بالأمل لشعوب كل المنطقة ولكل شعوب العالم .

وفى ختام كلمتى اقدم لجامعة القاهرة ولمقررى لجان الندوة كل شكر وتقدير ، وأرجو أن يكون ضيوفنا قد استمتعوا باقامتهم معنا ، فنحن قد شرفنا بلقائهم وبالاستماع اليهم وبقراءة بحوثهم . وأرجو ان تحملوا معكم الى زملائكم وبلادكم تحية علماء مصر ومفكريها ، وتحية شعب مصر والرئيس محمد أنور السادات .

والسلام

الباب الثانى

التقريـــر النهائى للقطـــاع العســـــكرى

اولا ـــ تقديـــــم :

١ ـــ اتسمت النـــدوة الدولية لحرب أكتوبر ٧٣ بأنهـــا تطبيق عملى وموضوعى لســـياسة الانفتاح الفكـــرى التى انتهجتهـــا مصر كنتيجة بارزة مـــن نتائج حـــرب اكتوبر ، وهى كذلك اضافة حقيقية الى خبرتنا وتجاربنا ونحن نصنـــع ونطبق استراتيجتنا الحضارية الشاملة ـــ كمـــا كانت النـــدوة اشعاعا مباشرا لعلم عسكرى وفكر استراتيجى سياسى معاصر امتد الى خارج حدود المنطقة العربية فشمل شتى مسارح العمليات والاحـــلاف والتكتـــلات الدوليـــة .

٢ ـــ واذا كانت معاهد الدراسات الاستراتيجية العالميـــة قد عنيت بالآثـــار والنتائج الحاسمة لحرب أكتوبر فى مجالات السياسة والاقتصـــاد والعلم والحضـــارة ، فقد كان للجانب العســـكرى وزن خاص ونصيب أوفـــر من الاهتمـــام الدولى ، الامر الذى أضفى على بحوث ومناقشات القطاع العســـكرى فى الندوة أهمية متميـــزة ، وامتـــد البحث والنقاش الـــى افـــاق الاستراتيجية والفـــن التعبوى والتكتيـــك سعيا وراء مفاهيـــم أوضـــح للكثير من النظريـــات والعقائد فى ضـــوء التطـــور المذهـــل فى تكنولوجيـــا الحـــرب .

٣ ـــ وقد حقق القطـــاع العســـكرى من الندوة اغراضة بفضل الدقـــة فى التحضير والتنظيم والادارة ، بينما اتيحت الحريـــة المطلقـــة لكل الاطراف فى ابـــداء آرائهم والاسهام فى المناقشات فى ظـــل الانفتاح الفـــكرى الذى يتحقق عن طريقة افضل النتائج دون التقيد بالنظرة الذاتية الضيقة للامور . وكمـــا تميزت آثـــار حرب أكتوبر بالشمول وتجاوزت النطاق الضيق لاطراف الصراع فقد اتسمت المناقشات والبحوث العسكرية فى النـــدوة بالموضوعية ولم تنحدر اطلاقـــا نحو اتخـــاذ شـــكل المبـــاراة الدعائية بين طرفى النـــزاع الاقليمى كما قد تبـــادر الى ذهن البعض قبيل انعقادها ، بـــل اهتمت بقضايـــا الفكر العسكرى المعاصر وبمستقبـــل تطـــور فنـــون ادارة الصراع .

٤ — ولم تقتصر حصيلة الندوة على ذلك اللقاء الفكرى المثمر فى حرم جامعة القاهرة بين الباحثين الأجانب والعسكريين المصريين ، بل هيات فرصا ثمينة لاشباع رغبات أعضاء الندوة فى اتجاهين اثنين ، أولهما اتمام لقاءات فردية بين بعض الباحثين ومن رغبوا من القادة المصريين لاستكمال بيانات معينة من مصادرها الأصلية وثانيهما اجراء معاينات لبعض أماكن المعارك لتوضيح الصورة لدى بعض الزائرين بالنسبة لنقاط محددة مما كان له أكبر الاثر فى اظهار الحقائق التى اعترف كثير من الباحثين انها كانت غائبة عنهم .

ثانيا — البحوث العسكرية :

شملت البحوث العسكرية تحليلا للاستراتيجية العسكرية لحرب اكتوبر ١٩٧٣ وتأثير نتائجها على الاستراتيجية العالمية القاه السيد الفريق أول / محمد الجمسى نائب رئيس الوزراء ووزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة المصرية ، الى جانب خمسة عشر بحثا عسكريا منها اربعة بحوث مصرية وثلاث بحوث من كل من الولايات المتحدة وفرنسا والمملكة المتحدة وبحث واحد من كل من السويد والاردن .

وقد القيت ونوقشت هذه البحوث خلال الندوة فى أربع جلسات عسكرية عقدت يومى ٢٧ ، ٣٠ أكتوبر ١٩٧٥ .

١ — <u>الجلسة الصباحية الاولى يوم ٢٧ اكتوبر ١٩٧٥ .</u>

أ — تحليل للسيد / الفريق أول محمد الجمسى عن الاستراتيجية العسكرية لحرب أكتوبر ١٩٧٣ وتأثير نتائجها على الاستراتيجية العالمية موضحا ان حديث العسكريين المصريين فى الندوة سيقتصر فقط على الجبهة المصرية ومركزا تحليله على اقسام ثلاثة رئيسية هى أسس الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية واسلوبها التطبيقى بعد عام ١٩٦٧ وطوال الفترة حتى حرب أكتوبر ، ثم الاستراتيجية العسكرية المصرية لحرب اكتوبر ٧٣ شارحا الاعتبارات الرئيسية التى بنيت عليها استراتيجية الحرب ، والنتائج والدروس الاستراتيجية للحرب .

ب — القى الكولونيل المتقاعد تريفور ديبوى رئيس مؤسسة هيرو للتقييم العلمى للمعارك التاريخية بواشنطون موجزا لبحثة المقدم بعنوان « تحليل عسكرى لحرب أكتوبر » متضمنا سردا مختصرا لسير العمليات ثم تقيما للمعارك الجوية والبرية ، شاملا

نقاط الجدل فى كلا الجانبين وأثر الاسلحة الحديثة والعنصر البشرى فى الحرب وكذا تعرض لدور القوتين العظميين فى احداث الحرب .

— ثم بعد المناقشات العسكرية التى تمت يوم ١٩٧٥/١٠/٣٠ قدم تعديلا لبحثه عن نفس الموضوع .

ج — تحدث الجنرال جورج بوى مدير معهد الدراسات الاستراتيجية الفرنسى عن الاستراتيجية العسكرية لحرب اكتوبر واثارها على الاستراتيجية الدولية متناولا بالتحليل المعطيات الاستراتيجية المحلية الناجمة عن الحرب ثم تحليل مدى التغير فى استراتيجية القوتين العظميين فى ضوء المعطيات المحلية وكذا مناقشة بعض المتغيرات الاستراتيجية لباقى الدول ، واشار فى ختام حديثة الى ضرورة تنويع دول الشرق الأوسط لمصادر تسليحها .

د — وفى نهاية هذه الجلسة القى الجنرال انتونى فارار هوكلى مدير تطوير القتال فى الجيش البريطانى بحثه عن الاستراتيجية العسكرية لحرب اكتوبر واثرها على الاستراتيجية العالمية موضحا ان الاهتمام الكبير بحرب اكتوبر يرجع الى استخدام وتطبيق تكنولوجيا جديدة خلالها تستوجب مراجعة المبادىء والخطط العسكرية فى مجالات الدفاع الجوى والدفاع المضاد للدبابات ونظم القيادة والسيطرة الالية واكدا أهمية استمرار الخروج بالدروس المستفادة من هذه الحرب .

٢ — <u>الجلسة المسائية الثانية يوم ٢٧ اكتوبر ١٩٧٥ .</u>

أ — بدات ببحث السيد / الفريق محمد على فهمى رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية عن دور الدفاع الجوى المصرى فى حرب اكتوبر ٧٣ مبتدئا بالتخطيط لاعمال قتال قوات الدفاع الجوى من نواحى اعداد الخطط والفرد والاسلحة ومسرح العمليات ثم تطرق الى تصدى قوات الدفاع الجوى المصرى لاحباط مهام القوات الجوية الاسرائيلية ومدى نجاحها فى تغطية فجوة الطيران المنخفض وأوضح كيف اثبتت خطة الدفاع الجوى مرونتها فى مواجهة المواقف الطارئة اثناء سير القتال .

ب — بحث الليفتنانت جنرال المتقاعد ستيج لوفجرن المراسل الحربى السويدى عن « الصواريخ المضادة للدبابات والطائرات » ، والذى شرح فيه الدلالات التى يمكن الخروج بها من احصاء

الخسائر المصرية والسورية والاسرائيلية فى الدبابات والطائرات والأسباب التى أدت الى تلك الخسائر ومدى فاعلية الصواريخ المضادة للدبابات والطائرات فى ضوء هذه الاحصاءات والتطور المنتظر فى الدبابة والطائرة كما اشار باختصار الى تعاظم أهمية الصواريخ أرض / أرض مستقبلا والى اهمية العمليات المشتركة .

جـ — بحث السيد / الفريق فؤاد ابو ذكرى قائد القوات البحرية المصرية عن « دور القوات البحرية فى حرب أكتوبر ٧٣ » الذى تعرض بالشرح للعمليات البحرية فى الجولات السابقة وفى اثناء حرب الاستنزاف وأوضح الاسس الاستراتيجية التعبوية لشكل العمليات البحرية فى حرب أكتوبر ٧٣ مع تقييم نتائج عمليات قواتنا وقوات العدو خلالها .

د — القى البريجادير جنرال متقاعد كنيث هنت نائب مدير معهد الدراسات الاستراتيجية بلندن بحثه عن « الاثار الاستراتيجية لحرب اكتوبر » موضحا أسلوب الدفاع الاسرائيلى وبعض الاعتبارات العسكرية العربية ثم تطرق الى سرد مسير مختصر للعمليات فالاثار العسكرية للحرب الشاملة وتأثير المفاجأة على الاستراتيجية الاسرائيلية وكذا تأثير الاستنزاف الهائل للمعدات والخسائر ، والدروس المستفادة من العمليات الجوية وقتال المدرعات ، واختتم بحثه ببعض الانعكاسات السياسية وتصوره للتطورات المقبلة .

هـ — بحث اللواء / طيار محمود شاكر عبد المنعم قائد القوات الجوية المصرية عن « دور القوات الجوية فى عمليات أكتوبر ٧٣ » والذى أوضح فيه استيعاب القوات الجوية لدروس النكسة واعادة البناء والتطوير ، ثم تناول أعمال قتال القوات الجوية خلال العمليات مبتدئا بالضربة الجوية المركزة فدور التشكيلات الجوية فى المعركة ثم نوه بالبطولات والدروس المستفادة من الحرب .

و — تقدم الجنرال الفرنسى البرت ميرجلين ببحثين احدهما عن « الاثار العسكرية لحرب أكتوبر على الوضع الاستراتيجى فى أوربا » والاخر عن « الدروس العسكرية المستفادة من حرب أكتوبر ٧٣ » وقد اجملهما فى كلمة مختصرة تناول فيها عنصر المفاجأة المصرية السورية ورد الفعل الاسرائيلى والاستخدام المكثف للاسلحة

الحديثة وفاعلية القذائف المضــادة للدبابات والصواريخ المضادة للطائرات وجسامة الخسائر الماديــة ، وكذلك تأثير الحرب علــى التوازن فى الشرق الأوسط والدروس المستفادة لحلفى الاطلنطــى ووارســـو .

ز ــ بحث اللــواء ابراهيم فؤاد نصــار مدير المخــابرات الحــربية والاستطلاع عن « نظرية الامن الاسرائيلى » الذى تناول بالشرح مفهوم الامن القومى طبقــا للقانون الدولى ومفهــوم اسرائيــل للامن ثــم تعرض لركائز نظريــة الامن الاسرائيلية واثــار حرب اكتوبر عليها ، وأوضــح كيف ان حرب أكتوبر هدمت نظريــة الامن الاسرئيلى واثبتت استحالة تحقيق أهدافهــا السياسية وكيف ان اسرائيل لــم تعد قــادرة على اصطناع الظروف المواتية لتحقيق أهدافهــا الاستراتيجية واكــد ان مفتاح الســلام فى المنطقة هــو استرجاع الارض المغتصبة واستعادة حقوق الشعب الفلسطينى .

ح ــ القى اللــواء الركن المتقاعد يوسف كعوش من المملكة الاردنيــة الهاشمية بحثه عن « نظرية الامــن القومى الاسرائيلى » متضمنــا خلفيــة تاريخية عن الوجــود الاسرائيلى فى فلسطين عبر التاريخ ثم تناول بالشرح والتحليل الاستراتيجية الاسرائيلية ونظرية الامن وما احدثتة حــرب أكتوبر ١٩٧٣ من نتائج واثــار هدمت نظريــة الامن الاسرائيلى .

٣ ــ <u>الجلسة الصباحية الاولى يوم ٣٠ اكتوبر ١٩٧٥</u> .

أ ــ بدأت ببحث القاة الكولونيل طيار متقاعد جيمس دنويدى الامريكــى عن « ردود الفعــل العســكرية لحــرب اكتوبر » مركزا علــى النواحــى العسكرية التى لها صــدى على غير الاطراف المتصارعة مباشرة متناولا المفاجــأة التكتيكية والاستنزاف والمعدل الهائــل لاستهلاك المعــدات وخسائر الافراد فى الحــرب ثم تطرق الــى الدروس المستفادة من الحرب البحرية ، البريــة ، والجوية .

ب ــ ثم القى الميجور ادجار اوبالانس المؤرخ العســكرى من المملكــة المتحدة موجــزا لبحثه عن « تأثيرات حــرب اكتوبر » متنــاولا الاستراتيجية الدولية والعربية والاسرائيلية ، ثم حلــل تأثيرات الحرب على الروح المعنويــة العربية والاسرائيلية وسباق التسلح والتصعيد الالكترونى والنووى فى الشرق الأوسط ، واشــار الى تغير النظرة السابقة لادوار بعض الاسلحة فى ميدان القتــال والى الدفاع

الخطى والنظرية السوفيتية فى الحشد والمركزية ، ثم أفرد جزءا من بحثه لتقييم العمليات التى جرت على الضفة الغربية لقناة السويس ، وقرر ان الحرب كانت سببا فى اعادة تقييم الاستراتيجيات القومية والدولية وكذلك التكتيكات فى كثير من دول العالم ، كما شهدت بعث المقاتل العربى .

جـ — قدم الدكتور روبرت برانجر ، والدكتور ديل ر . تاهتنين من معهد انترابريز الامريكى بحثا عن « التركة النووية لحرب أكتوبر ٧٣ فى الشرق الاوسط » متناولا بالتحليل عوامل التصعيد النووى والأخطار النووية فى الجولة القادمة فى الشرق الاوسط ، ثم نتائج حرب أكتوبر وعلاقتها بالسباق نحو امتلاك قدرة تكنولوجية ، نووية والحالات الممكنة لاستخدام الاسلحة النووية فى مسرح الشرق الاوسط .

د — قدم اللواء متقاعد عدلى حسين سعيد واللواء بحرى فاروق الشيخ بحثا عن تحليل العمل العسكرى غرب القناة تناول الموقف السياسى والعسكرى المعاصر للقتال غرب القناة وكذا الموقف العسكرى حتى وقف اطلاق النار ثم تناول بالتحليل والتقييم العمليات العسكرية غرب القناة ، ولاعتبارات الوقت لم يتيسر القاء البحثين الأخرين « جـ ، د » على أعضاء الندوة .

ثالثا — المناقشات العسكرية :

١ — جرت المناقشات العسكرية فى صورة اسئلة وجهت الى الباحثين العسكريين فى الجلسة الصباحية الثانية يوم ٣٠ أكت وعلى شكل مناقشة مفتوحة .

٢ — وجه الى الكولونيل جيمس دنويدى سؤالان من أعضاء الندوة تضمن أولهما تساؤلات عن السبب فى وصف الباحث للمفاجأة العربية فى حرب أكتوبر بأنها تكتيكية ، وكان مجمل رد دنويدى انه فى مثل مسرح الشرق الاوسط لا يكون الاختلاف بين المفاجأة الاستراتيجية والتكتيكية كبيرا ، كما أن المفاجأة التكتيكية ممكنة دائما فى هذا العصر .

أما السؤال الثانى فقد وجهه اللواء بحرى أشرف رفعت مبديا دهشته من قول الكولونيل جيمس دنويدى أن زوارق الصواريخ ذات المدى الأقصر تفوقت على زوارق الصواريخ ذات المدى الأكبر علما بأن هذا علاوة على مخالفته للمنطق فهو لا يطابق واقع الاحصاءات . وكان رده انه لا يوجد لديه الاحصاءات الكافية للحكم

على فاعلية مثل هـذا السـلاح فى الوقت الحالى وان المـزايا الفنية لسلاح وتفوقه على آخـر ليس كافيا للحكم عـلى فاعليـة الاسلحة المختلفـة .

٣ — وجـه الى الميجور ادجارا وبالانس سؤالان :

أ — الأول مـن اللـواء بحرى أشرف رفعت عن تقييم العمليـات البحرية لمصر واسرائيل فى حرب اكتوبر ٧٣ ، وكان مجمل رده أن العرب حققوا نجاحا بحريا استراتيجيا بينما ادعى الاسرائيليون انهم قـد احرزوا انتصارات تكتيكية فى المجال البحرى .

ب — والثانى من الكولونيل تريفور ديبوى عـن تفسـير المـذهب الاسرائيلى فى الهجوم والدفاع وكان مضمون الـرد أن اسرائيـل قبل حرب اكتوبر لم تكن تعتنق سـوى مفهوم الهجـوم واظهرت حـرب ٧٣ مفهوم الدفاع لديهـا .

٤ — وجه اللواء محمد حسن غنيم مقرر القطاع العسـكرى الى الكولونيل تريفور ديبوى سؤالـين :

أ — اولهما : عن الأسس والاعتبارات التى توصـل عـلى اساسها الكولونيل دويبوى الى استنتاجـه انه لا يرى احتمال ان يحقق العـرب نجاحا عسـكريا حـاسما على اسرائيل فى مـدى العشرة الى العشرين سنـة القـادمـة ، وقد رد الـكولونيل ديبوى عـلى ذلك بانه لم يـكن يقصد المقاتل المصرى بل هـو يؤكد تفوق الكفاءة النوعيـة له وانما قصـد أن فريق القتـال الاسرائيلى كلن متفوقا فى الحربين المـاضيين ، ولـكن انتصار الحلفاء على المـانيا فى الحرب العالمية الثانية قـد يعطى ايحاء بأن الوقت فى صالح العـرب على المـدى الطويل مـالم يتحقق سـلام وتعايش بـين القوميتين العربية والاسرائيلية .

ب — والسؤال الثانى : عن مـدى فاعلية الجسر الجوى الامريكى وكيف أن الـكولونيل تريفور ديبوى أشـار فى بحثه الى أن تأثيره كان معنويا فقط ، وكان رده أن تأثـير الجسر الجـوى الأمريكى لم يكن حيويا الا فى بعض الأمثلة كالصواريخ تا و ، وان كـلا من الجسرين الجويين السوفيتى والأمريكى كان حيويا لطرفى الصراع بنفس الـدرجـة وأن القرار الاسرائيلى بالاختراق غربى القناة اتخـذ قبيل بدء الجسر الجـوى .

٥ — وقد عقب اللواء حسن الجريدلى على السؤال الموجه للكولونيل تريفور ديبوى « عن عدم احتمال أن يحقق العرب نجاحا عسكريا حاسما فى مدى العشر سنوات أو العشرين سنة القادمة » بأن مثل هذا الاستنتاج لا يمكن الوصول اليه بمجرد استعراض بعض العوامل العامة أو التاريخ القديم ولكن يجب أن يكون قائما على احصاءات دقيقة ورؤية واضحة لخطط المستقبل ثم قام بتحليل للعوامل المختلفة التى ربما ادت الى هذا الاستنتاج متناولا نوعية المقاتل العربى والاسرائيلى واستعراض خسائر حرب أكتوبر لكلا طرفى النزاع ثم امكانية المخطط المصرى فى اعادة تكرار تحقيق المفاجأة .

٦ — وقد علق العقيد أ . ح / أحمد فؤاد هويدى على السؤال الموجه للكولونيل تريفور ديبوى « عن تأثير الجسر الجوى الأمريكى وأنه كان تأثيرا معنويا لا ماديا » متناولا بالحقائق والأرقام ومستشهدا بالبيانات العسكرية الاسرائيلية وأقوال القادة الاسرائيليين وما نشرته وكالات الأنباء ودور النشر العالمية ما اثبت به فى نهاية تعليقه بأن تأثير الجسر الجوى الامريكى كان ماديا ومعنويا .

٧ — وجه اللواء محمد عبد الحليم ابو غزالة سؤالين الى الجنرال ستيج لوفجرين أحدهما عن طبيعة الصراع بين الدبابات والمقذوفات ، وما اذا كان تسليح الدبابة بصاروخ يحسم هذا الصراع ، والثانى عن رأيه فى دخول الصواريخ أرض/ارض الى الشرق الاوسط ، وكان مجمل رد الجنرال لوفجرين أن الصراع بين دبابة المستقبل والصواريخ لم يحسم بعد وأنه لا توجد حتى الآن دبابة مسلحة بصاروخ ، اما بخصوص الصواريخ ارض/أرض فأوضح أن الصاروخ لانس قذيفة بعيدة المدى تصيب أنظمة الدفاع الجوى للعدو واما بالنسبة للصاروخ بيرشنج فانه قادر بلا شك على ضرب أعماق الدول العربية وأن لديه معلومات عن أن الجانب العربى لديه صواريخ سوفيتية بعيدة المدى .

٨ — وقد علق اللواء / طه محمد ابراهيم المجدوب على ماجاء حول خط بارليف فى بعض الأبحاث الخارجية شارحا بالتفصيل حقائق وأبعاد نظرية خط بارليف وحقيقة هذا الخط وقدراته الفعلية ومؤكدا أن خط بارليف لم يكن دفاعا خطيا هامشيا بل كان نطاقا دفاعيا متكاملا ذا تجهيز هندسى عال يمتد شرقا بعمق حوالى ٣٠ كم.

٩ — وقد رد اللواء / أحمد سيد أحمد نصر على السؤال الموجه من البرونيسور ساميا كابوتو من زائير « عن الأسباب التى دعت الى ترك الجيش المصرى فاصلا كبيرا خاليا فى خط الدفاع الذى تكون بعد العبور شرق قناة السويس » واكد اللواء / أحمد نصر أن رؤوس الكبارى التى انشأهـا الجيشان الميدانيان قد صمدت أمام الهجمات والضربات المضادة الشرسة التى شنها العدو عليها ، كما أن الفاصل بين رؤوس الكبارى شرق البحيرات كان مؤمنا بالجهود المشتركة ، ولم يشكل تهديدا لأوضاع قواتهما شرق القناة ، كما أكد كذلك فشل العدو فى تحقيق هدفه الاستراتيجى للقضاء على رؤوس الكبارى .

١٠ — وقد علق اللواء / عبد الستار أمين على ماجاء ببعض البحوث عن « القيادة والسيطرة المصرية خلال حرب اكتوبر » مؤكدا مجموعة من الحقائق وهى أن القيادة المصرية لها أسلوبها الخاص فى القيادة والسيطرة طبقا للموقف وتطور المعركة ، وأن السيطرة على المستويين الاستراتيجى والتعبوى كانت مستمرة طوال فترة العمليات حتى مع قوات رأس كوبرى الجيش الثالث الميدانى ، وأن المرونة كانت هى العلامة البارزة فى القيادة والسيطرة على المستوى التعبوى والاستراتيجى كما كانت هناك بعض الأخطاء على المستوى التكتيكى نتيجة نقص بعض المعلومات أو الحماس الزائد عند اتخاذ بعض القرارات ، ثم أوضح أهم الدروس المستفادة من القيادة والسيطرة .

رابعا — الموضوعات التى اتفق الباحثون عليها أثناء الندوة :

لقد أجمع معظم اعضاء الندوة على النقاط التالية :

١ — أن حرب أكتوبر كانت حدثا فريدا يعتبر نقطة تحول جذرى فى مسار الصراع العربى الاسرائيلى غيرت من الأوضاع السياسية والاستراتيجية فى المنطقة واثرت على مسار العلاقات الدولية المعاصرة ، وبدا العالم منذ اكتوبر ١٩٧٣ يعيد حساباته وموقفه بالنسبة للمنطقة على أساس الحقائق الاستراتيجية التى فرضتها نتائج هذه الحرب .

٢ — أن الوفاق الدولى وما أسفر عنه من اتفاق على الاسترخاء العسكرى فى المنطقة لم يكن من شأنه أن يحول دون توفر ارادة مصرية حرة لاتخاذ قرار الحرب ، وتنفيذها ، مع تحقيق المفاجأة الاستراتيجية والتعبوية والتكتيكية برغم التطور الكبير فى وسائل الاستطلاع الحديث .

٣ — أظهرت حرب اكتوبر ضرورة اعادة النظر فى النظريات العسكرية والمفاهيم الاستراتيجية لحلف الأطلنطى وثبت أن منطقة الشرق الأوسط فى غاية الحساسية وأن أى اضطراب فيها يؤثر على العالم الخارجى .

٤ — لم تعد قناة السويس مجرد ممر ملاحى هام بل أصبحت شريانا حيويا فى قلب مسرح متماسك يمتد من المحيط الهندى حتى البحر الأبيض المتوسط .

٥ — أن القوة المسلحة هى احدى اوجه القوة للدولة وليست كل القوى فى الحرب مما يوجب ضرورة تكامل العمل السياسى والدبلوماسى والعسكرى والاقتصادى والمعنوى فى استراتيجية عليا موحدة تخدم اهداف الدولة .

٦ — ان العقائد العسكرية والنظريات التى تبنتها اسرائيل منذ انشائها حتى الآن بغرض التوسع تعتبر مصدرا للتوتر والصراع المسلح ، وأنه لابد للعقلية العسكرية الاسرائيلية أن تتغير فى ضوء حرب أكتوبر ، كذلك لا مناص من سيادة الشرعية الدولية فى منطقة الشرق الأسط حتى يسود الأمن والسلام .

٧ — ان المفاجأة والصواريخ بأنواعها قد غيرت من توازن القوى فى منطقة الشرق الأوسط ولا شك أن دور الصواريخ أرض / أرض قد يتعاظم فى المعارك المقبلة فى شتى مسارح العمليات .

٨ — ان اقتحام قناة السويس كان انجازا عسكريا رائعا على اى مقياس أفتقد الاسرائيليين توازنهم واثبت قدرة العرب على الحرب الطويلة كما أن ثغرة الدفرسوار لم تكن انجازا عسكريا بقدر ما كانت عملا اعلاميا ، وأنه لولا الكميات الضخمة من المعونات العسكرية الأمريكية لما تمت عملية الثغرة ، ولولا خرق قرار وقف اطلاق النار لما استولت اسرائيل على اراضى فى الضفة الغربية كان يستحيل انتزاعها فى ساحة القتال .

٩ — ثبت ان المعركة قد أصبحت اولا وأخيرا معركة أسلحة مشتركة ، ولا بد من التوازن التنظيمى لأفرع القوات المسلحة الرئيسية وداخلها.

١٠ — ثبت أن التكاليف الباهظة للحرب ومعدلات الاستهلاك الكبيرة للأسلحة والمعدات مع ضرورة توفير الاحتياطيات اللازمة لمواجهة كافة الاحتمالات والاحتفاظ بالقدرة على استمرار القتال تتطلب عدم الوقوع فى اختناقات الاحتكار العالمى للسلاح وضرورة تنوع مصادر التسليح وتوفير قدرة ذاتية على التصنيع الحربى .

١١ — ان حرب أكتوبر قد أعطت الثقة للعرب بينما اهتزت اسرائيل بشدة ، ودرست ووعت درس ٧٣ بنفس الشكل الذى وعى به العرب درس ٦٧ .

١٢ — قضت حرب اكتوبر على هالة التفوق النوعى للجندى الاسرائيلى، وكان نجاح المقاتل المصرى فى هذه الحرب راجعا الى عدم التهويل فى قدرة العدواو التهوين من شأنها .

١٣ — أن العامل البشرى ركيزة أساسية من ركائز النصر فى المعركة الحديثة وأساسه بسالة وآداء المقاتل المصرى واستيعابه للأسلحة المتطورة فى حرب اكتوبر كذلك فان التخطيط الجيد والاعداد المتقن والروح المعنوية العالية تعتبر عوامل رئيسية من عوامل النصر فى المعركة .

خامسا — الموضوعات التى اختلفت حولها الآراء أثناء الندوة :

١ — مدى تأثير ضربة الاحباط لو أن اسرائيل وجهتها بالقوات الجوية يوم ٦ اكت على النتائج النهائية لحرب أكت ٧٣ وبالتالى مدى فاعلية اى ضربة احباط فى صراع مقبل وخاصة ضد قوات اتمت استعدادها للهجوم وتتوفر لديها امكانيات امتصاص آثارها .

٢ — مدى قدرة القوات الجوية الاسرائيلية فى التصدى لنظام الدفاع الجوى المصرى والتأثير على سير نتائج الحرب .

٣ — حجم ونوعية وتوقيت امدادات الجسرين الجويين الأمريكى والسوفيتى ومدى تأثير كل منهما على طرفى النزاع .

٤ — مدى امكانية استمرار تفوق الطيران الاسرائيلى على قوة الطيران العربى فى المرحلة القادمة على ضوء تنويع العرب لمصادر السلاح والتطور المنتظر فى وسائل الدفاع الجوى .

٥ — قدرة اى من طرفى الصراع على فرض ارادته على الطرف الآخر بالعمل العسكرى فى المدى القريب .

سادسا — الموضوعات التى أثيرت ومازالت تحتاج الى المزيد من البحث :

١ — مدى امكانية تحقيق المفاجأة الاستراتيجية والتعبوية فى حرب مقبلة وخاصة فى المسرح الأوروبى وان كانت الآراء قد اتفقت على امكانية تحقيق المفاجأة التكتيكية فى أى وقت .

٢ — مدى سيادة الدبابة للمعارك البرية فى الحرب المقبلة على ضوء التطور المنتظر فى وسائل التوجيه للمقذوفات المضادة للدبابات وكذا التطور المنتظر فى وسائل الاعاقة المضادة التى ستزود بها دبابة المستقبل .

٣ — الصراع بين طائرة المستقبل وما توفره لها وسائل الاعاقة الاكترونية من امن فى مواجهة الصواريخ الموجهة المضادة للطائرات.

٤ — وبالرغم من الاتفاق على ضخامة الاستهلاك فى الأسلحة والمعدات والذخائر فى الحرب المقبلة الا أن معدل هذا الاستهلاك وحجم المخزون والامداد ومدى ارتباطه بسير القتال وحجم القوات المتحاربة مازال مثار بحث .

٥ — احتمالات استخدام الأسلحة النووية التكتيكية فى اى صراع مقبل بمنطقة الشرق الأوسط .

٦ — أسلوب استخدام الأسلحة النووية على مستوى حلفى وارسو والأطلنطى فى ضوء نتائج الحرب التقليدية الحديثة (حرب أكتوبر ٧٣).

لواء / أحمد عبد الغفار حجازى
أمين القطاع العسكرى

لواء / محمد حسن غنيم
مقرر القطاع العسكرى

تنـــويه

ننشر فى الباب الثالث والرابع جميع البحوث العسكرية كما قدمت أو القيت ، وكذا كافة المناقشات كما دارت بالندوة الدولية لحرب اكتوبر ١٩٧٣ المنعقدة بجامعة القاهرة ، وذلك دون أى تعديل أو اختصار وهذا لا يعنى موافقتنا على كل ما جاء بها من آراء ولكننا للفائدة العلمية سنشير الى بعض الحقائق فى أماكنها لمعاونة القارىء.

ولا يفوتنا التنويه بأن الكثير من الباحثين قد أوضحوا أن معلوماتهم قد استقوها من مراجع تمثل فى غالبيتها وجهة النظر الاسرائيلية وأنهم قد غيروا كثير من مفاهيمهم نتيجـــة النقـــاش الحر الصريح الذى دار بالنـــدوة .

الباب الثالث

البحوث العســـــكرية

الاستراتيجية العسكرية لحرب أكتــوبر ١٩٧٣

فريق أول / محمد الجمسى

نائب رئيس الوزراء ووزير الحربية
والقائد العــام للقــوات المســلحة المصرية

ســـــــيداتى وسادتى

١ ـــ يسعدنى أن اتحدث فى هذه الندوة عن استراتيجة حــرب أكتــوبر ١٩٧٣ . تلك الحرب التى فرضت نفسها ولا تزال تفرض نتائجهـــا على الأحـــداث فى المنطقة والعالم . ولو أن النظرة الاستراتيجية لهذه الحــرب تتطلب مناقشـــة استراتيجية الحرب على الجبهتين المصرية والسورية ، الا ان حديث العسكريين المصريين فى هذه النـــدوة سيقتصر فقط على الجبهة المصرية .

٢ ـــ والحقيقة أن هذه الحرب ورغم كثرة ما كتب عنها من مقالات ودراســـات ، الا أنها ما زالت تتطلب المزيد لمـــا احدثته من متغيرات استراتيجية فى هـــذه المنطقة والعالم ، ولمـــا استندت عليه من أسس ونظريات علمية تدعـــو الى التأمل والتركيز ؛ ولما ابرزته من دروس واساليب عسكرية جـــديدة تستحق البحث والتقييم .

٣ ـــ لقد تحدت هذه الحرب الكثير من العقائد والنظريات ، وتغلبت على الكثير من العقبات والمشكلات . فعلى المستوى الاستراتيجى ، هـــزت العقائد والنظريات التى اعتنقتها اسرائيل ، فحطمت نظرية الأمن الاسرائيلى ، واهـــدرت نظرية الحرب الوقائية ، وعلى المستوى التعبوى والتكتيكى ، تغلبت على أعقد الموانع المائية ، ودمرت أقوى الدفاعات المحصنة ، ودارت فيهـــا معـــارك عنيفـــة اشتركت فيها قوات بحجم ونوع وتسليح لم يسبق حدوثه فى المنطقة . وعلى المستوى الاستراتيجى والتعبوى والتكتيكى ، حققت المفاجأة بعد أن خـــدعت احدث وسائل المخابرات المعادية . وعلى المستوى المعنوى ، عبرنا من خلالها هزيمة يونيو ١٩٦٧ بكل أبعادها المريرة .

٤ — وسأقسم حديثى الى ثلاثة اقسام وهى :

ا — الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية .
ب — الاستراتيجية العسكرية المصرية لحرب اكتوبر ١٩٧٣ .
جـ — النتائج والدروس الاستراتيجية عن الحرب .

القسم الاول

وسأبدأ الحديث عن الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية

٥ — فالدراسة المتعمقة للاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية توضح لنا أن الصهيونية العالمية حددت لنفسها هدفا سياسيا انشأت اسرائيل لتحقيقه ، من خلال وجود دولة يهودية فى منطقة الشرق الأوسط ، تجمع يهود العالم ، داخل اقصى حدود يمكن التوسع فيها ، للسيطرة على المنطقة العربية ، وتحتل مكانا بارزا فى المجال الدولى .

٦ — ولتنفيذ هذا الهدف ، ارست الصهيونية الخطوط الرئيسية الثابتة لسياسة اسرئيل وهى :

أولا : التوسع الجغرافى التدريجى على حساب الأرض العربية .

ثانيا : الاحتفاظ بقوة مسلحة متفوقة ، تكون هدفا ووسيلة .

ثالثا : الارتباط بقوى دولية كبرى ، كحليف مضمون يعاونها فى تحقيق أهدافها المرحلية .

رابعا : أضعاف وتهديد الطاقات العربية .

٧ — وأدارت اسرائيل صراعها مع العرب — منذ نشأتها — لتحقيق هذا الهدف النهائى بوضع أهداف مرحلية طبقا لما يمكن أن يتحقق فى كل مرحلة بموازنة الاعتبارات الداخلية فيها والموقف فى المنطقة العربية والموقف الدولى .

٨ — واهتدت العقلية الصهيونية الى صياغة نظرية عسكرية أطلقت عليها اسم « نظرية الأمن الاسرائيلى » لتكون ستارا لتحقيق أهداف اسرائيل التوسعية ووسيلة لخداع الرأى العام العالمى وخلق قناعة لدى الاسرائيليين لتقبل مغامراتها العسكرية المتتالية .

٩ — وهنا أود أن أوضح أن « استخدام القوة العسكرية » هو حجر الزاوية فى هذه النظرية ، ووضعت اسرائيل استراتيجية استخدامها على أساس ثلاثة مبادىء رئيسية هى :

العمل الهجومى ، والحرب الخاطفة ، ونقل القتــال الى أرض العدو ، تحت ستار ما أسمته « بالحرب الوقائية » الامر الذى يحقق لها مطامعها التوسعية . ولذلك نظم الجيش الاسرائيلى على أساس قــوة ضاربة تعتمــد أساسا على القوات الجوية والقوات المدرعة .

١٠ — وفى أعقاب حرب يونيو ١٩٦٧ التى وصلت فيهــا الى قناة السويس ونهــر الأردن والجولان تضاعفت المساحات التى يجب عليهــا تأمينها ، وامتــدت خطوط المواجهة وطالت خطــوط المواصلات وأصبح الوضع الاستراتيجى عبئا عسكريا على اسرائيل ، ولكنهــا فى سبيل الاحتفاظ بالأرض العــربية اعتبرت أن خطوط ١٩٦٧ — وهى قناة السويس فى الجبهــة المصرية — تمثل أفضــل الأوضاع لتحقيق أمن اسرائيل . وكان اتخاذها لأوضاع دفاعية ثابتــة بــداية سلسلة من الأخطاء الاستراتيجية العسكرية .

١١ — وعندما لم تهــدأ الجبهة المصرية عسكريا بعد حرب يونيو كما كانت تتوقع ، ودخلت مصر ضدها فى حرب استنزاف استمرت حوالى عامين ، وبرزت قوة النيران المصرية وتكبدت اسرائيل خسائر كبيرة فى الأرواح ، كان رد الفعل هو اقامة التحصينات والدفاعات والموانع والســواتر الترابية العــالية وانشــاء نظام دفاعى أطلقت عليه اسم « خط بارليف » وآمنت بمناعته .

١٢ — وزاد من الاخطاء العسكرية لاسرائيل مــا عكســه الانتصار الذى احرزته عام ١٩٦٧ ، وهو انتصار حققته نتيجة لأخطائنا وليس لقدرة اسرائيل غــير العــادية ، فقد رسخ ذلك فى فكــر ونفسية القادة والقيادات معتقدات آمنوا بهــا أذكــر منهــا :

أولا : عدم قدرة مصر — وهى الجبهة الرئيسية — على القيام بأى هجوم شامل . وأن أى محاولة مصرية حتى للحصول على موطىء قــدم على الضفة الشرقية للقناة سوف يقضى عليها فورا .

وكان ذلك خطأ فى تقييم القدرات العسكرية المصرية . وليس أدل على ذلك من الفشل الاسرائيلى الكامل أمام القوات المصرية يوم ٦ اكتــوبر ١٩٧٣ .

ثانيا : اعتقادها فى عدم امكان تنسيق أى هجوم عربى على اكثر من جبهة .. وكان ذلك هو الآخر خطأ استراتيجيا كانت نتيجته أن فقــدت اسرائيل الاتزان الاستراتيجى وتعرضت لخسائر فادحــة .

ثالثا : الغرور القاتل الذى أصاب قادة اسرائيل ، انهم يملكون التفوق المطلق وليس أمــام مصر ســـوى الاستسلام لشروط اسرائيل تحت وقــع الهزيمة العســكرية .

١٣ — الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية على الجبهة المصرية قبل اكتوبر ١٩٧٣ :

ا — وهكذا ، اصبحت الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلة على الجبهة المصرية تعتمد على الأسس التالية قبل اكتوبر ١٩٧٣ :

اولا : التفوق العسكرى الاسرائيلى الذى يمنع مصر من التفكير فى شن الحرب وخلق أحساس لدينا بالعجز فى مواجهة القوات الاسرائيلية.

ثانيا : أن خط قناة السويس هو انسب « الحدود الآمنة » باعتبار قناة السويس مانع فريد فى نوعه يسهل الدفاع عنه بينما يتعذر على المصريين اقتحامه .

ثالثا : احباط تحضيراتنا للهجوم ، وذلك بالسبق فى توجيه الضربة الاولى عند ظهور اى نوايا هجومية مصرية بالاعتماد أساسا على قوات جوية متفوقة تمثل اداة الردع والذراع الطويلة .

رابعا : وتعتمد على قواتها المدرعة وقوات الاقتحام الجوى الراسى لتدمير اية قوات مصرية تحاول اقتحام القناة أو تنجح فى عبورها .

خامسا : وتمشيا مع نظرية الحدود الآمنة ، فقد ركزت جهودها للسيطرة على المضايق البحرية بمنطقة شرم الشيخ لتأمين خطوط مواصلاتها البحرية الى البحر الأحمر .

سادسا : يخدم كل ما سبق نظام ممتاز للمخابرات قادر على اكتشاف أى نوايا هجومية قبل وقوعها بوقت كاف ، يسمح للقوات بالاستعداد للقتال والحشد وتنفيذ التعبئة بنظام جيد يوضع للتعبئة الشاملة .

ب — تلك كانت أسس الاستراتيجية الاسرائيلية وأسلوبها التطبيقى بعد عام ١٩٦٧ وطوال الفترة من ١٩٦٧ حتى ١٩٧٣ ، رفضت اسرائيل جميع الحلول السامية لانها انتشت بنصرها فى عام ١٩٦٧ ، واعتمدت على قواتها العسكرية واخذت تعتدى على جيرانها العرب تارة باستخدام القوة المسلحة كوسيلة للردع المادى وتارة أخرى بالتلويح بها تحقيقا للردع المعنوى والسياسى . واطلقت فى العالم دعاية ذكية ، أن العرب جثة هامدة ، وأن العرب وفى مقدمتهم مصر لن تقوم لهم قائمة ، وبذلك سدت كل الأبواب أمام أى حل سلمى عادل ، نفرضت الحرب حتميتها ولم يبق أمامنا الا الصراع المسلح .

القســـم الثانى

وانتقل الآن الى الاستراتيجية العسكرية المصرية لحرب اكتوبر ١٩٧٣ وابدؤها.

١٤ — بطبيعة وشــكل الحرب :

أ — فرغم أن حربنا مـــع اسرائيل هى حرب عـــادلة لانهـــا قامت لاسترداد الحق ، الا أنـــه لـــم يكن غائبا عن الذهن قيـــود وحـــدود الصراع المسلح فى ظروف العصر ، فهى حرب تدور فى موقف عالمى بالغ التعقيد قائم على ضوابط التوازن النووى وسياســـة الوفـــاق بـــين القوتـــين الاعظم اللتين فرضتـــا الاسترخاء العسكرى فى المنطقة مـــع تناقض اهتماماتهما السياسية والاستراتيجية فى منطقـــة الصراع .

من خـــلال هذا المفهوم كـــان لابد من وضـــع استراتيجية عليـــا تحسب الخطوات وتحدد آثارها وردود فعلهـــا فى المنطقـــة العـــربية وفى العالم ، بعد أن فرض الموقف الـــدولى أسلوبا خاصـــا فى ادارة الصراع المسلح فى المنطقـــة قيـــد شكله ومداه .

ب — وبنـــاء على ذلك ، تـــم التخطيط لحـــرب أكتوبر ١٩٧٣ على أنهـــا حرب محلية شاملة تستخدم فيها الاسلحة التقليدية فقط ويكـــون لهـــا أهداف استراتيجية حاسمة بحيث تقلب الموازين فى المنطقة ، وتهـــدم نظريات اسرائيل ودعائم استراتيجيتها ، وتمتد زمنيا لفترة تتيح تدخـــل الطاقات العربية الاخرى وتفرض ثقلهـــا على نتائج الحـــرب .

جـ — وتحقيقا لذلك ، كان من ضمن أهداف الاستراتيجية العليا للدولة تحدى نظرية الأمن الاسرائيلى ، وذلك عن طريق عمـــل عسكرى يكـــون هدفـــه الحـــاق أكبر قدر من الخسائر بالعدو واقناعـــه ان مواصلـــة احتلاله لاراضينا يفرض عليه ثمنـــا لا يستطيع دفعـــه ، وبالتالى فان نظريته فى الامن القائمـــة على أساس التخويف النفسى والســـياسى والعســـكرى ليست درعـــا من الفولاذ يحميه الآن أو فى المســـتقبل.

١٥ — الاعتبارات الرئيسية التى بنيت عليها استراتيجية الحرب :

وبعد أن استعرضنا طبيعة وشـــكل الحرب المحلية فى عصرنا الحـــاضر ، سأوضح الاعتبـــارات الرئيسيـــة التى بنيت عليهـــا الاستراتيجية المصريـــة لحـــرب اكتوبر . والذى أريد أن أؤكده منذ البداية أنهـــا استراتيجية مصرية صميمة لـــم تستورد مـــن الشرق أو الغرب وضعت مـــن واقـــع مـــرير عاشته مصر والامة العربية بعد هزيمة ١٩٦٧ ، ثـــم غذتها واغنتها بمتابعـــة

واستغلال التقدم العلمى والتكنولوجى العسكرى العالمى ، وساغتها بالعرق والدم من دروس الحروب السابقة . وسأكتفى بأربعة نقط من الأسس التى بنيت عليها الاستراتيجية العسكرية المصرية .

أ — وكان الاساس الاول : دروس نكسة يونيو ١٩٦٧ :

ففى تلك الحرب ، لم تكن لدينا استراتيجية شاملة للدولة تحقق التوازن والتنسيق بين الهدف السياسى للدولة وقدرتها العسكرية ، بل أن القوات المسلحة فوجئت بقرارات سياسية لم تكن على علم بها لتستعد لتنفيذها ولما بدأت تنفيذها كانت فى صورة مظاهرة عسكرية لدعم القرار السياسى وكان على القوات المسلحة أن تحشد فى سيناء دون أن تعلم الهدف الاستراتيجى العسكرى المطلوب تحقيقه ، وبالتالى فقدت القوات المسلحة اتزانها قبل ان تبدأ الحرب، كما فقدنا الرأى العام العالمى الذى أصبح ضدنا ، وعندما نشبت الحرب كانت تصرفات القيادة العسكرية منفصلة عن القرارات السياسية ولا تتمشى مع الظروف العسكرية ولذلك أصبحت القوات المسلحة ضحية من ضحايا نكسة ١٩٦٧ وليست سببا من أسبابها.

وقد أمكن تدارك ذلك قبل حرب ١٩٧٣ ، حيث وضعت استراتيجية شاملة للدولة — لاول مرة — تلعب فيها القوات المسلحة الدور الرئيسى، تؤيدها مصادر القوى الاخرى ولعل أبرز سماتها أن الجهد السياسى المخطط هيأ أنسب الظروف الداخلية والعربية والعالمية لبدء العمل العسكرى . وفى نفس الوقت وضعت القيادة العسكرية أمام القيادة السياسية ثلاثة توقيتات خلال عام ١٩٧٣ لتبدأ فيها الحرب . وبنفس المهارة اديرت السياسة خلال الحرب لتدعيم العمل العسكرى واستغلال نتائجه بعد الحرب .

ب — وكان الاساس الثانى فى الاستراتيجية المصرية هو هدم نظرية الامن الاسرائيلى ، التى تعتمد على الردع النفسى والمادى ، والاحتفاظ بالحدود الآمنة على خط القناة ، لذلك كان علينا :

(١) اتخاذ قرار المبادأة باستخدام القوة المسلحة ، حيث ان اطلاق الرصاصة الاولى يعنى تحديا عمليا لاسلوب الردع النفسى . كما كان الهجوم الشامل وليس مجرد حرب استنزاف يعنى هدم أسلوب الردع المادى .

(٢) أما بالنسبة لاحتفاظ العدو بالحدود الآمنة فى منطقة القناة ، فقد كان علينا اختراق وتدمير الخطوط الدفاعية الحصينة التى أقامها

مهمـــا استندت على موانع طبيعية أو صناعيـــة ومهمـــا كلفنـــــا ذلك من تضحيـــــات .

(٣) واعتمدت النظرية الاسرائيلية فى تطبيقها على عـدة عناصر قوية ، كان علينا أن نبيدها أو نبطـــل تأثيرهـــا ، كما كانت هناك عناصر ضعف يجب أن نستغلها ــ وتطلب ذلك :

(أ) أن نعمل على حرمان العدو من مزايـــا توجيه الضربة الاولى ، وان نبدأ بتوجيه الضربة الاولى ضده لنستفيد نحن بمزاياها .

(ب) وأن نعمل على شل فاعلية قواته الجوية المتفوقة واضعافهـــا بواسطة نظـــام دفاع جوى قوى بالتعاون مع القوات الجوية .

(جـ) وأن نشـــل فاعلية قواته المدرعة القـــوية التى أعدها لتـــدمير قواتنا التى تنجح فى اقتحام قناة السويس بالمشـــاة المســـلحة بأكبر عـــدد من الاسلحة المضادة للدبابات ، تعاونها قـــوة نيران كثيفة من المدفعية فى المراحـــل الاولى الحرجـــة ، على أن يكون القتال معارك أسلحة مشتركة طوال مـــدة الحرب .

(د) وان نعرقـــل وصول احتياطياته من العمق ، وتشتيت جهـــوده ، وبث الذعـــر على خطوط مواصلاته وفى اتجاهـــات مختلفـــة بواسطة قوات الصاعقـــة .

(٤) وان ننسق العمـــل العسكرى بين مصر وسوريا لتشتيت جهوده بين الجبهتين ، وحتى يضطر الى بعثرة قواتـــه على الجبهة المصرية ، فقد كان الهجوم المصرى على أوســـع مواجهة .

(٥) وحيث أن النظرية الاسرائيلية يعتمد نجاحها على توفير المعلومـــات المبكرة عن نوايانا الهجومية ، فقـــد كان لزامـــا علينـــا أن نبـــذل كل جهـــــد ممكن لتضليل وخـــداع مخـــابراته وتحقيق المفاجأة .

(٦) وكان علينا اهـــدار قيمة التواجد العســـكرى الاسرائيلى فى شرم الشيخ ، بعرقلة خطوط مواصلاته البحريـــة فى منطقة باب المندب .

(٧) وبالاضافة الى ذلك فقد ركزت الاستراتيجية المصرية على الاستفادة بنقط القوة المصرية وهى كثيرة ، واستغلال نقط الضعف الاسرائيلية وهى كثيرة ، ولعـــل من أبرزها مواردها البشرية المحـــدودة التى يجب أن نوقع بها أكبر خســـائر ممكنة ، وكـــذا الغرور الاسرائيلى الذى ساعدنـــا فى مواقف كثيرة .

جـ — وكان الاساس الثالث للاستراتيجية المصرية : هو اعداد الدولة للحرب :
وكان العامل المتحكم فى هذا الموضوع هو اعداد القوات المسلحة للحرب.

وكانت مشكلتنا الرئيسية والوحيدة هى التسليح . ولنا مصدر واحد للامداد بالسلاح هو الاتحاد السوفيتى وله سياسته واستراتيجيته فى المنطقة وبالتالى له معاييره فى امدادنا بالسلاح ، سواء من ناحية الكمية او النوع أو التوقيت .

وادت الدراسة أنه لا مجال أمامنا سوى الحرب بما هو متيسر لدينا من أسلحة وذخيرة ومعدات ، وأن التخطيط السليم والتنفيذ الشجاع والاستخدام الصحيح للسلاح والروح المعنوية العالية هى التى تعوض ما نحتاج اليه وهنا يجب أن أذكر ان العدو اساء التقدير بالنسبة لهذا الموضوع ، فقد قدر خطأ ان الاستغناء عن الخبراء السوفييت عام ١٩٧٢ ترتب عليه عدم امكان القدرة المصرية على الحرب ، وقدر خطأ أن مصر لن تبدأ الحرب قبل حصولها على الطائرات المتطورة للتعادل مع القوة الجوية الاسرائيلية المتفوقة . وكنا نغذى هذا المفهوم الخاطىء لدى المخابرات الاسرائيلية كجزء من خطة تضليلها .

د — وكان الاساس الرابع للاستراتيجية المصرية : هو دور الطاقات العربية :
فقد بنيت الاستراتيجية العسكرية المصرية على أساس ادارة الصراع المسلح بالامكانيات الذاتية لمصر بالتنسيق مع سوريا ، وأن القتال نفسه سيتيح الفرصة لاستغلال الطاقات العربية .

١٦ — وفى ضوء هذه الاسس الاربعة بالاضافة الى غيرها من الاسس والاعتبارات والمبادىء ، وضعت الفكرة الاستراتيجية للحرب على الجبهة المصرية بالتنسيق مع الجبهة السورية .

١٧ — وبدأت الحرب بمبادأة منا يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، واشتملت على العديد من المعارك مما يصعب عرضها فى هذا المجال تاركا ذلك لمناقشاتكم التخصصية فى هذه الندوة ، ولكنى أود أن أضع أمامكم بعض الحقائق .

أ — ان التخطيط للحرب وتنفيذها كان مصريا خالصا .

ب — ودخلنا الحرب ونحن نعلم أن العدو لديه التفوق الجوى من حيث أنواع الطائرات .

جـ — ودخلنا الحرب ونحن نعلم أن اقتحام قناة السويس كمانع مائى فريد فى مواصفاته الفنية يعتبر من أعقد العمليات ، واشعال

النيران فى القناة يعتبر مانعا ثانيا ، والساتر الترابى يعتبر مانعا ثالثا ، والمواقع الحصينة لخط بارليف يعتبر مانعا رابعا ، ورغم ذلك فقد كان نجاح الاقتحام امرا حتميا ، وان كان بدأ للكثيرين انه أمر مستبعد .

د — ودارت المعارك فاتسمت بكفاءة التنفيذ والاستخدام الجيد للاسلحة المعقدة وشجاعة المقاتلين والقدوة الحسنة من القادة وروح المبادأة والمرونة التى كانت لديهم .

القسم الثالث

النتائج والدروس الاستراتيجية لحرب أكتوبر ١٩٧٢

وانتقل الى الجزء الاخير من كلمتى ، وهو عن أبرز النتائج والدروس الاستراتيجية لحرب أكتوبر ١٩٧٣ .

اولا : أما عن النتائج الاستراتيجية :

١ — لقد كان هدف اسرائيل خلال هذه الحرب هو منع القوات المصرية من اقتحام قناة السويس وتدمير القوات التى تنجح فى عبورها وايقاع هزيمة بالقوات المسلحة المصرية ، تكون نتيجتها استسلام مصر لشروط اسرائيل السياسية ، ولم يكن هناك شخص فى اسرائيل يشك فى ذلك كما كانت هناك دول كثيرة تعتنق نفس المفهوم .

٢ — وكان هدفنا ، هو هدم نظرية الامن الاسرائيلى وهزيمة التجميع الرئيسى لقوات العدو فى سيناء وتكبيده أكبر قدر من الخسائر لأقناعه بأن مواصلة احتلاله لاراضينا يكلفه ثمنا باهظا . وهنا نتساءل هل حققت اسرائيل أهدافها الاستراتيجية العسكرية من الحرب — أم لا ؟

٣ — لقد اقتحمت قواتنا قناة السويس وحطمت دفاعات خط بارليف وأوقعت الهزيمة العسكرية بالتجميع الرئيسى للعدو وكبدته خسائر فادحة وأجبرته على الانسحاب لاول مرة فى تاريخه تحت ضغط القوة العسكرية ، وتغيرت الموازين الاستراتيجية فى المنطقة نتيجة لهذه الحرب .

٤ — وتحطمت نظرية الأمن الاسرائيلى وثبت أن فكرتها عن الحدود الآمنة خاطئة وتعتبر مصدرا دائما للتوتر فى المنطقة فقد انتصرت اسرائيل عام ١٩٦٧ من حدود اعتبرتها غير آمنة ، وهزمت عام ١٩٧٣ على الجبهة المصرية من خطوط اعتبرتها آمنة ولاشك أن هذه

النظرية تذكرنا بنظرية المجال الحيوى التى اعتنقها ونادى بها هتلر والتى كان مصيرها الفشل فى الحرب العالمية الثانية وانتهت بالمانيا النازية الى الدمار .

٥ — ولقد صدمت هذه الحرب المجتمع الاسرائيلى وهزته هزا عنيفا من الداخل ، ففقد ثقته فى قادته وجيشه وسياسة حكومته التى غرست فى عقيدته أهداف التوسع والقوة وفرض الامر الواقع على العرب ، لقد فقد المجتمع الاسرائيلى فى حرب اكتوبر ١٩٧٣ من الخسائر فى القوة البشرية أكثر مما تحمله فى الحروب الثلاثة الماضية السابقة ، وآن لاسرائيل أن تعيد صياغة مبادئها ونظرياتها على أسس جديدة فى ضوء نتائج هذه الحرب .

٦ — ونتيجة لهذه الحرب استعادت مصر والامة العربية شرفها وكرامتها ، وعبر المجتمع المصرى والعربى فترة الظلام الى فجر العزة والقوة ، وخرجت مصر من هذه الحرب بعد أن استعادت ثقتها فى نفسها وفى حاضرها ومستقبلها ، كما استعاد الانسان العربى فى كل مكان فى العالم احترامه لنفسه واحترام العالم له .

٧ — وعلى المستوى الدولى بدأ العالم منذ أكتوبر ١٩٧٣ يعيد حساباته ومواقفه بالنسبة للمنطقة على أساس الحقائق الاستراتيجية التى فرضتها نتائج هذه الحرب لصالح الحق العربى المشروع .

ثانيا : أما عن الدروس الاستراتيجية المستفادة :

لقد كانت هذه الحرب أكبر حرب محلية شاملة تتم تحت ظروف الوفاق الدولى ، واستخدم فيها اكبر حشد من القوات والاسلحة والمعدات الحديثة المتطورة لم يشهده تاريخ الحروب فى هذه المنطقة . وقد تميزت باستخدام الصواريخ كعلامة بارزة فى عمليات القوات البرية والبحرية والجوية والدفاع الجوى ، الى جانب استخدام الحرب الالكترونية والالكترونية المضادة .

وقد اشتملت حرب أكتوبر ١٩٧٣ على دروس مستفادة عسكرية كثيرة سارتكز على أهمها وهى :

أولا : لقد سجل التاريخ العسكرى الحديث امكان تحقيق المفاجأة فى الاراضى الصحراوية المكشوفة . فقد تحققت فى الحرب العالمية الاولى وتحققت فى الحرب العالمية الثانية فى ظل وسائل الاستطلاع والمخابرات المحدودة . وقد حققناها فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ رغم التطور الهائل فى وسائل الاستطلاع والمخابرات الحديثة ، الامر الذى يثبت امكانية تحقيق المفاجأة فى الحرب الحديثة .

ثانيا : أن المعركة الحديثة سوف تبقى معركة أسلحة مشتركة تتعاون فيها جميع الاسلحة لتحقيق مهمة واحدة أو هدف واحد . وقد كان واضحا أن اعتماد اسرائيل على دباباتها فقط فى معارك كثيرة سبب فشلها فى هذه المعارك . وفى الجانب المصرى حققت معركة الاسلحة المشتركة نجاحا بارزا على المستوى التكتيكى . كما أن تعاون جميع أفرع القوات المسلحة حقق نجاحا على المستوى التعبوى والاستراتيجى .

ثالثا : عدم امكانية تحقيق السيادة الجوية حتى ولو كانت القوات الجوية لأحد الطرفين متفوقة نوعيا وعدديا على الطرف الآخر ، طالما أن هناك نظام دفاع جوى قوى . ولكن ستظل القوات الجوية تلعب دورا رئيسيا فى الصراع المسلح وسيظهر صراعا اكبر بين نظم ووسائل الدفاع الجوى لملاحقة التطور الهائل فى القوات الجوية والحرب الالكترونية .

رابعا : اثبتت الصواريخ المضادة للدبابات كفاءتها فى القتال البرى ضد الدبابات ودمرت العديد منها بمعدلات عالية ، الامر الذى جعل التساؤل يدور حول دور الدبابة فى المعركة الحديثة — ولاشك أن الدبابات ستظل تلعب دورا رئيسيا فى القوات البرية ، وسيستمر الصراع بينهما وبين الاسلحة المضادة للدبابات فى المستقبل كما حدث فى الماضى .

خامسا : أن الحرب المحلية فى العصر الحديث أصبحت باهظة التكاليف ، وفادحة الخسائر فى الافراد والمعدات .

كما تطلبت نتائج هذه الحرب ، اعادة النظر فى معدلات الاستهلاك لاستعاضة الذخائر والمعدات والافراد — فلولا الجسر الجوى الامريكى لاسرائيل خلال الحرب ، والذى بلغ حجمه أكثر من ٢٢٫٠٠٠ طن من المعدات العسكرية ، لتغير الموقف بالنسبة لاسرائيل . ونظرا للقيود التى فرضت علينا فى التسليح من مصدر واحد ولم يكن لدينا مصادر أخرى مفتوحة أمامنا ، فقد خرجنا بدرس مستفاد من هذه الحرب ، وهو ضرورة تنويع مصادر التسليح وتوفير قدرة وطنية اكبر على التصنيع الحربى .

سادسا : لقد اثبتت حرب أكتوبر ان النصر أولا وأخيرا يرجع الى الفرد ، المؤمن بهدفه وعدالة قضيته المتقن لعمله هكذا كان شأن المقاتل المصرى فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، ايمان راسخ وكفاءة عالية كشفت الهالة التى احاطت بالمقاتل الاسرائيلى والتى ثبت انها دعاية أكثر منها حقيقة .

تلك هى بعض النتـــائج والدروس .

واختتـــم حديثى بالقول ، أن حـــرب اكتوبر ١٩٧٣ تعتبر نصرا لمصر والعرب ، ونقطـــة تحـــول فى تاريخ الصراع العربى الاسرائيلى لصالح الحق العربى .
ففى خلال الربع قرن الماضية دارت اربعـــة حروب فى المنطقـــة ، بـــدأت اسرائيل ثلاثـــة منهـــا بغرض العدوان والتوسع ، وبدأنا نحن العرب الحرب الرابعة لتحرير أرضنـــا واعـــادة حقوقنا وتحقيق السلام والعـــدل .

فنحن نريد ونصمم على تحرير أرضنـــا وهذا حـــق ونريد استعادة حقوق شعب فلسطين وهذا عـــدل وتحقيق الحق والعدل ، هو السبيل الى الســـلام فى هذه المنطقـــة .

وشكرا ؟

تحليل عسكرى

لحرب أكتوبر

الكولونيل تريفور ٠ ن ٠ ديبوى

كتب الكثير عن حرب أكتوبر ١٩٧٣ ٠ غير أن مانشر فى صحافة الغرب — باستثناء القليل منه — تأثر بأن مصادر المعلومات الرئيسية المتاحة فى الغرب جاءت بصورة مباشرة أو غير مباشرة من اسرائيل . فقد ترجم عدد كبير من الكتب والمقالات التى كتبها مؤلفون اسرائيليون الى اللغة الانجليزية فى حين انه لم يترجم من المطبوعات العربية الى لغات الغرب الا القليل الامر الذى أعطى ما حدث صورة الانحياز الى جانب واحد فقط . يضاف الى ذلك ان التقارير المختلفة كان يشوبها الكثير من التناقص وعدم الترابط كما ان الحكومة الاسرائيلية والحكومات العربية لم تقدم حتى الان معلومات شاملة منشورة يمكن الاعتماد عليها .

وكأساس للتعليق على الاستراتيجية والتكتيك والتكنولوجيا التى أثرت على سير الحرب وعلى نتائجها سأحاول تقديم ملخص للاحداث الرئيسية متوخيا الحياد قدر المستطاع فى عرض الحقائق التى يحيط بها الخلاف والجدل .

وسأتناول الاعتبارات السياسية من ناحية أهميتها العسكرية فقط ولن أتناول قضايا الخطأ والصواب من النواحى المعنوية أو السياسية أو التاريخية .

لقد أوضحت حربا ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ التفوق العسكرى الاسرائيلى على القوات المسلحة العربية . وقد بدأ هذا التفوق جليا فى مرونة وخيال القيادة القتالية وفى القدرة المتفوقة فى استخدام أحدث أسلحة الحرب المتحركة التى تتصدرها الطائرة والدبابة . ومن ناحية أخرى فان معظم الاسرائيليين ومن خلالهم معظم النقاد الغربيين البعيدين عن مسرح الاحداث بالغوا فى تصوير هذا التفوق . وجنحوا الى التغاضى عن أنه فى حرب ١٩٥٦ لم تهتم مصر بالقتال بينها وبين اسرائيل بقدر ما اهتمت بالغزو الانجليزى الفرنسى لمنطقة قناة السويس وأن الأوامر صدرت الى القوات المصرية بالانسحاب الى قناة السويس قبل أن يحسم الامر نهائيا فى صحراء سيناء . وقد أغفلوا أيضا أن الرئيس عبد الناصر لم يكن يتوقع أبدا أن تؤدى تهديداته العسكرية والسياسية ضد اسرائيل عام ١٩٦٧ الى الحرب . ورغم أنه لاجدال فى أنه أشعل الحرب بهذه التهديدات . فان مصر لم تكن مستعدة وضاعف من ذلك ضعف مقدرة كبار المسئولين فى القيادة العسكرية المصرية مما جعل القوات المسلحة المصرية تنسحب مرة أخرى الى القناة قبل ان ينجلى الموقف تماما فى سيناء .

وأرجو الا يساء فهمى اذا قلت أنه ربما كانت النتيجة ستكون واحدة فى كلا الحربين لو أن المصريين بذلوا قصارى جهدهم ضد الاسرائيليين . الا أن الحرب كانت ستستمر مدة أطول وكان الاسرائيليون وبقية العالم سيغيرون رأيهم بعض الشىء فى الصفات القتالية للمصريين .

أما بالنسبة للأردنيين فانهم فى عام ١٩٦٧ حاربوا أفضل من المصريين الى حد ما وأفضل كثيرا من السوريين ، ولكن الفرصة لم تسنح لهم أبدا بمجرد أن تحطم سلاحهم الجوى المتواضع وشدد السلاح الجوى الاسرائيلى غاراته عليهم ، وأقصى ما يمكن أن يقال عن أداء السوريين فى حرب ١٩٦٧ هو أنه كان أداء يشوبه الارتباك وعدم التنسيق . فأى شخص شاهد المرتفعات الحادة الحصينة التى اجتاحها الاسرائيليون فى أقل من يومين من القتال لا يسعه الا أن يحترم الميزات القتالية للقوات الاسرائيلية فقط ولكنه سيتساءل فى نفس الوقت عما جرى للسوريين .. ؟؟ وحقيقة كان يوجد خطأ معين يتمثل فى أن الجيش السورى أنما هو الجيش الذى مر بتقلبات سياسية مستمرة مع تغييرات متعددة شملت كل القيادة العسكرية مما أدى الى خروج عديد من الضباط فى حركات التطهير . وكانت النتيجة أن القيادة صارت تتسم بالعجز على كل المستويات ومع وجود السلاح الجوى الاسرائيلى بقوته الرهيبة فقد تضاعف الاثر .

وقد كان لحرب الاستنزاف من ١٩٦٨ — ١٩٧٠ على طول قناة السويس بعض الاثر على التفكير العسكرى فى كل من مصر واسرائيل — اذ دفعت التجربة بالاسرائيليين الى استحداث مزيج فريد فى نظريات الدفاع الخطى والدفاع المتحرك بأنشاء خط بارليف (*) الذى وفر فيه خطا رفيعا من المواقع الحصينة الامامية والمحتلة بأعداد ضئيلة من الافراد ، مع امكانية المراقبة وتوفير قاعدة لمناورة القوات المدرعة خفيفة الحركة . وأعتقد الاسرائيليون أن هذا الدفاع الخطى المتحرك تحت غطاء سلاح طيرانهم المتفوق جدا سوف يمكنهم من عرقلة أو ربما من وقف أى هجوم مصرى محتمل يجىء لهم عبر قناة السويس الى أن يتمكن نظام التعبئة الاسرائيلى الكفء من التغلب على أى عدد من المصريين الذين يكونون قد أكتسبوا موقعا أوليا لاقدامهم على الشاطىء لشرقى للقناة . ولكن كان الاسرائيليون واثقين الى حد كبير بأن تجارب حرب ١٩٥٦ وحرب ١٩٦٧ تكفى لان تثنى المصريين ومستشاريهم الروس عن مجرد محاولة عبور القناة باعتبارها محاولة خطيرة باهظة التكاليف . ولقد زادت تلك الثقة حينما أمر الرئيس السادات المستشارين العسكريين الروس بالخروج

(*) أكتسبت نظرية خط بارليف مضمونا استراتيجيا بالغ الحيوية يعطيها اهمية خاصة لان سقوط الخط كان يعنى انهيار نظرية الامن الاسرائيلى ذاتها ، وحدودها الامنة « انظر تعليق اللواء طه المجدوب حول تقييم نظرية خط بارليف وتطبيقها كنظام دفاعى متكامل ص ٢٢٥ » .

من البلاد فى صيف عـــام ١٩٧٢ . اعتقد الاسرائيليون أن المصريين يفتقرون الى الكفاءة والحنكة التى تمكنهم من وضع خطة وتنفيذ عمليـــة عسكرية معقدة كعبـــور مانع مائى رئيسى مثـل القنـــــاة .

ولقـــد أعطت حـــرب الاستنزاف ــ على الاقل ــ رجـــال المدفعية المصريين فرصة للتدريب على اصابة الهدف . كما أنها كشفت لهم عن قدرات صواريخ ســـام أرض / جو الروسية الصنع على تحـــدى السيطرة الاسرائيلية على الجـــو . تلك السيطرة التى لم تكن تقبل التحدى حتى ذلك الوقت . وعلاوة على ذلك فقد أعطت الروح المعنوية المصرية دفعة كانت مصر فى أشد الحاجة اليها وذلك من خلال تبـــادل اطلاق النار مع العدو ومن تنفيذ اغارات عبر القناة بواسطة الكوماندوز (الصاعقة) والمشــــاة .

ولسوء الحظ فاننا لا نعلم الكثير عمـــا كان يدور داخل سوريا وعلى الأخص فى داخل الجيش السورى . الا أنه فى عـــام ١٩٧٠ تمكن نظام جديد من الاستيلاء على السلطة والاحتفاظ بها . الامر الذى أعطى بعض الاستقرار المطلوب للقـــوات المسلحة السورية . ولقد كان ذلك النظام نظاما عسكريا . على دراية بأوجه النقص العديدة وكانت لديه الرغبة فى القيـــام بأى عمل ضرورى لاصلاح أوجه النقص تلك واستخدام المعونة السوفيتية فى تحسين التسليح والقدرة القتالية بدرجة ملحوظة .

يبدو أن الرئيسين السادات والاسد قررا ـ فى نوفمبر ١٩٧٢ ـ القيام بعمل عسكرى مؤثر ضد اسرائيل فى خريف عام ١٩٧٣ حيث سيكونان أقوياء عسكريا بالقدر الكافى الذى يمنكهم من الأداء الفعال وذلك بفضل المعونة السوفيتية من المعدات والتدريب . ولا أحد يعلم كيف قدر السوريون حساباتهم . غير انه من الواضح أن كلا من الرئيس السادات ووزير حربيته المشير أحمد أسماعيل على لم يتوهما قط بأن مصر قد وصلت أو يمكن أن تصل فى القريب العاجل الى التساوى مع اسرائيل تكتيكيا أو فنيا . فقـــد كانا يدركان أن نتيجة الحرب ربما تكون نصر اخر لاسرائيل . وكان الرئيس السادات مقتنعا بأن اسرائيل راضـــية بالوضع الراهن . وبالضم الواقعى للاراضى التى احتلتها عـــام ١٩٦٧ ولذلك فانها لن تقوم بأى تحرك نحو المفاوضات المعقولة الا بضغط من احدى أو كلتا القوتين العظميين . وبدا أن السبيل الوحيد للتحرك نحو تســـوية مشكلة الشرق الاوسط هو عن طريق الاسراع بعمل يكون من شـــأنه أرغام القـــوى العظمى والامم المتحدة على الاهتمام بموقف اللاسلم واللاحرب فى الشرق الاوسط .

ورغم أن المشير اسماعيل كان يدرك خطورة وقوع هزيمة أخرى فقد كان واضحا أنه يؤمن بأمكان احراز نجاح عسكرى محدود اذا مـــا أمكن اســـتغلال العـــوامل السياسية المواتية واذا ما أمكن ايجاد الوسائل التى تؤدى الى الحد من ، أو التغلب على عوامل التفوق العسكرى الاسرائيلى المعروفة والتى لا يمكن انكارها مع العمـــل فى نفس الوقت على تدعيم المزايا المصرية الاساسية رغم قلتها . وفيمـــا يلى عرض للأسس التى يظهر أن فكرة خطة المشير اسماعيل قد قامت عليها :

١ — من المستحيل احراز نصر عسكرى كامل لاى من الجانبين فهـذا هـو ما لن تسمح به القوتان العظميان .

٢ — يجب عمل كل ما هو ممكن للحد من فاعلية التفوق الجوى الاسرائيلى وقد كانت صواريخ سـام — ٢ وسـام — ٣ التى ثبتت فاعليتها مع حـرب الاستنزاف مضافا اليها صواريخ سام — ٦ المتحركة ومدافع زد — اس — يو — ٢٣ — ٤ الالية الفتاكة بالاضافة الى عدد كبير من صواريخ سام — ٧ المحمولة على الاكتاف ، هى الوسائل الرئيسية التى أمكن بها تحقيق ذلك الهدف . غير أنه تم اتخاذ اجراءات أخرى كثيرة بالاضافة اليها . مثل بناء ممرات عديدة للهبـوط والاقلاع وبناء دشم للطائرات . وقد كان الهدف من ذلك هـو تمكين القوات الجوية من تلقى الضربات الجوية الاسرائيلية والاحتفاظ فى نفس الوقت بالقدرة على تنفيذ مهام الحماية الجوية والقيام بالمهام الاعتراضية .

٣ — انه لا بد من التغلب على التفوق الفنى والتكتيكى الاسرائيلى وخاصـة فى الاسلحة المدرعة المتحركة بأستخدام التكتيكات الدقيقة وباستعمال معـدات سوفيتية حديثة مضـادة للدبابات .

٤ — انه عن طريق التدريب والانضباط العسكرى والتوعية يمكن بث الثقة فى نفس الجندى المصرى وفى اسلحته الجديدة كما يمكن أن تبث فيه أيضا روح الصمود فى القتال وبخاصة بالنسبة للقتال الدفاعى الذى يعتبر المصـريون انفسـهم متفوقين فيه على الاسرائيليين .

٥ — انه يجب استغلال ضعف القوة البشرية الاسرائيلية وكـذا الحسـاسية الاسرائيلية الزائدة تجاه الخسائر فى الافراد بارغامها على الحرب تحت ظروف لا تمكنها من تحاشى وقوع الخسائر فيهم .

٦ — وفوق كل شىء يجب عمل كل ما يمكن عمله لضمان أن يحقق الهجوم العـربى المشترك اكبر قدر مستطاع من المفاجاة التكتيكية والاستراتيجية .

ولا اود ان ادخل فى تفاصيل التخطيط أو النجاح الملحوظ للاجراءات التى اتخذت لتحقيق عنصر المفاجاة . ويكفى أن اقول أن كفاءة الاحتراف فى التخطيط والاداء الذى تمت بها عملية العبور لم يكن ممكنا لاى جيش اخر فى العـالم ان يفعل ماهو افضل منها . ولقد كانت نتيجة هذا العمل الدقيق منجانب أركان الحرب وعلى الاخص عنصر المفاجاة التى تم تحقيقها هو ذلك النجاح الملحوظ فى عبور قنـاة السويس على جبهة عريضة .

واذا كان العبور المصرى للقناة هو أعظم منجزات الحـرب فان الجهـد الاسرائيلى فى التعبئة يأتى فى المرتبة الثانية بعـده فرغم وقـوع الاسرائيليين ضحايا لعنصر المفاجاة الاستراتيجية فقد قذفوا بقواتهم فى الميدان بسرعة وكفاءة

ملحوظتين . اذ وصل القادة والعناصر الامامية من الفرقتين الاحتياطيتين المخصصتين للفتح فى سيناء . الى الجبهة قبل ظهر يوم ٧ أكتوبر أى بعد أقل من عشرين ساعة من بدء الهجوم العربى * .

ولقد هزم الاسرائيليون فى يوم ٦ أكتوبر ، وقبل انقضاء الليل كانوا قد فقدوا معظم المائة دبابة التى كانت مرابطة كاحتياطى مباشر متحرك خلف النقط الامامية المحصنة . وفى اليوم التالى عندما بدأت بقية فرقة حامية منطقة سيناء العمل فقدوا تقريبا مائة دبابة أخرى . ورغم هزيمتهم مرة أخرى فقد تمكنوا من الحد من اتساع رأس الجسر المصرى وضيقوا نطاق هذا الاتساع اكثر مما كان يستهدفه غالبا المشير اسماعيل بالرغم مما ابداه من توقعات حذره . وفى اليوم الثالث هزم الاسرائيليون مرة أخرى فى الهجمات الانفرادية (على أجزاء) والتى أسىء التخطيط لها . وفقدو ما بين خمسين ومائة دبابة أخرى .

وفيما يلى أبرز ماحدث فى تلك الايام الثلاثة التى انهزمت فيها اسرائيل :

— نجح المشير اسماعيل فى جهوده لبث الثقة فى قواته من المشاة وفى أسلحتهم المضادة للدبابات والمضادة للطائرات التى أبعدت الطائرات الاسرائيلية وقد حارب رجاله كالاسود كما جاء فى التقارير الاسرائيلية .

— وبفضل مظلة الدفاع الجوى المشكلة من صواريخ سام ٢ ، وسام ٣ ، وسام ٦ ، وسام ٧ بالاضافة الى مدافع زد — أس — يو — ٢٣ — ٤ لم تتمكن الطائرات الاسرائيلية من العمل بكفاءة ضد الكبارى التى أقامها المصريون على القناة — أو ضد القوات البرية التى أشتبكت بنجاح كبير مع الدبابات الاسرائيلية .

— نجح المشاة المصريون بصفة خاصة فى استخدام قذائف أر . بى . ج . المضادة للدبابات والشبيهة بمدافع البازوكا وصواريخ « ساجر » الموجهة بالسلك ضد الدبابات الاسرائيلية . وزادت هذه الفاعلية بواسطة مدافع الدبابات ومزيد من صواريخ ساجر التى كانت على مصاطب رمال عالية على الضفة الغربية من القناة وكانت تشتبك على مدى بعيد مع الدبابات الاسرائيلية التى كانت تحاول الاقتراب من الشاطىء الشرقى بهدف نجدة حاميات النقط القوية الامامية المحاصرة .

(*) ان بدء وصول القادة والعناصر الامامية لايعنى اتمام أعمال التعبئة وفتح القوات ، والذى تأخر لمدة أطول من المخطط وشابه الكثير من الاخطاء مما ادى بلجنة اجرانات (اللجنة الاسرائيلية التى شكلت للتحقيق فى أوجه القصور التى برزت فى الجيش الاسرائيلى خلال الحرب) الى انتقاد أسلوب تطقيم الوحدات الاحتياطية وسوء التنظيم الذى صاحب هذه العملية ، وكذا أسلوب دفع هذه الوحدات الى جبهات القتال ، (أنظر تقرير لجنة اجرانات الذى نشر يوم ٧٥/١/٣٠) .

ومن الخطأ أن نعتقد — كما فعل كتاب كثيرون — بأن فترة من الهدوء قد سادت جبهة سيناء فى الايام الخمسة التى تلت الفشل الاسرائيلى فى ٨ أكتوبر ، فقد استمر القتال بصورة شبه متصلة . اذا استمر المصريون فى الضغط لتحسين وتعميق رأس الجسر المصرى . كما شن الاسرائيليون العديد من الهجمات المضادة بالسرايا والكتائب بل وبالألوية لمنع المصريين من اى تقدم رئيسى . وهكذا لم تكن هناك فترة هدوء على عكس ما قيل بعد الحرب .

وفى نفس الوقت كان القتال على جبهة الجولان أشد اثارة من ذلك . فقد كانت التحصينات الاسرائيلية على الجولان محصنة مثل تحصينات خط بارليف على الاقل . ورغم انه لم يكن لدى الاسرائيليين خندق ضد الدبابات مثل قناة السويس . فقد كان لديهم خندق مضاد للدبابات صناعى صغير على امتداد خط وقف اطلاق النار متداخل مع نظامهم الدفاعى المتمثل فى النقط الحصينة وحقول الالغام . وكما كان الحال فى منطقة السويس فقد كانت النظرية الدفاعية الاسرائيلية هى الاحتفاظ بقوة مدرعات متحركة خلف نقط المراقبة الأمامية لخط التحصينات وكانت هذه القوة المتحركة تتألف من لواءين مدرعين احدهما اللواء المدرع السابع الذى يعد افضل وحدات الجيش الاسرائيلى وثانيهما هو اللواء ١٨٨ المدرع أو (لواء باراك) الذى يتألف بعضه من وحدات نظامية وبعضه الآخر من وحدات من الاحتياطى . وقد كان هذا اللواء أقل قليلا من قوته الكاملة (طبقا للمرتب) حيث كان لديه أقل من تسعين دبابة بدلا من ستة وتسعين .

ولا شك فى أن السوريين قد تحسنوا كثيرا منذ أدائهم المخزى فى عام ١٩٦٧ فقد هاجمت فرقة المشاة السابعة المدعمة ببعض العناصر من فرقة المشاة التاسعة اللواء السابع الاسرائيلى المدرع شمال القنيطرة حيث وضحت منها بعض مظاهر الفوضى والقصور فى التدريب فى اندفاعها المتحمس والمتهالك فى نفس الوقت الى الهجوم ومن ناحية أخرى بدت الفرقة الميكانيكية الخامسة التى كانت تقوم بالجهد الاعظم فى الجنوب ضد لواء باراك افضل كثيرا من ناحية النظام والاعداد .

ورغم عنصر المفاجاة الذى امكن للهجوم السورى أن يحققه فان اللواء الاسرائيلى السابع المدرع فى الشمال لم يجد مشقة كبيرة فى احباط جهود فرقة المشاة السابعة لاقتحام المواقع الدفاعية الوعرة المطلة على الطرق التى يتقدم عليها السوريون . وكان النصر الوحيد الذى أحرزه السوريون فى الشمال هو الاستيلاء على موقع مراقبة اسرائيلى على جبل الشيخ ظهر يوم السادس من أكتوبر .

ومع ذلك فقد كان الوضع مختلفا جنوب القنيطرة . فان اتحاد عوامل المفاجاة والتفوق فى عدد الدبابات مع توفير الارض الصالحة للمناورة خصوصا بالنسبة للدبابات والدفاع الاسرائيلى الضعيف بعض الشىء — قد أسهم فى الاختراق الرئيسى الذى حققه السوريون . فخلال ليلة السادس وطوال يوم السابع من اكتوبر استبسل اللواء

باراك الاسرائيلى (ل ١٨٨ مدرع) فى القتال ولكنه لم ينجح فى وقف التقدم السورى . بحلول ظهر يوم السابع من أكتوبر أوشك لواء باراك على الانتهاء . ثم توالى بعد ذلك وصول مجموعات صغيرة من المشاة ومن الوحدات المدرعة الاحتياطية الاسرائيلية حيث قذف بهم القادة الاسرائيليون اليائسون الى المعركة . ولا يوجد شك فى انه اذا كانت الفرقة الميكانيكية (السورية) الخامسة قد واصلت التقدم لامكنها أن تصل الى المرتفعات المطلة على نهر الجليل ووادى الاردن . فقد تمكن فعلا بعض السوريين من الاقتراب من البحيرة والنهر .

غير أن السوريين لم يواصلوا الضغط ومازلت لا أعرف تبريرا معقولا لذلك القصور . وقد يكون السبب متعلقا بالامدادات حيث ظهرت كثير من الدبابات السورية ربما يبدو معه أن وقودها قد نفذ . ومن المحتمل أن يكون السبب راجعا الى المبالغة فى الثقة بالنفس وتوقع أن يستمر التقدم فى اليوم التالى بعد اعادة التجميع والتزود بالوقود . كما قد يرجع أيضا الى وجود قصور فى التخطيط والقيادة اذ تخبطت القوات لان القادة لم يتمكنوا من مجابهة النجاح غير المتوقع .

ومهما كان السبب على كل حال فقد قضى هذا القصور على كل الفرص المتاحة أمام السوريين لتحقيق الانتصار . ففى نهاية اليوم السابع من اكتوبر انهالت على الميدان قوات الاحتياطى الاسرائيلى التى تمت تعبئتها وبدأ سلاح الطيران الاسرائيلى الذى كان يضحى بنفسه يائسا لوقف التقدم السورى بدأ فى تدمير بعض قواعد صواريخ سام وبذلك قلل من فاعلية مظلة الدفاع الجوى . ومع صباح الثامن من اكتوبر كان الاسرائيليون قد أخذوا بزمام المبادرة فى المنطقة الجنوبية من الجولان عن طريق الجهوم المضاد بعناصر من فرقتين ولم تتمكن فرقة الدبابات السورية الاولى التى دفعت لمساعدة الفرقة الميكانيكية الخامسة من وقف التقدم الاسرائيلى الذى استمر على الرغم من بطئه .

ومن ناحية أخرى أصبح الوضع الاسرائيلى فى الشمال مهددا بالخطر فقد كلفت الفرقة المدرعة السابعة السورية بتدعيم فرقة المشاة السابعة التى كانت تتلقى ضربات قاصمة . وأدى ذلك الى أرهاق اللواء المدرع السابع الاسرائيلى الذى كان قد بعث باحتياطه فى اليوم السابق للمعاونة فى وقف الزحف السورى فى الجنوب . وقبل ظهر اليوم التاسع من اكتوبر أى بعد قتال متواصل لمدة ٧٢ ساعة تقريبا كانت البقية الباقية من اللواء السابع على وشك الانهيار . ولم يكن اللواء السابع وحده فى هذا بل كان السوريون أيضا على وشك الانهيار . ولهذا فبعد أن قام قائد اللواء السابع بابلاغ قائد فرقته أنه لا يمكن الصمود اكثر من ذلك بدأ السوريون فى التراجع .

وعندئذ تحرك الاسرائيليون الى الهجوم المضاد على طول الجبهة . وفى صباح اليوم العاشر من أكتوبر عادوا الى الخط القديم لوقف اطلاق النار وبدءوا فورا فى الزحف فى اتجاه دمشق . وفى اليوم الحادى عشر نصبت فرقة اسرائيلية كمينا لفرقة

عراقية كانت قد وصلت لتوها لتعزيز القوات السورية والحقت بها أضرارا جسيمة .
وفى اليوم الثانى عشر وصل الاسرائيليون الى منطقة سعسع حيث بدأت مدفعيتهم فى ضرب مشارف دمشق . ثم بدأوابعد ذلك فى تدعيم مواقعهم . وظلوا حتى وقف اطلاق النار لا يتعرضون لتهديد خطير رغم الهجمات المضادة التى قام بها السوريون والعراقيون والاردنيون .

وقد ادى هذا النجاح الاسرائيلى الى دفع السوريين فى الحادى عشر من أكتوبر لمطالبة المصريين البدء بهجوم جديد لتخفيف الضغط الاسرائيلى فى الشمال . وبتردد أمر المشير اسماعيل بشن الهجوم فى الرابع عشر من اكتوبر . وقام الجزء الاكبر من فرقة الدبابات المصرية الحادية والعشرين وجزء من الفرقة الرابعة وبعض الوية الدبابات الاخرى الذين كانوا فى الاحتياطى بعبور الكبارى ليشكلوا راس حربة لهذا الهجوم .

وكانت النتيجة فشلا كاملا . لقد حقق الاندفاع نحو ممر متلا وأبو رديس بعض المكاسب المؤقتة ولكن رؤوس الحراب تعرضت لضرب شديد من جانب الطائرات الاسرائيلية بعد أن خرجت عن نطاق الحماية الفعالة بواسطة مظلة صواريخ سام وحينئذ نالت المزيد من العقاب بواسطة الهجمات المضادة التى شنها المظليون والمدرعات الاسرائيلية حيث وضح فيها استخدام الصواريخ الامريكية الموجهة المضادة للدبابات والتى كان قد تم ارسالها حديثا . وقبل انقضاء اليوم فقد المصريون ما يقرب من ٢٥٠ دبابة دون أن يحرزوا اختراقات مؤثرة . أما خسائر اسرائيل فغالبا أنها كانت أقل من ٣٠دبابة . لقد كان الاسرائيليون قد قرروا محاولة عبور القناة الى الشاطىء الغربى وشجعهم هذا النجاح على التصرف فورا واحسنوا اختيار نقطة العبور وهى النقطة التى تدخل القناة فيها الى البحيرات المرة قرب الدفرسوار حتى يكون الجناح الايسر من القوة محميا بالبحيرة . وكان هذا المكان هو الذى يمر به خط الحدود للجيشين المصريين الثانى والثالث (*) وعرفت ادوريات وطائرات الاستطلاع الاسرائيلية انه لا تتوفر له الدفاع أو المراقبة الكافية من أى من الجيشين . وكانت خطة الاسرائيليين تقضى بأن تقوم فرقة بالاستيلاء على راس جسر ثم تقيم الكبارى اللازمة وبعد ذلك تقوم فرقتان مدرعتان أخرتان بالعبور والاتجاه جنوبا من راس الجسر لمحاولة عزل العناصر القتالية من الجيش الثالث على الشاطىء الشرقى من القناة .

وبدأ العبور الاسرائيلى بداية سيئة ، اذ ان المقاومة المستميتة غير المتوقعة حدت من جهود اللواء المدرع الامامى المكلف بتطهير الطريق شمالى البحيرة الى نقطة العبور التى تم اختيارها من قبل . الا أن الوحدة التى كونت راس الحربة بالنسبة للعبور والتى كانت مكونة من لواء من المظليين استطاعت ان تتجنب الوحدات المتقاتلة. وبعد منتصف الليل بقليل تمكنت تلك القوة من عبور القناة فى قوارب من المطاط دون

(*) الدفرسوار كانت تقع فى نطاق الجيش الثانى الميدانى .

أن تواجه مقاومة تذكر على الضفة الغربية . وباستخدام معـــديات البراطيم القليلة الموجودة فى ذلك الوقت عبرت كتيبة مدرعات قبل الفجر وتبعها الجزء الاكبر من لواء مدرع خلال النهار ، اما على الشاطىء الشرقى فقد قامت الفرقة المشاة السادسة عشر المصرية وكذلك بعض عناصر فرقة الدبابات الواحدة والعشرين المرابطة عند الجناح الأيمن للجيش الثانى بالرد بشده على ذلك الضغط ضد جناحها الايمن وأمكنها قطع الطرق شرقى نقطة العبور . وبذلك تم الايقاف الكامل لتحرك الاجزاء الكبيرة مـــن الكوبرى التى لايمكن أن تتحرك الا على الطـــرق .

وعجل هذا الموقف بالمعركة المعروفة بالمزرعة الصينية عندما قام الاسرائيليون فورا بهجوم مضاد لكى يعيدوا فتح طرق الاتصال بموقع العبور ولنقل الكبارى الى الامام . وفى وقت مبكر من يوم ١٧ أكتوبر اى بعد يوم وليلة من القتال المكثف تمكنت فرقة المتابعة من اعادة فتح الطرق الى راس الجسر والوصول بأحـــد الكبارى الى نقطة العبور فى الساعة الرابعة بعد الظهر وأصبح الكوبرى معد للاستعمال . ولكن ابطأت فرقة المتابعة فى الوصول الى الكـــوبرى وغيرت طريقهـــا بسبب اقتراب لواء الدبابات الخامس والعشرين المصرى من الجنوب ولكن الاسرائيليين اعـــدوا كمينـــا تقليديا دمروا فيه هذا اللواء . وعبرت الفرقة المدرعة الاسرائيلية الكوبرى خلال الليل بالرغم من نيران المدفعية المصرية الشديدة على الكوبرى . ويبدو أن القيادة العليـــا المصرية ادركت متأخرا فى ذلك الوقت خطر التوغل الاسرائيلى غرب القناة . وفشلت الجهود الاولية الاسرائيلية للانطلاق من رأس الجسر على طول قناة المياه العذبة غرب الدفرسوار ضد القوات المصرية التى أرسلت على وجه السرعة الى المنطقة . وعلى الرغم من تمكن أحد الالوية التابعة لشارون شرق رأس الجسر من الاغارة خلال نهاية يوم ١٦ على ثلاثة قواعد للصواريخ وتعطيلها عن العمل فقد نبه هذا العمل المصريين للخطر وبذلك تدافعت قواتهم لاحتواء التوغل . وبعد ظهـــر يوم ١٨ نجـــح لواءان اسرائيليان من فرقة المتابعة فى الانطلاق الى الشمال الغربى وقاما باغارة بعمق ٢٠ كيلو مترا خارج رأس الجسر ودمرا وحدات اخرى عديدة من صواريخ سام واجبرا المصريين على تغيير مواقع الوحدات الاخرى من هذه الصواريخ . ولقد أضعف هـــذا من مظلة الدفاع الجوى المصرى وبذلك تمكنت الطائرات الاسرائيلية من مســـاندة الوحدات البرية المهاجمة خارج منطقة رأس الجسر .

لقد تحاشيت حتى الآن ذكـــر اسم الجنرال أريل شارون الضابط الاسرائيلى الذى لحقت به اسوأ سمعة خلال الحرب . فقد كانت فرقة شارون هى التى قامت بالعبور الاول . وفى التاسع عشر من أكتوبر استطاع اقناع القيادة العليا الاسرائيلية بأن تسمح له بالهجوم صوب الشمال تجاه الاسماعيلية بدلا من الانضام الى القوات المتجهة نحو الجنوب ناحية السويس صوب مؤخرة الجيش الثالث . ونظرا لانه لم يحظ بشرف قيادة رأس الحربة للاندفاع نحو الجنوب فقد كان يطمع فى تحقيق المجد عن طريق قيامه بغزو مدينة الاسماعيلية . ولا أفهم كيف استطاع شارون أن يقنع رؤسائه بقيامه

بهجوم فى غير اتجاه المجهود الرئيسى الاسرائيلى . ويكفى القول بأن جهوده قد فشلت فى الاستيلاء على الاسماعيلية . ويرجع هذا فى المقام الاول الى الجهـود الـدفاعية الباسلة اتى بذلها لواء من المظليين المصريين خلال اليومين الثامن عشر والتاسع عشر .

وفى الوقت نفسه بـدأ الاندفاع الاسرائيلى نحو الجنوب ونحو مؤخـرة الجيش الثالث فى نفس يوم ١٩ اكتوبر أيضا . وفى مساء الثانى والعشرين من أكتوبر عندما بدأ سريـان وقف اطـلاق النار الاول كان الاسرائيليون قـد قطعـوا أحد الطـريقين الرئيسيين المؤديين من السويس الى القاهرة وكانت لهـم دوريات عبـر الطـريق الآخر . وتمكنت بعض عناصر من فرقـة الجنرال أفرام آدان من الوصول الـى شاطىء القناة بالقرب من الشلوفـة . وعموما فقد كان هنـاك تداخـل كبير بين الوحدات فى منطقة الشلوفة ومنطقة جبل جنيفـة ممـا حقق لكل من الطرفين أن يدعى فيما بعـد — وبحق الى حد ما — أن المنطقة كانت تحت سيطرته .

غير أنه فى هذه الليلة وفى وسط الموقف المرتبك شمال السويس لـم يكن هناك وقف حقيقى لاطلاق النـار رغم ما ظهر فى بادىء الامر من أن كـلا الطرفين كـان يلتزم بوقف اطـلاق النار بشـكل عـام فى معظم المواقـع الاخرى . وقـد انتهزت القيـادة الاسرائيلية العليـا فرصـة هذا الارتباك واصدرت أوامرهـا عامدة الى الجنرال آدان بالاستمرار فى الهجوم يوم ٢٣ أكتوبر رغـم وقف اطـلاق النار لكى يقطـع الطريق الموصـل الى السويس .

وفى مساء ذلك اليوم كانت عناصر أخرى من فرقـة الجنرال آدان قد وصلت الى ضفـة القناة فى مواقع أخرى بجـوار الشلوفـة وخليج السويس وقـرب معمل تكرير البترول جنوبى السويس وبذا قطع الاتصال بين هـذه المدينة وبين الغـرب رغم أن بعض الاتصالات غير المنتظمة ظلت قائمـة بين السويس والقاهرة لمـدة يـوم واحد بعد ذلك . وخـلال الليل استمرت فرقـة اسرائيلية أخرى فى مواصلة التقدم جنوبـا حيث وصلت فى صباح الرابع والعشرين الى خليج السويس عنـد الادبيـة . ولقد أدى ذلك الى عزل وحـدات الجيش الثالث الموجودة فى السويس وعلى الضفـة الشرقية للقناة عزلا كامـلا .

وفى ذلك الصباح قـرر الاسرائيليون أيضا محاولـة الاستيلاء على السويس ولكن رغم أن دباباتهم توغلت الى قلب المدينـة فقد كانت المقاومـة عنيفـة جـدا لدرجـة أجبرتهم على الانسحاب بعد أن أصيبوا بخسائر كبيرة ، فقد أجبـر المشاة الاسرائيليون على التوقف تمامـا بـل وتـم عزلهم بسرعة عن الدبابات .

وفى ذلك المساء وبعد سريان وقف اطلاق النار الثانى تمكن المشاة الاسرائيليون المعزولون من الهرب من خلال الخطوط المصرية المحيطة بهم . ولمدة خمسة أيام بعد ذلك

استمر القتال المتقطع فى داخل وحول محيط القوات الاسرائيلية وبخاصة فى ضواحى مدينة السويس ✻ .

وفى الشمال فى نفس الوقت وقبل سريان وقف اطلاق النار الاول مباشرة استعاد الاسرائيليون نقطة المراقبة التى فقدوها فوق جبل الشيخ وشنوا هجوما ناجحا على نقطة المراقبة السورية فوق الجبل .

وبهذا نكون قد أكملنا الاستعراض العام للعمليات البرية الرئيسية فى حرب أكتوبر . وقبل الانتقال الى التحليل سألخص باختصار شديد الحروب الجوية والبحرية ودور القوتين العظميين فى دعم عملائهما المناظرين .

كانت العمليات الجوية مرتبطة تماما بالعمليات البرية باستثناءين هامين . ففى الشمال رد الاسرائيليون على اطلاق صواريخ سطح / سطح السورية على الجزء الشمالى من اسرائيل بالقيام بحملة قصف جوى استراتيجى مكثف ضد سوريا . وخلال هذه العمليات تعرضت دمشق لتدمير ملحوظ وأصيب الاقتصاد السورى بشلل شديد. وفى الجنوب فشلت محاولات اسرائيل لتدمير قواعد الطيران المصرى فى دلتا النيل فشلا ذريعا بفضل فاعلية الدفاع المصرى بصواريخ سام .

وقد خاض المصريون الحرب البحرية فى جوهرها باسلوب استراتيجى وخاضها الاسرائيليون بأسلوب تكتيكى (✻✻) . ونظرا لاختلاف الاسلوبين ، ونظرا لان كلا من الطرفين لم يحاول جديا التدخل فى أوجه النشاط الرئيسية للطرف الآخر فانه يحق لكل منهما أن يدعى لنفسه النجاح . فقد تفوقت زوارق الصواريخ الاسرائيلية على زوارق الصواريخ المصرية فى الاشتباكات القليلة التى جرت بينها وأحرزت نجاحا أكبر ضد السفن السورية بل وأجبرت البحرية السورية على التزام الموانى . وفى نفس الوقت فرض المصريون حصارا ناجحا على حركة الملاحة الى ميناء ايلات وذلك بأغلاق مضيق باب المندب ويبدوا أن حصارهم فى البحر المتوسط منع معظم السفن المحايدة والاسرائيلية من الاقتراب من الشاطىء الاسرائيلى .

وبعد بداية الحرب مباشرة قام كل من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة بجهد امداد جوى لتزويد الطرفين المتحاربين لتعويضهما عن الخسائر فى المعدات والاستهلاك الكبير غير المتوقع للذخيرة الحربية . وتعقد الجهد الامريكى فى دعم اسرائيل وذلك بسبب الاستسلام المزرى لدول حلف الاطلنطى للحظر الذى فرضته دول البترول العربية والذى نتج عنه اغلاق كل القواعد الجوية فى أوربا

(✻) حاولت القوات الاسرائيلية اربع مرات احتلال مدينة السويس (٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ اكتوبر) وفشلت تلك المحاولات جميعها .

(✻✻) ارجع الى المناقشات العسكرية — ص ٢١٢ .

الغربية (باستثناء البرتغال) فى وجـه طائرات الامداد الامريكية . وباستخدام قاعدة متوسطة فى جـزر (الازور) وبتحريك بعض المقاتلات من فـوق حاملات الطائرات الموجودة فى البحر المتوسط سرعان ما بدأت أمريكا الجسر الجوى الهائـل ذو الكفاءة العاليـة الى اسرائيل . أما الجسر الجوى السوفيتى الصغير نسبيا والجسر البحرى الاكبـر كثيرا فكانت لهمـا فاعليتهما وخصوصـا فى أستعواض بعض الخسـائر الجسيمة التى منيت بهـا سوريا .

وتعتبر المواجهة العسكرية والدبلوماسية بين الولايات المتحدة والاتحـاد السوفيتى بعد انتهـاء الحرب مباشرة أكثر مظاهر التورط اثـارة من جانب القوتين العظمتين . وينبـع ذلك فى المقـام الاول من خشية السوفيت فى أن يقوم الاسرائيليون بتدمير الجيش الثالث المعزول ويبـدوا أن الروس كانوا على استعداد لارسال قوات الى مصر من أجـل منع حدوث هذا . أما موضوع الجيش الثالث وما اذا كان انهياره وشيكا أو محتمـلا فان الامر يمكن مجادلته . غير أن هـدف السوفيت كان بطبيعة الحال هو تحاشى وقوع هزيمة عسكرية وسياسية لمصر التى ارتبط مصيرها بالمعدات السوفيتية والدعـم العسكرى الذى حصـلت عليه من قبـل . وقـد سـدت الولايات المتحدة طريق التدخـل السوفيتى العلنى فى الحرب بموقف حازم لم يـكن متوقعا . وفى نفس الوقت مارست واشنطون الضغط على اسرائيل لتخفيف حصارها للجيش الثالث بعض الشىء .

تلك كانت نظرة سريعة على الاحداث الرئيسية فى حـرب ١٩٧٣ . وسأشترك الآن معكم فى التقييم العسكرى مركزا بشكل أساسى على الحرب البريـة والحرب الجويـة البريـة .

وسيتناول تعليقى ستة موضوعات رئيسية :

- نقط الجدل فى كـلا الجانبين .
- الاسلحة الجديدة وآثارهـا .
- التأثيرات التكتيكيـة .
- العامل البشرى فى الحـرب .
- دور القوتين العظميتين .
- الآثـار الاستراتيجية الاخـرى .

ان الموضوعات الرئيسية المتنازع عليها فيمـا يتعلق باسرائيل كمـا أراهـا هـى كمـا يلـى :

أولا : نظريـة خط بارليف :

ان تلك النظريـة لم تكن صائبـة فحسب من الناحية النظريـة ولكن نجـح الخط أيضا فى أداء مهمتـه . نحتى مع الفوائد التى أدى اليها عنصر المفاجـأة ، نجح الخط فى ابطـاء الهجوم المصرى الى الدرجة التى مكنت الاحتياطى المحلى أولا

ثم الاحتياطى العام بعد التعبئة من تعطيل الهجوم المصرى ثم ايقافه على اقل من الاهداف التى كان الفريق أول اسماعيل قد حددها . ولقد عارضنى فى هذا الرأى كثير من الضباط الاسرائيليين والمصريين . ومع ذلك فأنى أعتقد أن فشل المصريون فى الوصول الى ممرى متلا والجدى يمثلان ابلغ تعضيد لوجهة نظرى .

ثانيا : فشل جهاز المخابرات الاسرائيلية :

لا يحتاج فشل جهاز المخابرات الاسرائيلية الى تحليل مفصل . فقد كان فشلا ذريعا حيث تركز نشاط المخابرات العسكرية على النوايا المعادية بينما تم تجاهل القدرات المعادية لانها لم تكن فى الحسبان . وادى الخطأ فى حساب القدرات العربية الى نظريات زائفة حول النوايا العربية . ومن جانب آخر يجب اعطاء فضل كبير الى الامن العربى والسرية التى حجبت الحقائق الملحوظة بقدر يكفى لتأكيد المفاهيم الاسرائيلية المسبقة .

ثالثا : الخلافات بين الجنرال شارون من ناحية وبين الجنرال جونين والجنرال بارليف من ناحية أخرى :

اهتم الرأى العام بالخلافات بين الجنرال شارون من ناحية وبين الجنرال جونين والجنرال بارليف من ناحية أخرى وذلك بسبب التصريحات الجزئية التى ادلى بها الجنرال شارون أثناء وبعد الحرب . لقد كان دور شارون فى هذه الخلافات وسلوكه ابان الحرب يدعو للعجب . فقد عصى متعمدا أوامر قائده فى ثلاثة مناسبات على الاقل . وربما كان على حق فى احدى تلك المرات الثلاث (وهى الهجوم على الجناح الأيمن للفرقة المصرية السادسة عشرة بتاريخ ٢١ أكتوبر) . أما فى المرات الاخرى (الهجوم فى اتجاه القناة فى ٩ ، ١٤ أكتوبر) فقد كان على خطأ بشكل واضح . وسواء كان مخطئا أو مصيبا فقد كان يجب عزله من القيادة فى كلتا الحالتين . وبالاضافة الى ذلك فانه كان يجادل قائديه باستمرار (جونين وبارليف) فيما يتعلق بالخطط والتكتيكات وتخطاهما مرارا وتكرارا باجراء اتصالات باللاسلكى المباشر بالمركز الرئيسى لقوات الدفاع الاسرائيلية فى تل أبيب ليطلب من القيادة العليا تغير الأوامر الصادرة اليه من جونين وبارليف . وفوق كل ذلك كان يتصرف تصرف النجوم اللامعة بابلاغ مرءوسيه والصحافة علنا بأوجه الخلاف مع رؤسائه وانتقاداته لهم . ومن المدهش حقا أن مثل ذلك السلوك لم يكن يقابل بالتسامح فقط ولكن كان يلقى مكافأة فى بعض الأحيان على صورة قيام تل أبيب بتغيير الأوامر الصادرة اليه . ويرجع السبب فى هذا غالبا الى التدخل الشخصى لموشى ديان وزير الدفاع الى صفه . وعندما أقول ذلك لاأعنى أن أعفى الجنرال جونين من بعض أوجه الفشل الخطيرة فى استعداداته الأولية أو بالنسبة للاخطاء الناجمة عن قيادته فى ٨ أكتوبر الا أن التحليل الموضوعى أثبت أنه كان أفضل بكثير من شارون .

رابعا : الخلافـــات بين جنرال جونين وجنرال آدان :

ظهر خـــلاف آخر بين الجنرال جونبن والجنرال آدان حـــول ماهى الأوامر التى اصدرهـــا جونين الى آدان بشـــأن الهجمات التى حدثت فى الثامن من أكتوبر . لقد ناقشت هذا الموضوع باستفاضة مع كـــلا الرجلين . ومع اعتقادى بأن أيـــا منهما لـــم يكن صريحا معى أو مع أى فـــرد آخر بالنسبة لهذا الشـــأن . فأننى اعتقـــد أن الاضطراب والتخبط قد أحـــاط بكل منهمـــا .

خامسا : فعالية التعبئـــة الاسرائيلية :

وجـــه العديد من النقـــد من جانب عـــدد كبير من النقـــاد الاسرائيليين الى مـــدى فاعلية التعبئة الاسرائيلية ولا جدال فى أنـــه حدثت أخطاء كثيرة . ولكـــن قـــدرة الاسرائيليين على استجلاب عنـــاصر محسوسة الحجـــم من فـــرق الاحتياطى الأربعة لتحارب بنشاط على كلتـــا الجبهتين فى خـــلال ٣٠ ساعة من الهجوم العربى المفاجـــىء لهى خير دليـــل على الكفاءة العامة للنظـــام وعلى نجاحـــة الســـاحق فى تلك المرحلـــة .

أمـــا فى الجانب المصرى فكان الخـــلاف الرئيسى الاول — هو الخلاف فى الرأى بين المشير اسماعيل والفريق الشاذلى فيمـــا يتعلق باستغلال النجـــاح الذى تحقق فى أيـــام ٦ ، ٧ ، ٨ ، أكتوبر . ولا أشـــك مطلقـــا فى أن المشير اسماعيل كان على حـــق وان الفريق الشـــاذلى كان على خطـــأ فى القرار بعدم محاولـــة الاســـتغلال . ولنتذكر جيدا أن أحـــد العوامل الرئيسية فى الخطـــة المصرية كان هو الاعتـــراف بالتفوق الكبير للســـلاح الجـــوى الاسرائيلى والتفوق المســـاوى له تقريبا فى حرب المدرعات خفيفة الحركة . لقـــد واجـــه قائدان هامان فى التاريخ نفس المشـــكلة التى واجههـــا المشير اسماعيل فى أيـــام ٧ ، ٨ ، ٩ أكتوبر . أحـــد هذين القائدين هو الجنرال الامريكى أندور جاكســـون فى موقعـــة نيو أورليانز عـــام ١٨١٥ ، فقـــد كسب نصرا دفاعيا ضـــد أفضل قوات الجيش البريطانى وبعد ذلك رفض بحكمـــة التحول للمطاردة بعد أن اتضح لـــه أن المطاردة ربما تطيـــح بالنصر الذى أحرزه . نفس الشىء أيضا فعله الجنرال مونتجومرى فى معركة علـــم حلفـــا عام ١٩٤٢ اذ رفض بحذر اعطاء روميـــل فرصـــة للهجوم المضـــاد وتحويل هزيمتة الى انتصار . وعلى ذلك أقـــول أن أى هجوم مصرى فى ٩ ، ١٠ أكتوبر أو بعد هذا التاريـــخ كان سيلقى نفس المصير الذى أنتهـــى اليه الهجـــوم المصرى يوم ١٤ أكتوبر ، حتـــى وان لم يكـــن سيحسم بنفس الطريقة وعلى الاقـــل فان قائد أحـــدى فرق المشـــاة المصرية شرق القناة قـــد أقتنـــع بعد الخسائر التى لحقت بفرقتة بعدم امكانيـــة

التقدم خارج نطاق المظلة الجوية فى تلك التواريخ . ولا يفوتنا أن نشير أيضا الى أن الاسرائيليين كانوا يقومون خلال تلك الفترة بهجمات مضادة بشكل مستمر .

والخلاف المصرى الثانى يتعلق بالثغرة التى كانت توجد بين الجيش الثانى والثالث فى الدفرسوار ورد الفعل المصرى البطىء للعبور الاسرائيلى للقناة (*) . لم يكن يوجد فى الواقع ما يبرر وجود ثغرة غير مؤمنة بين الجيشين المصريين الثانى والثالث وكذا رد الفعل البطىء . وما من شك أيضا فى أن هجوما مضادا رئيسيا من جانب مصر يوم ١٦ بل ويوم ١٧ أكتوبر كان يمكن أن يحطم قوة شارون على الشاطىء الغربى لانها كانت تتألف من أقل من لواءين . ومن المعروف أن المناطق الفاصلة بين الوحدات تشجع العدو على التوغل . وقد كان من الواجب أن يدرك المصريون هذه الحقيقة بالقدر الكافى بحيث يبذلون جهدا خاصا يحقق الامان من المفاجأة . وهناك أسباب تدعو الى الاعتقاد أن الغارات الاسرائيلية على محطة الانذار الالكترونية فوق جبل عتاقة يوم ١٤ أكتوبر وبعده قد أسهمت فى احداث الارتباك الذى أصاب المصريون من اجراء العمليات الاسرائيلية . والخلاف المصرى الثالث هو ما اذا كان من الممكن نجده الجيش الثالث وما اذا كان سيمكنه البقاء فى حالة استمرار الحرب (**) واننى لست مستعدا الآن القول بانه اذا استمرت الحرب أو اذا واصل الاسرائيليون الحصار الكامل لعناصر الجيش الثالث شرقى القناة لتم القضاء على هذه العناصر . ومن الواضح بالتأكيد أن اللواء بدوى وقيادته لم يكونوا على حافة الانهيار كما يريد لنا بعض المعلقين أن نعتقد . وفى نفس الوقت أشك فى أن جهود النجدة المصرية على شكل خط رفيع من القوات التى تطوق رأس الجسر الاسرائيلى كان يمكن لها أن

(*) من المسلم به من الناحية العسكرية ان وجود ثغرات فى جبهة الحرب الصحراوية امرا طبيعيا حيث يتم التقدم على المحاور الرئيسية وأن الثغرة التى تركت بين الجيشين الثانى والثالث شرق البحيرات المرة الكبرى كانت مؤمنة بأعمال المناورة بالقوات .. الا ان رد الفعل المصرى غرب القناة لم يكن بطيئا ولكن كان القتال فى هذه المنطقة ضد مجموعات صغيرة من قوات العدو تتبع نظام حرب العصابات بالدبابات بأسلوب غير نمطى .

(**) (١) اعتبارا من يوم ١٦ أكتوبر ٧٣ عملت قيادة الجيش الثالث الميدانى على امداد قوات رأس كوبرى الجيش شرق القناة بكافة الاحتياجات من ذخيرة ووقود وتعيينات وغيرها ، بما يحقق اكتفاءا ذاتيا لفترة طويلة ، وظهر أثر ذلك عندما ضربت معابر كبارى الجيش الثالث يوم ٢٣ أكتوبر فقد ظلت هذه القوات محتفظة بقدراتها القتالية كاملة ، وصمدت لكل المحاولات الاسرائيلية لاختراق رأس الكوبرى بل وحسنت أوضاعها الدفاعية .

(٢) أرجع الى بحث الميجور ادجار أو بالانس وتقييمه لصمود قوات رأس كوبرى الجيش الثالث ص ١٩٠ .

تنجح (*) . ولا يقلل من شـأن اللواء بـدوى الاعتقاد بأن الهجـوم الاسرائيلى الشـامل ضـد الجيش الثالث لم يكن ليلقـى ما يمنعـة من جانب القوات المصرية الاخرى وكان من المحتمـل أن ينجح .

والسؤال الرئيسى حـول الاداء السورى كما ذكرت من قبل هو الفشـل فى مواصـلة التقدم بعنف للامام جنوبـى مرتفعات الجولان فى السابع من أكتوبر فقـد كان فشـلا باهظ الثمن ويعتبر كارثـة غير أن أسبابة لاتزال غامضـة .

وسـأقوم الان بالتعليق على آثـار الاسلحة الجديدة . لقـد وجد نوعـان مختلفـان تماما من ردود الفعـل من جانب المعلقين العسكريين حـول المواجهـة المثيرة بين نظـم الاسلحة السوفيتية الحديثة التى استخدمها المصريون والسوريون والاسلحة الامريكية الحديثة التى كان الاسرائيليون يتسلحون بهـا . ورد الفعل الاول الذى يعتبر متسرعـا الى حـد ما يشير الى أن الاسلحة الجديدة قد غيرت من المعركة تماما . أما رد الفعل الثانى وهو ما أكـده معظم النقـاد بعد البحث والتقييم الدقيق فيشير الى أنه لم يحدث شىء جديد أو شىء غير متوقع فى تجربة حرب أكتـوبر ، وسآخذ موقعـا متوسطا بعض الشىء بين المعلقين المتسرعين والمعلقين المترويين .

وأريـد أن أكون دقيقـا بصفة خاصة بالنسبة لثلاثـة نظـم من الاسـلحة أصبحت قيمتها فى المستقبل عرضـة للتساؤل ، وهى الطائرة والدبابة والهليكوبتر .

فقد بدت التقارير الصحفية الاولى حول مدى فاعليـة الصواريخ المصريـة والسورية المضـادة للدبابات من طراز ساجر وآر — بى — جى — بـدت لبعض الناس وكأنها تشـكل نهايـة للدبابة على النحو الذى يعيد للاذهـان اختفاء الفارس والدرع فى القرن السادس عشر بعد تنشيط أساليب المشـاة والبـدء فى استخدام اسـلحة البـارود .

أما وجهة النظـر الاخرى فانها موضحة بشكل جيـد فى الكتاب الذى أعـده اللواء الاسرائيلى حاييم هيرتزوج تحت عنوان « حرب الغفران » حيث يقول :

« بعكس النتائج المتسرعة التى نشرت فى كل أنحاء العالم بعد حـرب الغفران ، فان الدبابة لاتزال هى العامل السائد فى ميـدان المعركـة ولايمكن المقارنـة اطلاقا بين النتائج التى أحرزتهـا صواريخ سـاجر المضادة للدبابات وبين الدعايـة التى

(*) تم تطويق راس الجسر الاسرائيلى غرب القناة بأكثر من فرقتين مدرعتين ولواء مدرع مسـتقل الى جانب فرقتين ميكانيـكتين عـلاوة على احتياطى القيادة العامـة (فرقتان مشـاة) كانت تهـدد راس الجسر الاسرائيلى وتحكم حصـاره من الشرق . هذا وقد أعدت الخطة « شـامـل » ، لتدمير القوات الاسرائيلية غرب القناة ، ولم يوقف تنفيذها الا جهود كيسنجر لفض الاشـتباك الاول بين القـوات .

احاطت بها . وفى الحقيقة تـدل الاحصاءات المنشورة على أن أقـل من ٢٥٪ من الدبابات الاسرائيلية التى دمرت فى الحرب قد أصيبت بواسطة هذا الصـاروخ » .

ومع هذا عندما ناقشت ذلك مع أحـد الضباط المصريين ، أكـد أن ٧٠٪ على الأقـل من الدبابات الاسرائيلية التى تركت وراء الخطوط المصرية قد اصيبت بواسطة صواريخ ساجر أو قوانف آر . بى . جى . وقـد اطلعت على التقارير التى اشار اليهـا جنرال هيرتزوج وأعتقـد أنها تقارير علميـة ومقنعـة تماما . غير أننى لم أطلـع على تقارير مصرية مشابهة رغـم انه كان يمكن أن تفيـد فى ذلك فائدة كبيرة . ولكنى أعتقد أن كـلا الجانبين على حـق . فان الاصابات التى فحصها الاسرائيليون وأبلغوا عنها كانت فى الدبابات التى توقفت داخـل الخطوط الاسرائيلية والتـى حـدث معظمهـا كنتيجة للهجـوم المصرى يوم ١٤ أكتوبر وخـلال قيـام اسرائيل بالعمليات فى منطقة المزرعـة الصينية والشاطىء الغربى للقناة . وتلك هى الاضرار التى حدثت بعد أن اسـتفاد الاسرائيليون من تجربتهم المريرة فى الايـام الثالثة الاولى وتعلموا كيف يتعاماون مع الصواريخ المضادة للدبابات . وكان ذلك فى القتـال الدائر عندما كان الاسرائيليون اما فى وضـع الدفاع بعد أن زال عنهم وقـع المفاجأة أو فى وضـع الهجوم حين كان المصريون هم الذين اصيبوا بالارتبـاك . أمـا الاصابات التى حدثنى عنها الضابط المصرى فقد حدثت لدبابات تـم فحصها خلف الخطـوط المصرية بعد الحرب . وكان معظمها قد حـدث فى الايـام الثلاثة الاولى للحرب عندما اكتسبت صواريخ ساجر وقواذف آر . بى . جى . شهرتهـا التى كان لها ما يبررها فى ظـل ظروف القتال القائمة وقتئـذ . ولذلك أقـول أن الدبابة سوف تبقـى على الاقـل فى المستقبل القريب سلاحا فعـالا وأن كانت فاعليتها قد قلت كثيرا نتيجـة لاستخدام الصـواريخ . ولم يعـد مؤكـدا أن أفضل سلاح مضـاد للدبابـة هو دبابة أخـرى . ويمكن لفاعلية الدبابة أن ترتفع حينمـا تعمـل فى دور أسـلحة مشتركة مع المشـاة ، ومع المدفعيـة — على الأخص .

وما يقـال ضـد جدوى القوة الجوية فى المستقبل مشابه تمامـا لمـا يقال ضـد مستقبل الدبابة .

ان نجاح مظلـة سـام العربية التى دعمها استخدام مدافع ٢٣ مم الفعالـة الاتوماتيكية المتعددة المواسير والتى تتعامل مع الطيران المنخفض قـد بين للكثيرين أن التفوق الجـوى لن يتسنى لـه التأثير الشديد على المعـارك البرية .

ويشبه الرأى المضـاد هنا أيضا ذلك الرأى القائـل بأن الدبابة هى أفضـل الاسلحة . فقد تمكن السلاح الجـوى الاسرائيلى جزئيـا على الاقـل من الحـد من فاعلية مظلـة الدفاع الجوى السوريـة . ويؤكـد الطيارون مـدى فاعليـة الدعـم الجوى الاسرائيلى على الضفـة الغربية للقنـاة فى الاسهام فى نجـاح التقدم تجـاه السويس . وعـلاوة على ذلك يوجد من يقول بأنه لو اتسـع الوقت أمـام الوسائل الالكترونية المضادة لتمكنت بدون شك من تقليل فاعلية صواريخ سام .

ولا يعتبر ذلك الرأى الاخير مقنعـا فأن الوسائل المضـادة تؤدى الى استحداث وسائل مضـادة لها . وفى هذه الحالـة سيكون من المستحيل التنبـؤ بمـا اذا كان من المحتمل تحقيق النجـاح الاكبر للهجوم أو الدفـاع .

ويجب أن نتذكر أيضا أن سبب عـدم الفاعلية الكاملة لمظلـة الدفاع الجـوى المصرى ضـد الطائرات الاسرائيلية التى كانت تعمـل على الشاطىء الغربى للقناة هو أن القوات البريـة الاسرائيلية كانت قد دمرت مواقـع الصواريخ أو أجبـرت المصريين على نقلها . ويبـدو أن مستقبل الطائرة القتاليـة وخاصة حين تعمل كجزء من مجموعة متكاملة من الاسلحة المشتركة لا يقـل اشراقـا عن مستقبل الدبابة . بمعنى أنهـا لاتزال سـلاحا من اقـوى أسلحة الحرب ولكنها ليست أعظمهـا جميعـا .

أما الهليوكوبتر ، فأنها موضوع آخر . ولا أناقش الامر هنا لان الهليوكوبتـر لعبت دورا رئيسيا فى الحرب ، بـل لان هذا ما لـم تفعلـة ولكنها على أى حـال استخدمت بواسطة المصريين بكفاءة تامـة فى نقـل الفدائيين لشـن الهجمـات المفاجئة ضـد القوات الاسرائيلية وأيضا فى عمـل الكمائن خلف الجبهة فى سيناء ، كما أن الاسرائيليين قـد استخدموها بكفاءة اكبر ضـد محطة الانـذار المصريـة الالكترونية فى جبل عتاقة . ولكنها — باستثناء حالة واحدة معروفة — لا يوجـد دليـل حتى الان على أن أى من الطرفين قـد استخدم الهليوكوبتر فى مهـام مساعدة القتال رغم ان كلا منهما قد استخدمها بكثرة فى أغراض غير قتالية (كمركبات غير مقاتلـة) .

وتعـد مسألة استخدام الهليوكوبتر فى القتال أو فى التدعيـم العسكرى للقتـال على جـانب من الأهميـة بالنسبة لاحـد المحللين العسكريين الامريكيين بسبب الاهمية الرئيسية التى تتمتـع بها الهليوكوبتر فى الجيش الامريكى لقد تم الاستخدام الوحيد لتنفيذ مهمة قتالية يوم ١٨ أكتوبر عندما هاجمت خمس طائرات هليوكوبتـر مصريـة الكبارى التى أستولى عليها الاسرائيليون عبر قنـاة الميـاه العذبة غرب الدفرسوار وكانت الهليوكوبتر طائرات نقـل ، وقامت بالقـاء المتفجرات وعبـوات النابالم بغير دقـة فلـم تصب أهدافها . ورغـم ذلك فقـد شتت موقع قيـادة فرقـة عسكرية مجاورة وكادت أن تصيب وزير الدفاع الجنرال ديـان الذى كـان يزور الجبهة فى ذلك الوقت . واسقطت المدفعية الارضية الاسرائيلية الطائرات المصرية الخمس .

ولقـد سمعت بعض الشـائعات التى لم يقـم أى من الطرفـين بتأكيدهـا مؤداهـا أن الاسرائيليين قـد استخدمـوا بنجاح فى وقت مـن الاوقات الطائرات الهليوكبتر المسلحة ضـد الدبابات . غـير أنه الى أن يمكن اثبات ذلك سيظل مـا سمعت مجرد اشـاعـة ولن يكون لها أثر كبير .

وفى وجهة نظر ذلك المحلل العسكرى أنه من غير المتوقع استعمال الهليوكوبتر بكثرة لتنفيذ مهام قتالية فى موقف كان شديد الخطورة حتى على الفانتوم واسكاى هوك ، ولكن يمكن تأكيد دورها كوسيلة نقل غير مقاتلة وكذا لتنفيذ الغارات التى يخطط لها بعناية .

وهناك جانبان لاستخدام الاسلحة الحديثة يدور حولها كثير من النقاش . الجانب الاول : هو مدى تأثيرها الفعال وما يؤدى اليه من ارتفاع معدلات الخسائر فى الافراد والخسائر فى المعدات ، أما الجانب الثانى فهو ارتفاع معدلات الاستهلاك فى الوقود والذخيرة . وترى فئة من العسكريين أن هذه المعدلات لم يسبق لها مثيل وانها تؤدى الى آثار بالغة الخطورة وعلى أقل تقدير تفرض اجراء تغيير ضرورى فى معاملات تقدير الخسائر من جانب أركان الحرب بوجه عام .

ولا جدال فى أن معدلات الخسائر والاستهلاك كانت عالية ولكنها لم تدرس بعد من زاوية النظرة التاريخية المتعمقة وافضل أن اتحفظ فى الحكم على هذا الموضوع . ولم تعقد مقارنة بين هذه المعدلات العالية فى مثل هذه الفترة الوجيزة وبين معدلات الخسائر والاستهلاك المشابهة فى الفترات القصيرة المماثلة أثناء الحرب العالمية الثانية كما حدث فى كورسك وكائين وآنزيو .

ولندرس الآن الآثار التكتيكية للحرب .

أن أبرز الحقائق التكتيكية فى حرب ١٩٧٣ كان هو عنصر المفاجأة العربية التى تحققت فى الهجمات على خط بارليف وخط الجولان فى ٦ اكتوبر . لقد قمت باعداد مقارنات مثيرة من ناحية الكم بين آثار عنصر المفاجأة على الفاعلية النسبية لقتال القوات المتصارعة ، بالمقارنة بفاعلية كل منها فى معارك لم يكن متوفرا فيها هذا العنصر . وعلى افتراض أن تأثيرات عنصر المفاجأة كانت تعتمد فى المقام الاول على القدرة النسبية على التحرك وعلى التعرض النسبى لدى قوات الجانبين فان القدرات القتالية للطرف الذى يحقق عنصر المفاجأة وجد أنها ترتفع الى الضعف تقريبا .

ويبدو أن عنصر المفاجأة كان له تأثير مماثل عندما استخدمه الاسرائيليون فى عبورهم للقناة فى ١٥ — ١٦ أكتوبر . ورغم أنه لم تسنح لى فرصة اجراء تحليل مشابه يبدو ان النتيجة تؤكد هذه النظرية ذاتها . وهناك حقيقة تكتيكية أخرى بارزة وهى أن كلا الجيشين العربيين المهاجمين شنا الهجوم عن عمد على جبهة عريضة بدلا من تركيز القوات فى اتجاه أو اتجاهين لكى يجبر الاسرائيليون على تشتيت قواتهم وتفتيت جهودهم الدفاعية . كان هذا الانتهاك الواضح لمبادىء حشد القوات والاقتصاد فى استخدامها كان تطبيقيا مثيرا لمبدأ المناورة من جانب العرب حتى يستخدموا بكفاءة عنصر تفوقهم العددى فى الرجال

والسلاح كشيء متميز عن الجهود الاسرائيلية المهتمة بالتركيز على النوعية أكثر من العدد . ومن المؤكد ان استخدام مبدأ المناورة (بعد المفاجأة) كان أحد العوامل الرئيسية فى النجاح الذى أحرزه المصريون يوم ٦ ويوم ٧ أكتوبر .

لقد اتضحت قوة الحرب الدفاعية مرة أخرى لتكون دليلا على أن مبادىء كل من « مولتكه وكلاوزفتز » لا تزال صالحة من الناحية التكتيكية ، (ولقد أوضح كلا المفكرين البروسيين بلا شك أن الدفاع وإن كان أقوى أشكال المعركة الا ان النجاح فى الحرب لا يمكن تحقيقه الا عن طريق الهجوم) . لقد ادت الخطوط الحصينة فى بارليف والجولان الى انقاذ اسرائيل من هزيمة مبكرة وشديدة رغم انه لايمكن مقارنتها من ناحية القوة الدفاعيةبالمناطق الحصينة فى الحرب العالمية الثانية مثل خطوط ماجينو وخط سيجفريد أو خطوط الدفاع السوفيتية الهائلة فى كورسك . وكانت الكمائن الدفاعية بصواريخ ساجر وقذائف آر . بى . جى . التى نصبها المشاة المصريون للدبابات الاسرائيلية وكذلك النظرية التكتيكية المشابهة التى وضعها الاسرائيليون لوقف الهجوم المصرى فى ١٤ أكتوبر ، دلائل أخرى على ذلك .

وانتقل الآن الى العنصر البشرى فى الحرب .

بعد حرب اكتوبر بفترة وجيزة ، قال لى ضابط امريكى كبير جدا بصفة شخصية « لم يكن فى وسع أية نماذج للاشتباكات أو أية مباريات حربية بأستخدام حواسب الكترونية أن تتنبأ بنتيجة أى من المعارك الرئيسية فى تلك الحرب » . ولم يكن هذا الشيء مثيرا للدهشة بالنسبة لى . فقد تناقشت طويلا مع محللى بحوث العمليات حول اخفاق الحواسب الالكترونية فى اظهار آثار متغيرات القتال مثل الارض والجو والقدرة على التحرك ونقط الضعف والتأثير المتضاعف للوضع الدفاعى وما الى ذلك .

غير انه اخيرا فقط ، أشار لى أحد زملائى وهو عالم يدرك حدود العلم ان الحاسبات الالكترونية لا تعتمد الا على تأثيرات القوانين الطبيعية على الافراد والآلات . ولكنها لا توضح ردود فعل الافراد فى مواقف القتال . وهى مواقف تخضع لآثار القوانين السلوكية على التصرف الانسانى فيها . فمثلا — توجد آثار هامة جدا لعنصر المفاجأة لا يمكن أن توضحها نماذج القتال التى يستخدمها محللى بحوث العمليات . وكذلك لا يمكن أن توضح آثار الخسائر فى الافراد وآثار الارهاق على الفاعلية القتالية للقوات .

وبمعنى آخر فان علماء بحوث العمليات عندما ركزوا أهتمامهم على الاسلحة الجديدة الفتاكة تجاهلوا آثار السلوك البشرى على القتال ، وهى الآثار التى تظهر جلية فى دراسة التاريخ العسكرى . وباستثناء القليلين مثل صديقى الذى

تحدثت عنه لم يستفد علماء بحوث العمليات من دروس التاريخ ، وظنوا أنه بالنظر الى أن الاسلحة كانت كلها جديدة ومختلفة فان سلوك الافراد تجاهها سوف يأخذ شكلا جديدا ومختلفا .

ولهذا ، فاذا كانت حرب اكتوبر قد دلت على شىء فقد دلت على أن الرجال فى قتال عام ١٩٧٣ كانت تحكمهم نفس القوانين السلوكية التى كانت تحكم المقاتلين اعوام ١٩٤٣ ، ١٨٦٣ ، ١٨١٣ . فرغم كل شىء يوجد دائما ما يمكن أن نتعلمه من التاريخ حتى عندما تكون الاسلحة مختلفة . ولذلك فمن الأهمية بمكان أن نركز الاهتمام على آثار التكتيك على النتائج بنفس قدر الاهتمام بآثار الاسلحة عليها .

واذا انتقلنا من التكتيك الى الاستراتيجية فان أهم تأثير استراتيجى للحرب من وجهة النظر العالمية هو ذلك التأثير المتعلق بالقوتين العظميين . فكل منهما كانت فى وقت ما خلال الحرب تواجه احتمال أن الجانب الذى تسانده قد يهزم واتخذت موقفا صارما وايجابيا لمنع وقوع كارثة لنفوذها ومكانتها . وكلتاهما سعت الى التعاون المتبادل لتحاشى حدوث أى من البديلين غير المقبولين بعد أن ادركتا أن خطر ردود الفعل هذه قد تسبب خلق صراع فيما بينهما . وهذين البديلين هما أما هزيمة الطرف الذى تؤيده أو نشوب حرب عالمية ثالثة . ولذلك فانه فى مجال الموازنة يمكن القول بأن ذلك كان مفيدا وفى مصلحة السلام العالمى والسلام فى الشرق الأوسط ، الا أنه كان خطيرا ، بل واخطر كثيرا عما ادركه بعضنا فى ذلك الوقت .

وقد لمست لدى أصدقائى العرب تذبذبا غريبا فى الآراء حول نشاط القوتين العظميين أثناء الحرب . فهم يعتبرون العون من روسيا شيئا طبيعيا لا غبار عليه لأنها اخذت على عاتقها التزاما أدبيا بتزويدهم بمعظم عتادهم وتدريبهم على استخدامه ، ولكنهم سرعان ما يؤكدون أن روسيا لم تكن لها علاقة بخوض الحرب . فقد خطط لها العرب وقاتلوا فيها بدون أى معونة خارجية .

ومن ناحية أخرى يندد العرب بالدعم الامريكى لاسرائيل ويصفونه بأنه عون غير أخلاقى للطرف المعتدى ، ويعتبرونه نوعا من الاستعمار الجديد يستخدم فيه الاسرائيليون كأداة لمخططات التوسع الامريكى ، وان قيام امريكا بتزويد اسرائيل بالسلاح والمعدات انما هو اشراك لنفسها فى الحرب ضد العرب . (ولا أظن أن أحدا لا يزال يعتقد أن الامريكيين قد اشتركوا فى القتال) .

وفى رأيى أن التفكير بهذا الشكل يفتقر الى الترابط والمنطق لانه يقوم على فهم خاطىء تماما لدور القوتين العظميين .

وبصرف النظر عن أصول الصراع العربى الاسرائيلى وقضية الخطأ والصواب فيه فان معظم الاسرائيليين مقتنعون بعدالة قضيتهم قدر اقتناع معظم العرب بقضيتهم . وكذلك فان معظم الامريكيين الذين يعتقدون أن على الولايات المتحدة أن تساند اسرائيل مقتنعون أيضا بأنها على الاقل تستحق أن تعيش كدولة . وهناك بطبيعة الحال مؤثرات أخرى من بينها الرغبة الانسانية فى تحاشى حدوث مجزرة يهودية أخرى فضلا عن النفوذ السياسى للضغوط اليهودية فى الولايات المتحدة . ولكن قوة التأثير الحاسمة هى المصلحة الاستراتيجية القومية .

وتقوم المصالح السوفيتية فى دعم العرب على نفس أساس سياسة القوى بعيدا عن اية دعاوى انسانية أو سياسية داخلية . ومن البديهى أن من مصلحة الاتحاد السوفيتى أن يكون له المركز الاكبر فى الشرق الأوسط . ومن البديهى أيضا أن هذا المركز يزداد تدعيما اذا أصبح العرب يدينون بقدراتهم ومنجزاتهم العسكرية لروسيا ومن ناحية أخرى فان هزيمة العرب مرة اخرى هزيمة منكرة سوف يكون بمثابة الكارثة على المصالح السوفيتية . وكان هذا هو الذى جعل الروس يقدمون المساعدات لمصر وسوريا قبل الحرب ويدعمونهما بامدادات الطوارىء خلال الحرب ويهددون بدخول الحرب . واشك فى أن أحدا فى هذه القاعة يعتقد أن الدعم السوفيتى لآية دولة عربية يقوم على التزام أدبى لوقف العدوان الاسرائيلى أو لطرد اليهود من فلسطين .

وهكذا فان المعونة الامريكية لاسرائيل ورطت الولايات المتحدة فى الحرب بقدر ما ورطت المعونة السوفيتية للعرب الاتحاد السوفيتى فيها . ولم يشترك اى من الجانبين فى القتال بشكل مباشر أو غير مباشر . فكلاهما كان يرغب فى تجنب هذا الاشتراك .

وسأتناول باختصار بعض الاتهامات العربية المحددة فيما يتعلق بالمعونة الامريكية لاسرائيل .

لقد اكد البعض أنه بدون الدعم الامريكى لم يكن باستطاعة الاسرائيليين صد الهجوم المصرى فى ١٤ أكتوبر . ويقال أن من العوامل الرئيسية للنجاح الاسرائيلى هو الحصول على الإسلحة الامريكية الجديدة المضادة للدبابات وبصفة خاصة صواريخ « تاو » التى تتباهى بها أمريكا ، وانى أعتقد أن هذا الراى رغم احتوائة على بعض الحقيقة فانه غير أساسى . فان جهود الدعم الامريكى لاسرائيل لم تبدأ فعلا قبل ١٤ أكتوبر . وهناك شك فى أن الدعم الامريكى كله حتى ٢٥ اكتوبر كان له أى أثر على نتيجة اشتباك واحد . اذ أن الاسرائيليين لم يكونوا قد استنفذوا الاحتياطى الموجود لديهم قبل الحرب من الاسلحة والذخائر . ولقد أثر الامداد العسكرى الامريكى على الطريقة التى كان

يحـــارب الاسرائيليون بهـــا بعد أن أصبحوا لايشغلون بالهم بموضوع نفـــاذ هذا الاحتياطى . وهكذا نـــرى أن تأثير الامداد كان معنويـــا ولم يكن ماديا ❋ . ورغم هذا فانـــى أود أن أقـــول كلمـــة حـــول صاروخ « تـــاو » . فرغـــم أنه سلاح حاســـم فقد أسهم دون شـــك فى طريقة آداء الاسرائيليين فى الحرب يـــوم ١٤ أكتوبر وايضا بعد ذلك التاريخ . وقد أكـــد لى الجنرال اليعازر مؤخرا هذا الاستخدام (فى ١٧ أكتوبر ١٩٧٥) . وقد أخبرنى الاردنيون أيضا أن صواريخ « تـــاو » كانت فعالة على جبهة الجولان . ولاسباب لا أفهمهـــا كان الاسرائيليون يصرون بشـــدة حتـــى الاسبوع الماضى على أن صواريخ « تـــاو » لـــم تكن معـــدة لاستخدام قبـــل وقف اطـــلاق النار فى ٢٤ أكتوبر . وهنـــاك أيضا تأكيـــدات مماثلـــة بأن الجسر الجوى الامريكى لنقـــل الدبابات الى العريش هو وحده الذى مكن اسرائيل من مواصـــلة الحرب وقد ســـاق هذا التأكيد أيضـــا أحـــد الصحفيين الامريكيين المرموقين وعلى ما يبدو وصلت شحنة واحـــدة من الدبابات ـــ على متن طائرة واحـــدة نقلت ضمن الجسر الجوى الامريكى الى اسرائيل خـــلال الحرب وقد بالغت اسرائيل فى ذلك الامر لاغراض الدعايـــة فى الداخل والخارج ونشرت صـــورا فوتوغرافية كثيرة لتفريـــغ حمولة الدبابات . ولا يهمنـــا عـــدد الصـــور الفوتوغرافية فقد كانت حفنة قليلـــة من الدبابات التى أنزلت فى مطار اللـــد وليس فى العريش ومن المحتمل الا تكون أى منها قد اشترك فى القتال . ومرة اخـــرى اكرر أن لهذه الشحنة قيمـــة معنويـــة وليس لهـــا قيمـــة ماديـــة تستحق الذكـــر .

وقد بالغت الصحافة العربية فى الحديث عن مرور طائرة أو اكثـــر من طائرات التجسس الامريكيـــة فوق جبهة القتال فى سيناء والسويس يوم ١٣ أكتوبر . واتهمت الامريكيين بتسليم الاسرائيليين الصـــور التى التقطت أثنـــاء هذه المهمة التى كشفت عن عـــدم وجـــود قوات مصرية غرب الدفرسوار ـــ ويقـــال أن هذا هو السبب الذى حـــدد توقيت ومكان العبور . ولا استطيع أن أثبت أن هذه الصور لم تســـلم للاسرائيليين ولكنى أعتقد أنى أعرف عن العلاقات بين المخابرات الاسرائيلية والامريكية ما يكفى لا قناعـــى بأن ذلك لم يحدث . وعـــلاوة على هذا لم يكن هنـــاك الوقت الكافى لارسال الصور الى اسرائيل بحيث يؤثر ذلك على قرار العبور يوم ١٣ أكتوبر . ولكن من المحتمـــل جدا أن القرار كان يعتمد على تقديـــرات المخابرات التعبويـــة والتكتيكيـــة وهى اعتبارات تقتضى التصرف دون الحاجـــة الى هذه الصـــور .

(❋) ان اقامة جسر جـوى لنقل أكثر من ٢٢ الف طـن من الاسلحة والمعدات من أمريكا الى اسرائيل عمـل من أعمال الطوارىء كمـا أن القيام ب ١٤٣٢ طلعة جوية بطائرات سى ٥٠٠ ، سى ١٤١ فى عملية نقـل عاجلة هو أمر مكلف للغاية ولايمكن أن يكون الهدف منه هو الدعاية أو رفع الروح المعنوية فقط (انظر تعقيب العقيد أ.ح أحمد فؤاد هويدى على الجسر الجوى الامريكى ص ٢١٨

ولننتقل الآن من التورط الاستراتيجى للقوتين العظميين الى مسائل استراتيجية أخـرى عامـــة :

ولعـل أهم نتيجة استراتيجية للحـرب هى تنفيذ الهدف الاساسى للرئيس السادات من شـن هذه الحرب وهو أن حالة اللاسلم واللاحرب قـد انتهت بشكل مثير . فقد أرغمت القوتـان العظميان على اعطـاء اهتمـام جـاد لموضوع السلام فى الشرق الأوسط وعلى ممارسة نفوذهما القـوى من أجـل التوصـل الى أنهـاء حالـة الركود الذى سـاد منذ عام ١٩٦٧ . ولا تزال القـوة المحركة التى نتجت عن الحرب مستمرة فى فاعليتهـا حتى الآن .

ولقـد أعادت الحرب لمصر وضعها القيـادى فيما بين الدول العربية وذلك لعـدة أسباب . ففى المقـام الاول أعطت القيـادة الشجاعة للرئيس السـادات التى أدت الى أنهـاء حالة الركود مكانـة مرموقـة لمصر ولقيادتها . ودعـم من هذا المركز المرموق ذلك النجاح الباهر فى الأيـام الاولى من الحرب يضـاف الـى ذلك حقيقة أنـه على الرغم من النكسـات العسـكرية التى حدثت فيما بعد فـان القوات المسلحة المصريـة خرجت سليمة من الحرب كجهاز من اقـوى الأجهـزة العسـكرية فى العالم . كذلك سمحت نتائج الحـرب لمصر بأن تعيد فتح القناة مما أدى الى استعادتها لبعض الموارد الاقتصادية ولهيبتها التى كانت قد فقدتها عام ١٩٦٧ .

ونتيجة للقتـال المشرف الذى خاضتة الجيوش المصرية والسوريـة خلافـا للهزائـم التى لحقت بهـا قبل ذلك استرد العرب كبرياءهم وثقتهم فى أنفسهم ، مما أدى الى تدعيـم النفوذ العربى على الشئون العالميـة بشـكل عـام ، علاوة على ما ظهر من القيمـة الهائلة للبترول العربى كأداة اقتصـادية استراتيجية . وهكذا فاذا كانت الحـرب هى استخدام القـوة العسكرية لدعـم الاهداف السياسية ، فليس هناك شـك من الوجهة الاستراتيجية والسياسية فى أن مصر قـد كسبت الحرب — رغم أن النتيجة العسـكرية لهذه الحرب كانت موقفا ساكنا يسـمح لكلا الطرفين بأن يدعـى لنفسه النصر العسـكرى .

ومن ناحية أخرى كانت الحرب صـدمة نفسية قاسية للشعب الاسرائيلى ، فبرغم القتال الذى يستحق الاشادة والذى خاضتة القوات المسـلحة الاسرائيليـة واستردادها للوعى بشكل ملحوظ بعـد أن تلاشى أثر المفاجأة والهزيمة الأولية الامر الذى حقق نجاحا شبه متواصل فى الأيام الأخيرة من الحرب . فقد ادرك الاسرائيليون الآن أن هذه القوات يمكن أن تقهر واصبح باستطاعتهم أيضا أن يـروا أن أعداءهم العرب قادرون على الأقـل على تنسيق بعض تفوقهم الهائـل فى العدد والموارد الاقتصـادية فى مجهود حربى ضـد اسرئيل . وقد كان استخدام سلاح المال والبترول

لتحويل الاصدقاء الرسميين السابقين والدول المحايدة ضد اسرائيل شيئا مفزعا الى حد كبير . لقد أدى هذا الى أن يدرك الاسرائيليون شيئا كانوا يتجاهلونه بصفة عامة فى الماضى ، الا وهو أنه فى عالم معاد توجد فيه قوة كبرى على أستعداد لتقديم دعم غير محدود لاعدائها ، لم تعد اسرائيل تستطيع الوثوق ثقة كاملة فى نفسها وفى قدرتها الذاتية على المحافظة على أمنها . وأصبح الكثيرون من الاسرائيليين يرون أن أمنهم فى المستقبل فى ظل هذه الظروف يعتمد على مودة أمريكا واستمرار تدعيمها لهم .

وقد دفعت احدى نتائج هذه الافكار ، اسرائيل الى اتخاذ وسائل عاجلة لتحاشى المفاجآت العسكرية مستقبلا ولرفع حالة الاستعداد وزيادة القدرات العسكرية لقوات الدفاع الخاصة بها ، ونتيجة لذلك أعتقد أن اسرائيل اصبحت أقوى نسبيا فى الوقت الحالى عما كانت عليه فى أى وقت مضى وذلك بالمقارنة لجيرانها العرب . ولكن كثيرين من الاسرائيليين يتساءلون الى متى سيبقى ذلك ، فى ضوء التباين فى عدد السكان بين اسرائيل وجيرانها وكذلك فى ضوء ما تأكد أخيرا من قدرة العرب على حسن استعمال الاسلحة العسكرية المتطورة .

ولم تقدم الحرب اجابة شافية على السؤال المتعلق بالصحة النسبية للنظريات الاستراتيجية الأساسية لدى الجانبين المتنازعين والقائمة على أساس استخدام العرب للتفوق العددى ضد النوعية الاسرائيلية . وهذا بطبيعة الحال تبسيط مبالغ فيه لان العرب سعوا بل ونجحوا فى ضمان نوعية عسكرية معقولة وهى الحصول على أسلحة متطورة لجيوشهم الكبيرة ، كما أن الاسرائيليين سعو بل ونجحوا أكثر منهم فى توفير أعداد كبيرة من القوات التى تتمتع بنوعية عسكرية عالية .

واصل الان الى استنتاج قصير الاجل من نتائج الحرب ومن المجهودات التى قام بها كلا من الجانبين بعد الحرب للاستفادة من التجربة . واخشى أن يسبب هذا الاستنتاج خيبة أمل لدى أصدقائى العرب وهو اننى لا أرى احتمال أن يحقق العرب نجاحا عسكريا حاسما على الاسرائيليين فى مدى العشر أو العشرين سنة القادمة . وانى على يقين من أن النوعية الاسرائيلية مقرونة بتوفير هذه الدولة الصغيرة لاعداد كبيرة من المقاتلين ستجعلها تحتفظ بالتفوق العسكرى لاعوام عديدة قادمة . (*)

(*) ان مثل هذا الاستنتاج الضخم المحدد والمباشر لا يمكن بلوغه الا بالاعتماد على الاحصاءات الدقيقة والتفهم الكامل لخطط المستقبل وليس باستعراض بعض العوامل العامة أو التاريخ القديم فقط . ولا أعتقد أن أيا من الطرفين ـ العرب أو اسرائيل ـ قد باحا بتلك الاسرار الفائقة سواء فى الداخل أو فى الخارج « أنظر تعليق اللواء حسن الجريدلى ردا على اجابة الكولونيل ديبوى ص ٢١٦ .

ومـــن ناحية أخرى فان الاستنتاج الطويل الاجـــل سوف يخيب آمال أصدقائى الاسرائيليـــين . فان تحليلى للقتال الذى جرى فى الحرب العـــالميـــة الثانية يـــدل عـــلى أن الالمـــان كانوا متفوقين عـــلى الروس فى الكفاءة القتالية حتى سنة ١٩٤٤ بنسبة تصـــل الى ١٣٥٪ وربما تقرب من ١٩٠٪ . وكذلك فان تحليلى الذى لـــم يستكمل بعـــد لحرب الايام الستة وحرب أكتوبر يـــدل عـــلى أن الاسرائيليين كانوا متفوقين بنسبة ١٠٠ ـــ ١٥٠٪ على الاردنيين والمصريين فى عـــام ١٩٦٧ ولكن نسبة التفوق كانت أقل مـــن ١٠٠٪ فى عـــام ١٩٧٣ . واننا نعلم أنه فى الحرب العـــالمية الثانية رغم التباين الهائل بين قـــدرات الروس وقدرات الالمـــان استطاع الاتحاد السوفيتى بفضـــل استخدامـــه لميزة التفوّق فى القوة البشريـــة وبفضـــل المثابرة برغم الهزيمة (بالاضافة الى العـــون الكبير من الاولايات المتحدة وبريطانيا) استطاع فى النهاية أن يهزم الجيش الالمـــانى الذى كان متفوقا عليه مـــن الناحية النوعية .

وهـــذا المثل يجعلنى أعتقـــد أنه يتعين على الاسرائيليين أن يسعوا الى سلام دائم وهم لايزالون متفوقين مـــن حيث النوعيـــة العسكرية . فاذا انتظروا طويلا فقد يكون الوقت متأخـــرا جـــدا .

ونحن نعلم جميعا بطبيعة الحال أن القدرات القتالية النسبية لدول المواجهة وهى اسرائيل ضـــد مصر والاردن وسوريا لاتشكل وحـــدها عناصر المعـــادلة الاستراتيجية بل ان العلاقات بين القوتين العظميين وجهودهما نحو تحقيق أهدافهما المتعارضة هى التى تنطوى عـــلى أكبر قـــدر من الاهمية . وعندما نصـــل الى هذه العلاقة بين القوتين العظميين يجب ألا ننسى أن الدول العربية غـــير دول المواجهة تستطيع أن تؤثر عـــلى العلاقات بـــين القوتـــين العظميين بشكل مباشر وغـــير مباشر بواسـطة البترول كسلاح اقتصادى هـــام .

ورغم أن العلاقات بـــين القوتين العظميين ، وكذلك سياســـة واقتصاديات البترول تعتبر ذات اهميـــة كبرى للتسوية الممكنة مستقبلا لنزاع الشرق الاوســـط الا انهـــا تقع خارج نطاق التحليل العسكرى البحت . ورغم ذلك فيجب أن نذكرهـــا حتى لا ننسى مـــا أضافه كليمنصو الى القانون الذى وضعه كلاوزفتز للعلاقة بين الحرب والسياســـة وهـــو أن الحرب أو عـــلى الاقل الحرب الحديثة شىء هـــام جـــدا بحيث لا يجب أن يترك أمرهـــا للجنرالات .

أسمحو لى أثناء تقديم ملخص لبحثى أن أضيف ملحقين لهـــذا البحث عـــلى أمل أن أتمكن مـــن المساهمة ولو بشكل بسيط فى كسر حواجز عـــدم الثقة والشك التى تعتبر بمثابة العوائق الرئيسية لاقرار السلام فى الشرق الاسط .

أولا :

أود ان أسوق نصيحة مخلصة لاصدقائى العـــرب مثل التى سبق أن قدمتها مؤخرا الى أصـــدقائى الاسرائيليين فى القدس .

لا تحاولوا التقليل من شأن عدوكم الذى اثبت أنه جندى واسع الحيلة ذوكفاءة . فاذا ادركتم مدى قداراته ، فلن تشعروا بالخجل اذا لم تستطيعوا احراز نجاح ضده . وفى الوقت نفسه فان الاعتراف بقدرات العدو يزيد من قيمة انتصاركم عنـــد احراز النجاح — وتقديرا منى لجندى عظيم — أعتقد أن هذه النصيحة تتمشىمع الرأى الواقعى المشرف الذى عبر لى عنه المرحوم المشير اسماعيل قبل وفاته منذ ما يربو على العام.

ثانيا :

تسوقنى ملاحظاتى فى اسرائيل وفى الدول العربية المجاورة الى تقرير أنه توجد رغبة مخلصة فى الوصول الى السلام لدى كل من الطرفين . ان موضوعات الخلاف ضخمة هائلة ولكنها — كما يتضح مما كتبه عدد من المعلقين من ذو الفكر العميق — ليست مستعصية تماما على التسوية اذا ما أمكن ايجاد بعض درجات الثقة والاحترام المتبادل بين الطرفين . ورغم ذلك فان خلق جو الثقة والاحترام لا شـــك أنه أصعب بكثير من أى من تلك الموضوعات الشائكة .

وعلى كل حال ، فاذا كان الطرفان مخلصان فى التعبير من امالهما فى السلام . فحتى تلك المشكلة يمكن حلها بفضل المبادرة الناجحة التى اتخذها الرئيس الســـادات وانهائه لحالة الركود بعد حرب أكتوبر .

ففى الواقع ، تعتبر اتفاقيـــة فض الاشـــتباك الاخيرة بين مصر واسرائيل بمثابة الاساس الذى يستطيع كل من الطرفين أن يختبر على هدية مدى اخلاص الطرفالاخر . ولا يمكننى هنا فى القاهرة أن أؤكد مدى اخلاص اسرائيل . كما لا يمكننى أيضا أن أؤكد مدى اخلاص العرب وأنا فى القدس . الا أنه مع وجود بعض الاسس التى قد تدعو الى تقييم هذا الاخلاص ، أرجو الا أكون سانجا اذا استشهدت بفقرة وردت فى بحث مقدم من « يونا شمشى » رئيس اتحاد المراسلين العسكريين الاسرائيليين الى الندوة التى عقدت فى القدس حيث يقول :

« من القدس ، مدينة السلام ، أوجه كلمتى الى زملائى فى البـــلاد العربية ، ملتمسا فىهذه المرحلة من الزمن أن نعمل سويا ، كل فى مكانه ، كى نضع سياستنا على طريق الاتصالات وتبادل الحوار ، بأمل أن يؤدى هذا الى مباحثات للســـلام والسكينة فوق ربوعنا » .

أننى اشارك فى هذه المشاعر أرجو أن يشارك فيها معى كل من يسمعنى .

استراتيجية حـــرب أكتوبر
ونتائجها على الاستراتيجية الدولية
الجـــــنرال ج · بـــــوى

١ ـــ ليس المقصود من هذا البحث أن يتناول مـــراقب من الخـــارج دراســـة نمط الاستراتيجية العسكرية لكل من طرف النزاع فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ وهو بين الشعب المصرى وأمام مستمعين هم اكثر دراية بالأحداث .

والواقع اننـــا اذا أخذنا فى الأعتبار المساحة المتواضـــعة للمنطقـــة التى دار فيهـــا القتال وضخامة القوات التى خاضته ، لوجدنا أن الامر يتعلق بالأحرى وعلى حـــد تعبير السوفيت ، باستراتيجية العمليات التى تعنى بسير العمليات على مستوى « الجيش » أو «الفيلق» أكثر مما يتعلق باستراتيجية عســـكرية عـــامة .

وتوجد المعلومات الخاصة بهذا الموضـــوع لدى هيئات أركان الحـــرب المصرية بالنسبة لمصر ، وبالتالى فلا تشكل هذه المساهمة الخارجية من جانبى سوى تفسير غير ذى بـــال .

٢ ـــ ولا أود فى هذه الظروف الا أن أشير الى النقاط العـــامة التالية التى تصـــلح كأساس للمناقشـــة :

أ ـــ المعطيات الاستراتيجية المحلية الناجمة عن حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

ب ـــ تعديل استراتيجية كل من الدولتين الكبيرتين وفقا لهذه المعطيات الجـــديدة .

جـ ـــ التأثير على « الغـــــير » .

٣ ـــ الدائـــرة الاقليميـــة :

أ ـــ اعادة توازن القوى بين الدول المتحاربة :

- ـــ القوات المسلحة بمعنى الكلمة .
- ـــ قـــوى الضغط (الحظر) .
- ـــ القـــــوة المـــالية .
- ـــ القـــــوة المعنوية .
- ـــ القاسم المشترك للوحدة العربية : حقوق الفلسطينين .

ب ـــ أثبات أنه لم يعد هناك مسرحان يتميزان للعمليات : البحر المتوسط والمحيط الهندى ، بل مسرح واحد يمتد من الخليج العربى الفارسى الى البحر المتوسط فى المغرب . فقد أوضحت الحرب ـــ أو أوجـــدت ـــ أن هذه المنطقه تشكل وحدة كبيرة جغرافية سياسية واستراتيجية جغرافية فى ان واحد . ولم يعد فتح واغلاق قناة السويس شـــبيها بفتح وغلق

طريق تجارى يربط بين « مسرحين » بل اصبح ، يمثـــل اضطرابا هائلا « لمسرح» متماسك .

وهذا المسرح للعمليات يؤكـــد شخصيته بعـــدم قبـــول :

— انتماء الجزء الغربى من المحيط الهندى الى الزحف الاسيوى .

— انتماء البحر المتوسط لمنطقة الزحف الاطلنطى .

٤ — البحر المتوســـــط :

— هو منطقة أحتاك أزلية بل منطقة حيـــاة مشتركة بالنسبة لجميع الـــدول المطلة عليه .

منذ حروب ميديس (بين الفرس واليونانيين) اتجـــه الشرق الأوسط الـــى الشرق أكثر منـــه الى الغـــرب .

واذا كان الاسلام قد ازدهر فان الشعب العربى الذى يشكل قطاعه المتميز قد أعطى الاولوية الى الاتجاه الى الغـــرب .

— كانت أول قوة خارجية فرضت نفوذها على البحر المتوســـط هى انجلترا التى جعلت منه طريقا منذ بداية القرن الثامن عشر ولمدة قرنين من الزمان ، مضحية بمصالح أهالى المنطقة من أجل مصالحها فى العالم .

— منذ اتفاق ايفيان (استقلال الجزائر سنة ١٩٦٢) وجميع دول الشاطىء الجنوبى للبحر المتوسط تبحث عن شخصيتها السياسية الحقيقية .

٥ — المحيـــط الهنـــدى

احدث تحرر دول شـــرق أفريقيـــا تغييرا جذريا فى الوضـــع الجغرافى لهـــذه المجموعة الثائرة .

وقد عبرت مياهه فى سنة ١٩٦٤ ثلاثمائة مليون طن من البترول وسوف ترتفع هذه الكمية بلا شك الى مليار من الاطنان فى عـــــام ١٩٨٠ .

وقد سبب النزاع الاسرائيلى / العربى (وعلى الاخص حـــرب أكتوبر ســـنة ١٩٧٣) وعيا جديدا بالوحدة الاسلامية . اذ ظهـــرت الحـــاجة الى الوحـــدة الســـياسية والايديولوجية من المغـــرب الى « قرن » أفريقـــا بالـــرغم من اختلاف النظم الســـياسية الداخلية وأنواع الصراع المحلى بين الدول العربية أو الدول المجـــاورة لهـــا مثـــل ايران ودارت هـــذه الوحدة حـــول مساندة الفلسطينيين .

ولهذا فاننا نجد فى الاستراتيجية العامة كما فى الاســـتراتيجية العســـكرية أن المواجهة الاسرائيلية / العـــربية تتوسط الوعى بوحـــدة مسرح العمليات فى الشـــرق الاوسط . وقد ادت المراحل السابقة على هذه الحرب والتى تركت فى نفوس العـــرب شعورا بالعجز أمـــام القوة العسكرية الاسرائيلية الى تأخر هذا الوعى والذى كشفت عنه حـــرب أكتوبر ١٩٧٣ بصورة خشنة . تلك هى الاستراتيجية الاساسية فى المجال الاقليمى .

الجغرافية الاستراتيجية والدولتان الكبيرتان

تؤدى بناء الاعتبارات السابقة على المستوى الاقليمى الى أن نلاحظ أن لهـا مبرراتها على مستوى استراتيجية كل من الدولتين الكبيرتين . وتزداد أهمية هـذا الادراك لاسيما وأن هناك توافقا فى هذه الاستراتيجية على مسرح هذه العمليـات

وقد تغلغلت قوات البحرية والطيران البحرى السوفييتى فى البحـر المتوسط وفى المحيط الهندى منذ سنة ١٩٥٦ لتحطيم السـد المزدوج المتمثل فى كل من الحلف المركزى وحلف جنـوب شرق آسـيا .

- زيادة نفوذ الاسكادرا .
- التموين الخاص بالبحار .
- معاهدة مونتـــرو .
- بربرة ، عـدن سوكوترا .

ومن هنا ظهر الاسطول السادس الامريكى بالاضـافة الى حـلف الاطلنطـى (اليونان وتركيا) .

ولا يولى العملاقان اهمية كبيرة للتغييرات التى حدثت فى كل من اليونان ولبنان وليبيا لادراكهما أن بؤرة النزاع الحقيقى تتمثل فى الصراع الاسرائيلى / العربى وان هذا النزاع يسيطر على مسرح العمليات بأكمله فى منطقة الشرق الاوسط .

وينبغى على كل منهما العمل على أن يتكفل بمصالح كل طرف على حدة بدرجات متفاوتة ووفقا للظروف الدولية ، فهذا النزاع العربى / الاسرائيلى يعتبر أفضل موجه لسياستهما فى الشرق الأوسط . وهذا ما ظهر من خلال تغيير السياسة التى ينتهجانها ازاء حلفائهما المحليين اذ يقدمان لهما المساعدة ولكن بشروط تحتسب على اساس « الصراع » القائم بينهما . وفيما يتعلق بمسرح العمليات ذاته ، يعتبر هذا التصرف تدخلا مستمرا يبعث على الاضطراب ولا يؤدى الى الاستقرار ، وعلى العكس مـن ذلك ، يؤدى هذا التدخل الى زيادة استقرار العلاقات بين الدولتين الكبيرتين ، فكل منهما تحاول أن تمنع أى نوع من «الاضطربات المحلية» من التاثير على هذه العلاقات . وهى تهدف اذن الى أنتزاع جزء من حرية الدول التى ترعاها . وكل أزمة تتيح لها أن تحد من هذه الحرية ، عن طريق مناورة يشكلها مدها بالسلاح . ومن هذه الزاوية ينبغى أن نقوم بتحليل ما حدث بين المحيط الهندى والبحر المتوسط منذ ٢١ أكتوبر ١٩٧٣ .

الغـــــرب :

أن المواجهة الاسرائيلية / العربية أيضا هى مركز الاحداث التى أدت الـــى القضـــاء على نفوذ الدول الأوربية الكبرى فى البحر المتوسط والمحيط الهنـــدى .

وفى ١٩٥٦ ، أدى الانذار السوفيتى وتدخل الرئيس ايزنهاور الى وقف التدخل الفرنسى / البريطانى على الفور . فهذا العمل المشترك من جانب الدولتين الكبيرتين كان بمثابة نهاية عهد بالنسبة لكل من بريطانيا وفرنسا اللتين كانتا تسيطران الى ذلك الحين على البحر المتوسط .

ولقد افسحتا المجال لكل من الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى فبقيتا بمفردهما فى هذه المنطقة كذلك فان تصفية الاستعمار فى جنوب شرق آسيا وضياع نفوذ انجلترا وفرنسا ثم اغلاق قناة السويس ، كان بمثابة الضربة القاضية لما كانت توليه الدولتان من أهتمام بالمحيط الهندى . وهنا أيضا بقيت القوتان الكبيرتان بمفردهما .

أن العامين الماضيين اللذين أعقبا الحرب الساخنة فى سيناء والجولان ، قد أحدثا تغييرات تثبت أن السلام الحقيقى لن يسود فى الشرق الاوسط طالما كانت الاستراتيجيات الاقليمية المتواجهة فى هذه المنطة خاضعة لمصالح العملاقين ، وبمعنى اخر طالما كانت هذه الاستراتيجيات هى نتاج التدخلات من جانب الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة .

والدرس الذى يمكن استخلاصه من ذلك والذى استفادت منه بعض دول الشرق الاوسط من الناحية العملية بأن حاولت تنويع مصادر الامداد بالسلاح ، هو أن الوضع الاستراتيجى لهذا الجزء من العالم لنيتغير طالما ظل البحر المتوسط والمحيط الهندى منطقتى نفوذ بالنسبة للعملاقين ، اى طالما لم تسيطر عليهما الدول الساحلية التى تقع على هذين الممرين المائيين — وخاصة دول البحر المتوسط .

الاستراتيجية العسكرية لحرب اكتوبر
واثـرها على الاستراتيجية العالميـة

ميجور جنرال / فارار هوكلى

على الرغم من انقضاء عامين على حرب اكتوبر ١٩٧٣ . فمازال الاهتمام بها كبيرا ، ولا يقتصر على هؤلاء الذين شاركوا فيها . فهناك اهتمام دولى مستمر بالجوانب العسكرية والاقتصادية والسياسية للاحداث التى سبقتها وبالحرب نفسها وما أعقبها من آثار .

وتبدو الأسباب التى تكمن وراء هذا الاهتمام المتصل جلية بذاتها ففى المجال العسكرى مثلا ، تكشفت انجازات التكنولوجيا الحديثة بأسرها التى استخدمت فى السنوات العشرين الماضية فى ميدان المعركة . رمن الطبيعى أن يبدى المشتغلون بالاستراتيجية فى أوربا اهتماما شديدا بمدى رسوخ الافكار التى ثبت صلاحيتها من الوجهة النظرية بعد هذا العرض لتلك الانجازات وأنا أطرح الموضوع على هذا النحو لأنه ليس من العملى بطبيعة الحال نقل الدروس المستخلصة من حرب قامت فى قارة معينة لتطبيقها على قارة أخرى ، ففى هذه الحالة تتدخل الاعتبارات الجغرافية والظروف السياسية والعسكرية المختلفة . ومع ذلك يمكن بشكل عام تطبيق بعض الحقائق والنتائج بالقدر الكافى الذى يثير عددا من الأسئلة تتعلق بالمسلمات وتقترح ضرورة ادخال تعديلات معينة على السياسات .
فما هى الحقائق والنتائج ؟

يبدو لى أنها تنبع من أو تتعلق بثلاثة مجالات رئيسية للتكنولوجيا والخبرات المهنية الاخرى وهى : التهديد من الجو — وعمليات القوات المدرعة — والقيادة والسيطرة . وأنا لاأضعها بترتيب أهميتها ولكن بالترتيب الذى يساعد على مناقشتها .

وقد ظهر التهديد الجوى الذى يستهدف ميدان المعركة — سواء كان فى البر أو البحر — وبالتالى لقواعد الامداد الرئيسية وللعمق وراءها ، ظهر بوضوح فى الحرب العالمية الثانية ، ففى السنوات الاولى من الحرب (١٩٣٩ — ١٩٤٥) دفع المشتركون فيها ثمنا باهظا فى الأرواح وكذلك دمر الكثير من معدات الحرب والصناعة نتيجة للتقليل من شأن ما بلغة هذا التهديد من تطور . وعلى امتداد نصف قرن منذ بداية ظهور الطائرات العسكرية ، تصاعدت القدرات الهجومية للطائرات الحربية . ولم توفر نظم الدفاع الجوى خلال هذه الفترة سوى عامل ردع متواضع باستثناء الظروف التى كانت تتطلب هجمات على

مستوى منخفض جـدا ضد أهداف كانت تتولى تركيزات المدفعية سريعة النـيران الدفاع عنها . وكان التطور الرئيسى الوحيد فى وسائل الدفـاع فى ذلك الوقت هو جهاز الرادار الذى كان يقوم بعملية الانذار المبكر والذى هيـأ امكانيـة اكتشـاف أهـداف متقدمة والقـدرة على اقتفـاء الاثـر .

وبعد ذلك حـدث تقدم سريع نسبيا فى نظـام تسيير الصواريخ وتوجيهها واصابة الأهداف وكانت النتيجة ـ ضمن نتائج أخرى ـ ظهور صاروخ الدفاع الجوى الذى شوهد أول مرة فى أثناء استخدامة فى عمليات كثيرة فى فيتنام . ولكـن القدرة الكاملة لنظـم أسلحة الدفاع الجوى لم تظهر واضحة الا فى حـرب أكتوبر فى الشرق الأوسط . ذلك أن اجتماع المدفعية التقليديـة وصواريخ أرض / جـو وطائرات الاعتراض أتـاح استخدام نظـام دفاع جـوى فعـال يغطى عمليـات عبـور القنـاة ومنطقة الدعم فى الخلف وفى قلب الاراضى المصرية . ومن الغريب أن نـرى المحاولات التى تبـذل فى تفسير الانتصار فى الوقت الذى تشيع فيه آراء توحـى بوجـود أخطـاء واضحة فى الأداء وتطبيق التكنولوجيا بين وحـدات الدفاع الجوى المصرى . ولتأييد هذا التناقض فى وجهات النظر سيقت الشواهد على أن عددا من الطائرات الاسرائيلية اخترقت المجال الجوى المصرى . وانه لامر طبيعى ان تحدث اخطاء فى أيـة قوة دفاعية فى اى صراع .. فاذا سلمنا بذلك جـدلا رأينا أن عدد المرات التى اخترقت فيها الطائرات الاسرائيلية المجال الجوى المصرى كان محدودا ، ولكن الحقيقة هى أنه فى مواجهة المحاولات المتكررة لـم تتعرض القوات المصريـة لهجمات متصـلة أو هجمات أصابتهـا بالعجز .

ولأن احتمـال حـدوث الهجمات الجويـة قـل بشكل ملحوظ ، تدفقـت العمليات المدرعة على نحو يكاد يكون مستمرا خـلال فتـرة القتال الفعلـى . ان المناعـة النسبية التى تتمتع بها الدبابة ضـد الهجوم بواسطة أى نظـام من نظـم الاسلحة الارضية ـ بخـلاف الهجوم الذى يأتـى من دبابة أخرى ـ كان مسـلما بها فى ميدان المعركة لعدة سنوات وأصبحت تكاليف تزويد المدافع المضادة للدبابات (أو ما كان يطلق عليه الألمـان المدافع المدمرة للدبابات) سـواء كانت مدافع ذاتيـة الحركـة أو مقطـورة ، أصبحت هذه التكاليف باهظـة جـدا ورأت دول كثيرة انـه من الافضـل استثمار اغلبيـة الاعتمادات المخصصة للاسلحة المضـادة للدبابات فى شراء دبابات اضافية .

ومرة أخرى ، فان ظهور الاسلحة الموجهة فتـح المجـال امام وجـود فرص جديدة للدفاع . ورغـم ذلك ظـل كثير من الضباط المحترفين متشككين فيما يتعلق بقيمة هذه الاسلحة وانخفض تقدير احتمالات الضربات فى المعركـة المتحركة ، وثار الشـك حول احتمال أن تكون هذه الضربات فعالـة من حيث احداث الخسائر .

فى المرحلة المبكرة من حرب أكتوبر استخدم الجنــود المصريون صــاروخ مولونكا فى ميــدان المعركة وحققوا نتائج طيبــة . وكما حدث فى حالة الدفاع الجــوى ، ثارت تساؤلات كثيرة نجمت عن نجاح هذه التجربــة فقد أطلقت صواريخ المولوتكا بأعداد كبيرة — فشــل الكثير منها فى اصــابة أهدافــة وضلت الاسلحة ، وتعثر توجيــه الطاقــم ... الــخ ورغم ذلك تبقى هذه الحقيقة وهى أن الطــابور المدرع المهاجم قد أوقف وفقــد عدد كبير من الدبابات نتيجة تشغيل صاروخ المولونكا . وفضلا عــن ذلك ، أرغمت هذه الحادثــة الاسرائيليين على اعــادة التفكير فى الاسلوب الذى اتبعــوه فى العمليــات فى قلب المعركــة .

والمولوتكا ســلاح حديث نسبيا يعتمد على نظــام بسيط من التحــكم ، ولكن النتائج التى حققتهــا فى صحراء سيناء كانت كافيــة لاقرار صلاحية الفكرة من ورائه ، ولتأكيــد الحاجــة الى تطوير القدرة العاليــة التى يقدمها هذا الســلاح ، وقــد غير استعمالة الناجح من طبيعــة العمليات المدرعــة .

وان ضروب التقدم التى طرأت على قــوة الاسلحة التقليدية جميعــا والزيادة فى تحركات القوات البريــة جعلت من الضرورى تحسين أنظمــة القيادة والتحكم . وقد حدث مرارا على كلتــا الجبهتين خــلال حرب أكتوبر أن تكرر حدوث هذا المأزق الذى يعتبر عاديا بالنسبة للقادة فى ميدان المعركة خلال تاريخ الحــرب — وهــو الحاجة الى اتخاذ قرارات مبينــة على أساس معلومات قاصرة ، بــل وربما خاطئة فى بعض الأحيان .

وفى المناقشة التى دارت حــول الجوانب الاستراتيجية والتكتيكية العليــا فى معــارك الحرب البريــة قدمت اقتراحات بأن حــل هذه المشكلة يكمن بشكل مباشر فى تجميع الأسـاليب الميكانيكية والالكترونية كمــا يحدث فى المعالجة الآلية للبيانات .

ومن وجهــة نظر شخصية — قد يكون من الخطأ افتــراض أن الآلات يمكنها التغلب على كل المشــكلات البشرية التى تتصل بهذا الموضوع — فــان وســائل الاتصــال اللاسلكية مستخدمة الآن فعــلا على نطاق واســع وهى تتيح للقــادة والافراد التابعين لهم القــدرة على التحدث الى جميع الموجودين فى كــل أنحــاء الميــدان . وليس من شــك أن وسائل الاتصــال هذه عرضــة للاعطــال بسبب الهجوم أو التشويش اذا ضربنا المثل بأكثر الأشياء شيوعا ، وبذلك لا تتمكن من العمل بكفــاءة وفى هذه الحــالة وعندما تعتمد المعالجــة الآليــة للبيانات بالضرورة على الاتصــال اللاسلكى أو على المحطات اللاسلكية متعددة القنوات فى العمليات المتحركة فانهــا تكون هى أيضــا عرضه لمثــل هذا الهجــوم .

وفيما يتعلق بالقـــادة لا توجد اذن أيـــة حالة على أى مستوى من شـــأنها أن تشجع الفرد على محاولـــة ممارسة لعبـــة الشطرنج العســـكرية من مركـــز القيـــادة معتمدا على الآلات فى الحصـــول على كل المعلومات التى يحتاجها لاتخـــاذ قراراتـــه . ان المبـــدأ القديـــم الذى ثبتت صحتة والقائـــل بأنه يتعين على القـــادة الخروج من مقـــر القيادة والتحرك بأنفسهم الى الأمـــام للاكتشاف وتشجيع وزيادة عزيمة قواتهم وكبح جماح من تخطت شجاعتهم الحدود ولكى يضعـــوا تقديراتهـــم بأنفسهم ، مازال هذا المبـــدأ سليما . ولكن من الصعب أن يتواجـــد القادة فى كـــل مكان حتى اذا وضعنا فى الاعتبار استخدام الهليوكبتر كمـــركبة متجولة يســـتخدمها القائد فى ميدان المعـــركة . ويشعـــر الضباط بالحاجة بصفـــة مستمرة الى معرفـــة مواقـــع العناصر التى تتبعهم بدقـــة متناهية وهناك أيضـــا الحاجـــة فى فتـــرات متقاربـــة الى التعرف على أحوالهم من حيث الرجـــال والاسلحةوالمهمات وامدادات القتـــال وأين توجد موارد الدعـــم وســـد النقص .

وعلى المستويات التكتيكية الأقـــل ـــ لـــم تقدم حالـــة واحدة مقنعة لاستبدال الرجال الذين يستخدمون وسائل الاتصـــال المباشرة مثل الاذاعة والاتصال الشخصى للتحكم فى الوظائف المتعلقـــة بنقل الجنـــود وتموينهم . ولكن على المستويات الأعلى فى الجيش والجبهـــة وفى منظمة الدعم ، ستقوم المعالجة الآليـــة للمعلومات بتوفير أدوات التحكم وبذلك يسمح بتهذيب الوسائل اليدويـــة البطيئة الحالية والتى غالبـــا ما تكون عاجزة عن احـــداث الأثـــر المطلوب .

أمـــا فيما يتعلق بتحديد المواقع فهناك الحاجـــة الى الاحاطـــة الآلية والمتأنية لاستعدادات الوحـــدة والتشكيل ، وهو مطلب يلـــزم لمركز القيـــادة الاستراتيجية كمـــا يلـــزم للمستويات التكتيكية على حـــد ســـواء .

وتتيـــح العمليات المتحركة فرصـــا للاستغلال السريع وكثيرا ما يستغرق نقـــل المعلومات من مســـتوى الى آخـــر وقتـــا طويلا .

ان الاحتياطات الهامـــة قليلة وغالبا ما تفصـــل بينهـــا مســـافات واســـعة كمـــا يتطلب اصـــدار الأوامر اليهـــا وقتـــا طويلا والقائد الذى يتواجـــد فى مستوى يتحكم منه فى احتياطيات رئيسية يجب أن يكون على احاطـــة سريعة بانتشار القوات فى ميدان المعركة وهذا لا يمكن تحقيقه الا باستخدام نظـــام يعمـــل أتوماتيكيا للابلاغ عن مواقـــع القوات .

وقد يقـــال ان معظم ما ذكرناه ينطبق على المستوى التكتيكـــى أكثر من انطباقه على المستوى الاستراتيجى الذى يهتم بـــه هذا المؤتمر وليس من شـــك ان معظمه يتصـــل بالنظرية التكتيكية والتنظيم بيـــد أن هذا لا يستبعد اســـتخلاص النتـــائج المتعلقـــة بالاستراتيجة من نفس المصـــادر .

ولنعد الآن الى تفــوق أنظمــة الدفاع الجوى . فاذا كان صحيحا أن الطــائرة تفقــد قدرتها على اختراق أرض العدو . فمعنى ذلك أن فرصــا هامــة تضيــع فى الحــال من القائد الاستراتيجى وهذه الفرص هى وسيلة الحصــول بسرعة على معلومات دقيقــة حــول نوايا العدو وقدراتة بواسطة الاستطلاع الجوى . والقدرة على قطــع خط تموين العدو فى الميدان . وأصبح المبــدأ القديم القائــل بأن المهمة الأولى للسلاح الجــوى فى المعركة هى تدمير قــدرة العدو الجويــة بتدمير قواعده الجويــة ــ أصبح هذا المبدأ ــ خليقــا بالاهمــال .

وسيقال بلا شــك أن الابداع البشرى سيجد وسيلة لتزويد الطائرة فى المســتقبل بوسائل الكترونية مضــادة لاسلحة الدفاع الجــوى . ولكن بــأى قــدر من التكلفة فى الموارد ولأى حــد فى تخفيض الوظائف الأساسية مثل الاستطلاع والقصف ؟

وفضــلا عن ذلك قد يبــدو أن هذا الجــدل يفترض أن الابداع البشرى لن يمارس عملــه فى ميدان الدفاع الجوى من أجــل الاحتفاظ بالتفوق الحالــى .

فاذا أزيح عامل الهجوم الجوى من ميدان المعركة فســوف تكون الاستراتيجية فى حاجــة الى المراجعة . وكذلك يجب مراجعة البرامج المعــدة لتخصيص الموارد القومية . وسيكون لنظــم الدفاع الجوى أعلــى الاعتمادات من هذه الموارد . وهكذا أيضــا سيكون الحــال مع أجهزة التطوير المعنية بوسائل أخــرى من العمليــات الحربية وعلى سبيل المثــال المركبات التى توجــه على البعــد .

ويجب ان تهيىء مخصصات الموارد بمــا فى ذلك البحوث والتنميــة نظمــا جديدة مباشرة مضــادة للمدرعات . فاذا توافــر وجــود نظام فعــال ورخيص نســبيا كمــا يبدو ذلك محتملا ــ فان دبابات الدفاع ستتمكن من العــودة فى القريب العاجــل الى دورها الكلاسيكى الذى يتمثل فى أحداث صدمــة كعمــل منفصــل عن الــرد على الدبابات الأخرى بأسلوب المدافع ذاتيــة الحركة المضــادة للدبابات واذا نظرنا الى أبعد من ذلك ، ومــع تطور معــدل قــدرة القصف والرؤيا الليلية للاسلحة الموجهــة المضــادة للدبابات الا يحتمل أن ينشأ مطلب جــديد لاستبدال الدبابة بشىء مختلف تماما ، ولا ينبغــى التسليم بأن الاســلحة الموجهة المضــادة للدبابات ستحل محــل الدبابة فليس لديهــا القدرة على الهجوم أو صــد الهجــوم كمــا تصنع فى الوقت الحــالى فمثل هذه القدرة تعتبــر ضرورية جــدا لبقــاء أى جيش فى الميدان . ولكن هــل ستكون الدبابات كافيــة كبرنامج أسلحة ومدرعــات شاملة محدودة السرعة على مدى القرن القــادم ؟ هذا هو السؤال الذى اثارتــه بحق أول عمليــة لاستخدام صــاروخ المولوتكــا قــام بها الجنود المصريون .

وأخيرا فان حرب اكتوبر تذكرنا ببعض مشــاكل القيادة والتحــكم القديمــة التى قــدم لهــا علــم المناهج الجديد حــلولا .

ولا تعد التكنولوجيا الاجـابة الشافية فى هذا الصدد ، وكذلك فـان الدروس المستخلصة من الحرب تتعلق بالرجـال وقدراتهم أكثر ممـا تتعلق بالآلات التـى يقومون بتشغيلهـا . فاذا لـم يستخلص المشاهدون فى العالـم نتائج أخرى قيمـة من حملة أكتوبر ١٩٧٣ العسـكرية فان الانجـاز الهائل فى هذا كلـه هو عبقريـة ومهـارة القـادة والضباط الذين تصوروا وقاموا بتنفيذ عمليـة هجومية جـاءت مفاجـاة تامة للطرف الآخر رغم أنها تمت تحت بصره .

وتكملة لهذا اظهر الجنـود المشتركون روحـا معنوية عالية وجراءة كانتا من قبل فى عـداد المسـتحيل .

ورغـم الخطوات الواسعة التى تمت على طريق التكنولوجيـا العسكرية التى أظهرتها الحرب ، فمن الواضح أن الرجال ما يرجوا أهم عنصر فى ميدان المعركة .

دور الدفاع الجـوى المصرى
فى حـرب أكتوبر ١٩٧٣

فريق / محمد على فهمى

رئيس أركان حرب القوات المسلحة

لقد تميــز الصراع بين اسرائيل والدول العربية بالدور البــارز الذى ظـلت القوات الجوية الاسرائيلية تلعبه على مـدى سنوات طويلة . وقـد اكتسبت هذه القوات شهرة واسعة فى أعقـاب الدور الذى لعبته فى حرب يونيو ١٩٦٧ ، وضخمت أبـواق الدعاية الصهيونية من قيمـة هذا الدور وصنعت من هذه القوات أسطورة لا تقهـر ، واصبح التفوق الجـوى الاسرائيلى أمرا مسـلما بـه من جميع الدوائر العسـكرية فى العالم وجاءت حرب الاستنزاف بعد ذلك خـلال عامى ٦٩ ، ١٩٧٠ لتؤكد اصرار القيـادة الاسرائيلية على الاعتمـاد على قوتها الجويـة فى الدرجـة الاولى باعتبارها الذراع الطويلة والعصـا الغليظة — كما اطلقوا عليها — التـى تستطيع أن تضرب بعنف فى أى مكـان لتردع العرب ليتملكهم اليـأس فيسلموا بمبدأ التفوق الاسرائيلى الذى لا يقهـر .

ومن هنا يمكننا أن نتصور أهميـة الدور الذى لعبتـه قوات الدفاع الجـوى المصرى فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ لتحطيم اسطورة التفوق الجوى الاسرائيلى .

الاعـداد والتخطيط :

وعندما بدأنـا التخطيط لحرب أكتوبر ٧٣ كانت الرؤيـة لدينـا واضحة تماما وكنا عـلى ثقة أن الحرب أمـر حتمى ودورنا فيهـا بالغ الاهميـة والتأثير فعلينا يقـع عبء التصدى لأقوى ما تملك اسرائيل وتفخـر بـه .

وعندما شرعنا فى اعداد قواتنا لـم نبـدأ من فراغ فقد كنـا على بينـة بالعدو المنـوط بنـا مواجهته فقد استفدنا كثيرا من الاحتكاك الفعلـى بـه خلال الاستنزاف عامـى ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ وعكفنـا على تحليل أعمـال القتـال التى تمت خلال هذه الفترة ،وتمكنا تماما من معـرفة أساليب العدو وتكتيكاته ولم نتوقف لحظـة عـن متابعـة كـل مـا يطرأ على القوات الجـويـة الاسرائيلية مـن تطـور حتى أصبح عدونـا كتابا مفتوحا مقروءا امام أعيننا . ولـم تقتصر استفادتنا من حرب الاستنزاف عـلى معـرفة عـدونا فقط ، بـل استخلصنا منها العديد من الدروس المستفادة وحددنـا نقاط الضعف والقـوة فى قواتنا وأسلحتنا وأساليب قتالنـا ووضعنـا هذه الدروس موضـع التنفيذ وكان لهـا الاعتبار الاول عند وضع خطـة اعـداد القوات .

وقد شملت خطـــة الاعداد النواحى التاليـــة :

* اعــداد الخطـــط .
* اعــداد الفـــــرد .
* اعــداد الاســـــلحة .
* اعــداد مسرح العمليـــات .

اعـــداد الخطط :

تـــم التخطيط لأعمال قتـــال الدفاع الجوى بنـــاء عـــلى عدد مـــن الحقائق الرئيسية وضعت فى الاعتبار كأساس للخطة ، وهذه الحقائق هى :

* **الحقيقة الاولى :**

ان قوات الدفاع الجوى المصرى ستواجـــه القوات الجوية الاسرائيلية وهى فى كامل قوتهـــا حيث لـــم يكن فى مقـــدور القوات الجوية المصرية الوصـــول بالأنواع التى تمتلكها من الطائرات الى القواعد الجويـــة الاسرائيلية فى داخـــل اسرائيل وبنـــاء على ذلك استقر الرأى على مواجهة هذه الحقيقة بأمرين :

- **الامـــر الاول :**

الاصرار على احراز المفاجأة وحرمان العدو من التمتـــع بمزايا توجيـــه الضربة الأولى . ولقـــد شارك الدفاع الجوى بدور رئيسى فى تحقيق المفاجأة ومارس هذا الدور قبل اندلاع القتـــال فى ٦ أكتوبر ٧٣ بوقت طويـــل . فلقد أمكننا أن نكبـــد العدو الجـــوى خسائر متلاحقة فى طائراته التى تقوم بالاستطلاع من الجـــانب الشرقى للقناة وتمكنا بذلك من مد سيطرتنا علـــى المجـــال الجوى من غربـــى القناة الى شرقها وأجبرنا العدو على التخـــلى عن أحسن مصـــادره للحصول على المعلومات — ووفرنـــا بذلك الظروف المناسبة للقوات البريـــة للتحضير والاعـــداد للعمليات الهجومية فى سرية وأمـــــان .

- **الامـــر الثانـــــى :**

أما الامر الثانى فكان الاصرار على أن يتم الهجوم المصرى على مواجهة واسعة ليشمـــل منطقة قناة السويس بالكامـــل من بورسعيد الى السويس ويمتد جنوبها على ساحل خليج السويس مع دفعه فى عمق سيناء بالقـــوات الخاصة وحتى مسافة ٥٠ كم شرقى القناة ، على أن يبدأ كل ذلك فى وقت واحد بمـــا يحقق :

— ارغــام العدو على توزيع ضرباته الجــوية الموجهــة لقواتنا بمــا يضعف من تــأثــيرهــا .

— خــداع العدو عن الاتجاه الرئيسى لهجوم قواتنا وبالتالــى حرمانه من تركيز جهود قواتــه الجوية ضــد قواتنا فى هذا الاتجــاه أو ذاك .

*** الحقيقــة الثانيــة :**

ان مسرح العمليات بالنسبة لقوات الدفاع الجــوى لا يقتصر فقط على جبهة قنــاة السويس وسيناء ولكنه يمتد ليشــمل كل رقعة الأرض المصريــة فالمراكز السياسية والاقتصادية والحيويــة فى عمق الدولة والقواعد الجوية مهما بعدت ستظل دائمــا أهدافــا لهجمات العدو الجــوى ، لذلك ينبغى أن يتــم تخصيص الوسائل والامكانيات بمــا يحقق التوازن بين ما تفرضــه العمليات الهجوميــة من متطلبــات جديدة وبين حتميــة استمرار توفير الدفاع الجــوى عن الأهداف الحيويــة فى عمق الدولة . ولقد تطلب ذلك القيــام بالعديد من الحسابــات والتقديرات والمقارنــات مع اعــداد خطــة تفصيلية للمنــاورة بالوســائل والامكانيات طبقــا لتصــور دقيق لمراحل المعركة وأهــداف الهجوم الجوى فى كل مرحلة . ولقد أثبتت النتائج الفعلية للقتال دقة هذا التصور وكفاءة المخطط المصرى .

*** الحقيقــة الثالثــة :**

أن نجاح العدو فى تدمير الكبــارى والمعابر التى ستقام على القنــاة يعنــى فشــل العملية كلهــا . لذا أولينا عنايــة خاصة لذلك ووضعت خطــة منفصلة للدفاع الجوى عن الكبارى والمعابر على القنــاة وحشدت لها كل الامكانيــات التى تكفــل نجاحها وأجريت عــدة تجارب عمليــة لاختبار هذه الخطط بالتعاون مع القوات الجوية والبريــة وكان يتــم فى ضــوء هذه التجارب تعديل وتطوير هذه الخطط لضــمان كفاءتها وفاعليتهــا ضــد كافــة أساليب وطرق الهجوم الجــوى .

*** الحقيقــة الرابعــة :**

ان الحروب الحديثة تستنزف حجمــا هائلا من المعدات والاسلحة وقطــع الغيــار ممــا يستلزم ضرورة الاحتفاظ باحتياط كــاف لمواجهة جميع الاحتمالات والاحتفاظ بالقدرة على الاستمرار فى القتــال لذلك تضمنت الخطــة تشــكيل احتيــاط مناسب من وحدات دفاع جــوى كاملــة وروعــى فى تشكيل هــذا الاحتياط أن يكون موزعا بصــورة تمكن من دفعه بالسرعة المطلوبة الى المناطق المنتظر أن تتكبد فيها قوات الدفاع الجوى خسائر ثقيلــة لضمان الاصلاح فى الميدان .

وفى ضـــوء هذه الحقائق تــم وضع خطـــة عمليات الدفاع الجوى بتفاصيلها بمـــا فى ذلك تنظيم التعاون بين عناصر الدفاع الجوى بعضها البعض وبينهـــا وبين القوات الجوية وبـــاقى أفـــرع القوات المسلحة . وكـــذا خطة الخداع التى تخدم خطـــة العمليات والتى وضعت بذكـــاء وفـــر لها الكثير من عنـــاصر النجاح فى أثنـــاء التنفيـــذ .

اعداد الســـلاح :

قد يعتقد البعض أن اعداد الســلاح يعنى توفير الاسلحة والمعـــدات التى تحتاجهـــا المعركة ، وهو بهذه الصورة لا يعدو أن يكون اجراء سياسيا وتعاقديـــا ولكن الأمر لـــم يكن كذلك بالنسبة لنـــا ، فلم نتمكن لظروف عديـــدة من الحصـــول على الاسلحة والمعدات بالحجـــم والنوعية التى تتطلبها معركتنا ولـــم يكن أمامنـــا من وسيلة ســـوى الاصرار على تطوير ما فى أيدينـــا من سلاح لنحصل منه علـــى اقصى الامكانيـــات .

ولقد نجحت المبـــادرات الخلاقـــة للضباط والمهندسين المصريين فى اضـــافة تعديلات فنيـــة عديدة على الاسلحة والمعدات أمكننـــا بها تغطيـــة معظم نواحـــى الضعف ورفعت من الكفاءة الفنيـــة لها بمـــا يتمشى مع التطور فى أسلحة ومعدات عدونـــا وكما أضافت اليها قدرات لم يحسب العدو حســـابها .

اعداد مسرح العمليـــات :

لقد احتلت أعمـــال اعداد مسرح العمليات دورا هامـــا فى التحضير لأعمـــال قتـــال الدفاع الجوى ولـــم تنحصر هذه الأعمـــال فى جبهة قناة السويس فقط كمـــا قد يتبـــادر الى البعض بـــل شملت كافـــة المناطق فى جميع انحـــاء الجمهورية وهكذا انتشرت مواقع الدفاع الجوى الحصينة بالمئات فى جبهة قنـــاة السويس وحـــــول الأهداف الحيويـــة بالدولة وأخذت المواقع الهيكلية والتبادلية نفس الاهتمـــام والعناية التى حظيت بهـــا المواقـــع الرئيسية .

ولم يتم عمـــل ذلك بالســـهولة التى اعلنتها امـــام حضراتكم اليوم فقد تعرض بنـــاء هذه المواقع فى منطقة القناة لتحديات مركزة من الطيران الاسرائيلى فى اثنـــاء حرب الاستنزاف . تصدينا لهـــا بعزيمة واصرار وشهدت الشهور الاخيرة من تلك الحـــرب تحـــولا خطير اذ تمكنـــا من انشـــاء شبكـــة دفـــاع جـــوى قـــوية فى منطقة قنـــاة السويس عرفت باسم حائط الصواريخ وكان شهر يوليو ٧٠ بـــداية النهاية لاسطورة التفوق الجوى الاسرائيلى عندما توالى اسقاط الطائرات الاسرائيلية بنيران الصواريخ المصرية المضـــادة للطائرات .

وبدلا من أن يعى القادة الاسرائيليون الدرس راحوا بعد وقف اطلاق النار فى ٨ اغسطس ٧٠ بناء على مبادرة « روجرز » يعلنون بأن القوات الجوية الاسرائيلية وجدت الوسيلة والأسلوب للتغلب على حائط الصواريخ المصرى .. ولكن كما نعلم جميعا جاءت نتيجة حرب أكتوبر ٧٣ مخيبة لآمالهم .

اعداد الفرد :

لقد كان اعداد الفرد أبرز نواحى الاعداد واهمها على وجه الاطلاق فنحن نؤمن أن الخطط مهما أحكم تدبيرها ، والمعدة أيا كانت كفاءتها وفاعليتها ستصل فى النهاية الى أيدى الفرد المقاتل وستكون النتيجة النهائية للحرب رهنا فقط بأداء هذا الفرد . ولذا ركزنا على اعداد الفرد ذهنيا وجسمانيا ومعنويا مما أهله لاستخدام معداته المعقدة بكفاءة نادرة كانت أحد العوامل الرئيسية فى مفاجأة العدو .

وهكذا عالجت خطة الاعداد جميع المشاكل وغطت جميع الموضوعات وحددت الاجراءات وتوقيتات تنفيذها ، وشكلنا جهازا خاصا للمراجعة والمعاونة لمتابعة التنفيذ والتصدى للمعوقات والمصاعب وحل المشاكل على الطبيعة أولا بأول .

وهكذا دارت العجلة لتصبح قوات الدفاع الجوى على أهبة الاستعداد لتنفيذ مهامها فى المعركة المنتظرة .

القتال :

وجاء يوم السادس من أكتوبر ٧٣ وبدأت الحرب وكان الصراع بين القوات الجوية الاسرائيلية وقوات الدفاع الجوى المصرية أبرز ملامح هذه الحرب .

١ — فقد ركز العدو الجوى أعمال قتاله خلال الحرب لتنفيذ المهام التالية :

أ — احباط عملية اقتحام القوات المصرية لقناة السويس وتدمير الكبارى والمعابر التى تنجح القوات المصرية فى اقامتها عبر القناة .

ب — منع القوات المصرية التى تنجح فى الانتقال الى الضفة الشرقية من تعزيز مواقعها وانشاء رؤوس كبارى .

جـ — احراز السيطرة الجوية فى مسرح القتال باسكات شبكة الدفاع الجوى فى منطقة قناة السويس وضرب القواعد الجوية الرئيسية لاخراج الطيران المصرى من المعركة على نمط ما تم فى يونيو ٦٧ .

د — مساندة القوات البرية الاسرائيلية القائمة بالهجمات والضربات المضادة ضد القوات المصرية .

٢ — وتصدت قوات الدفاع الجوى المصرى لاحباط محاولات العدو لتنفيذ هذه المهام ونجحت فى تحقيق النتائج الآتية :

أ — وفرت الحماية الجوية الفعالة للقوات البرية خلال جميع مراحل القتال وتمكنت من تحييد القوات الجوية الاسرائيلية فى جبهة القتال وحطمت اسطورة التفوق الجوى الاسرائيلى بالتعاون مع مقاتلات القوات الجوية ، ووفرت بذلك أنسب الظروف للقوات البرية لاقتحام القناة والقتال على الضفة الشرقية دون تدخل فعال من القوات الجوية الاسرائيلية .

ب — كما نجحت قوات الدفاع الجوى فى تأمين الكبارى والمعابر التى اقيمت على القناة من الهجمات الجوية المركزة التى شنتها عليها القوات الجوية الاسرائيلية طوال أيام القتال ولم تتمكن من تدمير أى منها وبذلك تم تأمين استمرار تدفق القوات والامدادات وانتظام اعمال المناورة والاخلاء عبر الكبارى طوال مراحل القتال .

جـ — ونجحت قوات الدفاع الجوى أيضا فى توفير الحماية للقواعد الجوية والمطارات وأحبطت جميع محاولات العدو الجوى لاخراج الطيران المصرى من المعركة على نمط ما تم فى عام ١٩٦٧ واستمرت جميع القواعد الجوية والمطارات المصرية تعمل بكفاءة وفاعلية طوال أيام القتال .

د — كذا نجحت قواعد الدفاع الجوى فى تحقيق التوازن بين متطلبات توفير الحماية المضادة للطائرات للقوات البرية فى جبهة القتال وبين ضرورة استمرار توفير هذه الحماية للقواعد الجوية والبحرية والأهداف الحيوية فى عمق الدولة مما جعل العدو يحجم عن تصعيد عملياته الجوية واقتصرت فقط على جبهة القتال والقواعد الجوية والمطارات ولم تتعرض الأهداف الحيوية والقواعد البحرية والموانى لأية هجمات جوية ، وبذلك توفر للمراكز السياسية والصناعية والاقتصادية فى الدولة الأمان اللازم لتستمر فى العمل والانتاج ، وبقيت الجبهة الداخلية على صلابتها وتماسكها وراء جبهة القتال تدعم المجهود الحربى وتشد من أزره .

هـ — ولقد أثبتت نتائج أعمال قتال كل من قوات الدفاع الجوى والقوات الجوية المصرية نجاح الأسلوب الذى تم تطبيقه فى مجال تنظيم التعاون بينهما ، فبالرغم من الأعداد الضخمة للطائرات والحجم الكبير من وسائل الدفاع الجوى التى اشتركت فى القتال جنبا الى جنب فقد كان التعاون فعالا وناجحا .

و — كما اثبتت نتائج القتال ايضا نجاح خطة الدفاع الجوى المصرى فى تغطية فجوة الطيران المنخفض وحققت المفاجأة الفنية الكثير فى هذا المجال .

ز — هذا وقد اثبتت خطة الدفاع الجوى المرونة اللازمة لمجابهة المواقف الطارئة فى أثناء سير القتال كما حدث عندما نجح العدو فى التسلل الى الضفة الغربية للقناة وحاول احداث ثغرة فى حائط الصواريخ باستخدام قواته البرية بعد ما فشلت قواته الجوية فى ذلك فقد تم فى زمن قياسى المناورة بنجاح بقواعد الصواريخ المضادة للطائرات الى مواقع تبادلية خارج مرمى نيران القوات المتسللة وتقوس بذلك حائط الصواريخ ليشكل « حزاما » يطوق الجيب الاسرائيلى ويوفر الحماية للقوات البرية المصرية التى اوقفت تقدم القوات الاسرائيلية وأحكمت حصارها من جميع الجهات تمهيدا للقضاء عليها .

ح — كما نجحت قوات الدفاع الجوى فى مقاومة اعمال الاعاقة الالكترونية ولم يكن لها تأثير ملموس على نتائج اعمال القتال مما جعل القيادة الاسرائيلية نفسها تتشكك فى فاعلية أعمال الاعاقة الالكترونية اصلا وتعمل الولايات المتحدة الأمريكية حاليا جاهدة لتطوير اساليب ومعدات الاعاقة الالكترونية فى ضوء ما أثبتته حرب أكتوبر ١٩٧٣ عن ضعف فاعلية الاساليب والمعدات الحالية .

ط — هذا ولا يفوتنى أن أنوه بأن نتائج القتال قد ابرزت فشل محاولات العدو فى استخدام الطائرات بدون الطيار الـ RPVS وكان ذلك راجعا الى دقة التخطيط المصرى لمقابلة هذا النوع من التهديد بالاضافة الى ارتفاع مستوى الفرد فى استخدام المعدات ضد هذا النوع من الطائرات وان أى تطوير فى المستقبل لهذه الطائرات من الممكن مقابلته بالأعمال المضادة فى ضوء خبرة حرب ٦ أكتوبر .

ى — أما فيما يتعلق بحجم الخسائر التى الحقتها قوات الدفاع الجوى بالطيران الاسرائيلى فقد أعلنت اسرائيل أن خسائرها فى الطائرات لا تتجاوز ١٢٠ طائرة بينما قدرت المصادر الشرقية خسائر اسرائيل ٢٨٠ طائرة وقدرت المصادر الغربية خسائر اسرائيل ٢٠٠ طائرة ولا أنوى أن أضيف رقما رابعا الى هذه الأرقام فلا شك أن اسرائيل قد تكبدت فعلا خسائر جسيمة فى الطائرات وخسارتها أفدح فى صفوة طياريها الذين عاشت سنوات طويلة على اعدادهم وتدريبهم وقد لمسنا بأنفسنا الأثر العظيم لهذه الخسارة حينما برز بشكل واضح ضعف مستوى الطيارين الاسرائيليين بعد الايام الاولى من القتال . ورغم فداحة هذه الخسائر بالنسبة لاسرائيل فاننا نعتقد أن الخسارة العظمى التى الحقتها قوات

الدفاع الجوى المصرى بإسرائيل هى الصدمة النفسية التى أصابت قيادة السلاح الجوى الاسرائيلى وطياريها واهتزاز ثقتهم بأنفسهم . ويكفى قوات الدفاع الجوى فخرا أنه للآن وبعد مرور عامين على حرب اكتوبر ١٩٧٣ مازال العدو فى شك وحيرة عن أسباب الخسائر التى لحقت بطائراته فقد نشر أخيرا أحد المصادر الغربية التقديرات الاسرائيلية عن أسباب خسائرها فى الطائرات التى تم أسقاطها بواسطة قوات الدفاع الجوى والتى جاء فيها أن ٣٠ ٪ من الخسائر كان بفعل الصواريخ المضادة للطائرات و ٣٠٪ بفعل المدافع ٢٣ مم الرباعية المواسير « الشيلكا » و١٥ ٪ فى أثناء القتال الجوى ، بينما لم تستطيع تقديم تعليل واضح للـ ٢٥ ٪ الباقية من خسائرها .

ك — لقد اثبت الأداء الرائع لقوات الدفاع الجوى واستخدامها المتفوق لأعقد الاسلحة والمعدات خلال حرب أكتوبر ٧٣ بطلان ماروجته وسائل الاعلام الاسرائيلية وصدقه العالم بل وصدقه بعضنا نحن العرب ، عن الفجوة التكنولوجية الهائلة التى تفصل بين التقدم الاسرائيلى والتخلف العربى فالصراع بين القوات الجوية الاسرائيلية وقوات الدفاع الجوى المصرية خلال حرب أكتوبر ٧٣ كان فى حقيقته بحكم نوعية الاسلحة والمعدات التى استخدمت فيه صراعا تكنولوجيا فى الدرجة الاولى وجاءت النتائج الفعلية فى ميدان القتال لتهدم نظرية التفوق الاسرائيلى على الكم المتخلف العربى وتؤكد أن التخطيط المصرى والاعداد المصرى فى كافة المجالات حقق كفاءة فى تحقيق أهدافه .

وختاما فأن هذه اللمحة السريعة لما قامت به قوات الدفاع الجوى المصرية فى حرب ٧٣ من تخطيط واعداد وتنفيذ وما انبثق عنها من نتائج قد القت الضوء على أهمية ودور قوات الدفاع الجوى فى الحرب الحديثة ومع ذلك فان مجال الدراسات والبحوث لتطوير نظم ووسائل وأساليب استخدام الدفاع الجوى لملاحقة التطور الهائل للقوى الجوية والحرب الالكترونية هو المجال الفسيح للأجيال القادمة . ولا شك ان النتائج التى ستسفر عنها هذه الندوة العلمية تعتبر خطوة موفقة فى هذا الاتجاه .

الصواريخ المضادة للدبابات والطائرات

الليفتنانت جنرال ستيج لوفجرين

يقتصر هذا الاسهام لمناقشة حرب اكتوبر على ميدان التكتيكات العسكرية وهو يتناول وجهين للحرب : الصواريخ والاسلحة الخفيفة الاخرى المضادة للدبابات ، والصواريخ المضادة للطائرات . ويركز على أهمية العمليات المشتركة .

ولتدعيم تعليقاته ونتائجه يلخص الكاتب الخطوط الرئيسية لاعادة تسليح العرب بعد عام ١٩٦٧ والعمليات التى جرت فى أكتوبر ١٩٧٣ .

اعادة تسليح العرب بعد ١٩٦٧ :

دعم انتصار الاسرائيليين الخاطف المذهل فى سنة ١٩٦٧ فكرتهم عن تفوقهم العسكرى ، وسد الطريق أمام التقييم الموضوعى غير المتحيز لتجارب الحرب ، وأمام التحليل الثاقب للمتطلبات التى يفرضها الموقف الاستراتيجى الجديد على السواء . ويبدو أنهم وقعوا فريسة للاعتقاد فى التفوق على من يريدون الانتصار عليهم .

أما العرب فقد أرغموا بهذه الهزيمة الساحقة على اخضاع أنفسهم لفحص ذاتى جاد .

وفى حرب الايام الستة فقدت القوات المسلحة المصرية ٨٠٪ من معداتها ولهذا يمكن القول بأن اعادة التسليح الذى تم بمساندة السوفيت القوية بدأ من الصفر تقريبا .

وبدأ الرئيس جمال عبدالناصر بتطهير قيادة القوات المسلحة ، وليس من شك أنه مضى فى هذا الطريق الى أبعد مما ينبغى . بيد ان هذه التنقية السريعة للأعشاب فتحت الطريق لجيل جديد من القادة ، وكذلك للتجديد الضرورى.
وكان من الطبيعى أن تتبع اعادة التسليح النماذج السوفيتية ، بيد أن الاساس كان اجراء دراسات موسعة للعدو الاسرائيلى .

الدفاع الجوى :

قامت تكتيكات القوات المسلحة الاسرائيلية واستراتيجيتها على التفوق الجوى وكانت تهدف فى الحروب السابقة الى تحقيق السيطرة على الجو . واصابة وسائل سيطرة العدو بالشلل . تحقق هذا فى ١٩٥٦ وفى ١٩٦٧ بما يتجاوز كل التوقعات ، وكانت الحركة المصرية المضادة بعد ١٩٦٧ ، هى أن تبنى **أولا** : حاجزا

قويـــا للدفاع الجوى غربى قناة السويس قائمـــا على نظـــم الصواريخ الثابتـــة ســـام ٢ وسام ٣ ، والحـــق بهما فيمـــا بعد نظـــام سام ٦ المتحرك . هذه المنطقة للدفاع الجـــوى التى بلغ عددها فى ١٩٧٣ أكثر من ٨٠٠ منصـــة للاطـــلاق وعدد عظيـــم من بطاريات المدافع المضـــادة للطائرات ربما كانت — ومازالت — أكثـــف منطقـــة فى العالم . وامتدت على الجـــانبين بوحدات مقاتلة من ميج ٢١ . وكانت العنـــاصر جميعها متكاملة من خـــلال شبكة انذار وقيـــادة .

وثانيا : أنشاء نظام جديد للمطارات الجوية فحتى ١٩٧٣ شيدت أكثر من ٢٠ قاعدة زودت كل قاعدة منها بممرين على الاقل . وبمخابىء للطائرات والعاملين ... الخ ، كما زودت بوحدات للاصلاح ، وبدفاع جـــوى محلى .

وثالثا : عزز الدفاع الجوى المحلى عن القـــوات بوسطة صـــواريخ ســـام ٧ الفـــردية .

وقبل ان تنتهى اعادة البناء والتقنينات والتكتيكات بوقت طويل ، جـــاء اختبار حرب الاستنزاف فى ١٩٦٩ — ١٩٧٠ وكانت الخسائر فادحة فى كلا الجانبين . بيد أن الحرب تمخضت عن دروس قيمة ، كان من الواضح أن المصريين احسنوا الاستفادة منهـــا .

الدفاع المضاد للدبابات :

وكان الاسرائيليون يعولون تعويلا كبيرا فى الحـــرب البرية على قواتهم المـــدرعة ، وبالاخص على وحدات الدبابات ذلك أن الدبابة حين تساندها القاذفة المقاتلة — وحين تتحرك فى حرية كاملة — فأنها قد ربحت المعركة فى الحربين السابقتيين . وفى الموقف الجديد بعـــد ١٩٦٧ ، كان للمدرعات أيضـــا دور هام .

وعند قناة السويس ، دافع المشاة عن خط بارليف ، وهو سلسلة رفيعة من المواقع الحصينة (*) . ووراء على مسافة ١٠ — ٣٠ كيلو مترا وضعت وحـــدات الدبابات متأهبة للتحرك أما الى مواقع على السفح لاطلاق النيران أو لشن هجـــوم مضـــاد .

وبعد أعوام من الملاحظة ، أحاط المصريون احاطة دقيقة بطريقة انتشار العدو وعاداته الروتينية . وادركو ان مشاتهم — بعد هجومهم عبر القناة — ســـير غمون المدرعات الاسرائيلية على النزول فوقهم فى أقل من نصف الســـاعة فكيف يستطيع

(*) أرجع الى تقييم نظرية خط بارليف وتطبيقها كنظام دفاعى متكامل — لواء طه المجدوب ص ٢٢٥

جندى المشاة ان يواجه الموقف حتى تتمكن المدرعات المصرية من العبور . وهذا وحدة يستغرق من ٦ — ٨ ساعات على الاقل ؟ وقدمت الاجابة — كما يعلم الجميع — الاسلحة المحمولة المضادة للدبابات من أنواع متعددة : صواريخ سنابر وساجرو ، R. P. G. (الآربىجى) والقنابل اليدوية .

الأفراد :

وكان الامداد بالمعدات ، وانشاء المطارات ... الخ جانبا من جوانب المجهود المصرى . وثمة جانب آخر لا يقل عن هذا أهمية هو البرامج المختلفة لزيادة كفاءة الضباط والجنود .

وكان من الممكن أن نذكر هذه النقطة هنا عابرين . ويكفى أن نقول ان تدابير قوية اتخذت فى مجالات التجنيد والتعليم والتدريب وما شاكل ذلك .

واخيرا ، وليس بأخر — درب الضباط والجنود والوحدات تدريبا منظما بغرض وحيد هو الهجوم عبر قناة السويس وكان من المؤكد أن القوات المسلحة المصرية حسنة الاستعداد ، على الاقل فى المرحلة الاولى من الهجوم الذى بدأ فى أكتوبر سنة ١٩٧٣ .

سوريا :

وفى سوريا . احتذى البناء بعد ١٩٦٧ نفس المبادىء التى اتبعتها مصر .

أنشىء دفاع جوى ، وان يكن من المحتمل انه اقل كثافة من مثيله على قناة السويس . وتم تعزيز الدفاع المضاد للدبابات .. الخ . وكان التدريب يهدف الى الهجوم على اسرائيل .

سير الحوادث من ٦ — ٢٤ أكتوبر ١٩٧٣

كان الهدف السياسى النهائى للحرب — وفقا للتصريحات الرسمية — هو استعادة الاراضى المحتلة ، غير أن الهدف المباشر كان اقل من هذا طموحا ، وكان يتضمن عنصرا نفسيا واضحا . وهو اثبات أن القوات المسلحة الاسرائيلية يمكن أن تقهر ، وان اسرائيل لا تستطيع أن تفرض ارادتها بالوسائل العسكرية . وبالاضافة الى ذلك قد تحمل الولايات المتحدة على اعادة النظر فى سياستها تجاه الشرق الاوسط .

وعلى هذه الخلفية رسمت المهام العسكرية وكان على القوات المسلحة المصرية أن تهجم عبر قناة السويس ، وأن تهزم قوات العدو فى غربى سيناء ، وأن تستولى وتدافع عن رؤس الجسور على الضفة الشرقية ، وتكون على استعداد للقيام بمهام أخرى طبقا للاوامر . وبالمثل . ، كان على القوات المسلحة السورية أن تهزم قوات العدو فى مرتفعات الجولان ، وان تستولى على ارض الجولان ، وأن تستعد لمزيد من التقدم اذا اصدرت اليها التعليمات بذلك . وكان لابد من انزال أفدح الخسائر بالعدو على كلتا الجبهتين .

وهكذا كان المشير احمد اسماعيل القائد العـــام للقوات المسلحة يطلب نجاحا محدودا ، ومحتفظا بأمكانية استغلال اية فرصة سانحة . وكانت المفاجاة ذات اهمية حيوية ، وهذا الوجه من الحرب سيناقش فى ندوة أخرى ، ولهذا فانى اقتصر هنا على القول بأن ما تحقق على جبهة قناة السويس لم يكن مباغتة سياسية واستراتيجية كاملة فحسب ، بل كان مفاجاة تكتيكية ايضـــا .

فان اسرائيل لم تقدم على التعبئة حتى صباح ٦ أكتوبر وعندما وقعت الضربة قبل الساعة الثانية من بعد الظهر دافعت عن خطوط الهدنة جنوبا وشمالاقواتنظامية ضعيفة .

وبدأت الحرب فى أفضل الظروف بالنسبة للعـــرب فقد كانوا البادئين بتوجيه الضربة . ولاسباب سياسية لم تطلق الحكومة الاسرائيلية طيرانها لتلك الضـــربة المسبقة التى أقترحها رئيس أركان الحرب . وكانت قوات العرب البرية ــ على تفوق ساحق ، كنقطة اولى ــ واخيرة،كان نظام الدفاع الجوى الذى اعيد تنظيمه ، والنظام المضاد للدبابات على كفاءة لم يكن يتوقعها الاسرائيليون ، وبالتالى لم يكونوا مستعدين لهـــا .

وكان من الطبيعى أن تسفر الايام القليلة الاولى عن نجاحات عربية .

الجبهة الســـــورية :

كانت القوات الاسرائيلية المتاحة على الجبهة السورية يوم ٦ أكتوبر تضم لواءين مدرعين من ١٧٥ دبابة تقريبا وبضعة كتائب قليلة من المشاة والمدفعية .

وهجم الجيش السورى يسبقه قذف شديد للمدفعية وضربات جوية ــ وكان يتالف من خمس فرق ولواءين مستقلين مع مجموعة من الدبابات يتراوح من١٠٠٠ الى١٥٠٠ دبابة ــ هجم على طول الطرق والمسالك ابتداء من جبل هرمون فى الشمال الى قرية رافد فى الجنوب . وكان على الفرق الالية الثلاث أن تكشف مواقع العدوالدفاعية ، ثم على الفرقتين المدرعتين أن يخترقا وادى الاردن . ونجحت الخطة تقـــريبا . اذ عبرت القوات المهاجمة بسرعة فى معظم الاماكن الخندق المضاد للدبابات الممتد على طول الجبهة الاسرائيلية وفى ٧ اكتوبر وصلت عناصر متقدمة الســـفح المنحـــدر الى الوادى .

ورغم كل هذه الاحداث ، تمكنت القوات الاسرائيلية يساندها الطيران من أن تصمد فى وجه السوريين حتى تمت تعبئة الاحتياطى ، والقى به فى المعمعمة . وبـــدا الهجوم المضاد بلا ابطاء يوم ٨ اكتوبر ، وفى نهاية الاسبوع الاول توقفت قوة السوريين الهجومية ، وضرب دفاعهم الجوى ضربة سيئة . ولم يعد امام الاسرائيليين بعد ذلك وهم يواجهون الان القوات العراقية والاردنية ايضا الا ان يســـتولوا على المـــواقع

المناسبة للدفاع . وتحقق هذا على بعد ٣٥ كيلو مترا من دمشق . وأصبح القتال استاتيكيا بصورة أو بأخرى .

وكان الاسرائيليون فى أثناء المرحلة الاولى يديرون المعركة فى مزيج من الدفاع والهجوم مستغلين الارض استغلالا حسنا . وكان من الواضح أن تقدير القادة السوريين للامور التكتيكية لم يكن على نفس المستوى . وكان يبدو فى الاغلب أنهم يريدون المضى قدما دون فهم لاهمية الاحاطة بمعالم الارض الحاكمة . وكثيرا ما كان يصيبهم الارتباك اذا ضربوا على الجانب أو فى المؤخرة . وانقطع التعاون بين الدبابات والمشاة . وضربت الوحدات الفرعية — رغم كل عنادها — بواسطة القوات الاسرائيلية التى كانت تقاد بمهارة . وكانت متفوقة فى أساليب القتال .

الجبهة المصرية :

عندما اشتعلت الحرب كان ١٦ من ٣٠ موقعا فى خط بارليف مزودا بحوالى ٥٠٠ رجل من لواء مشاة احتياطى استدعى لتدريبه السنوى (*) . وفى الخلف كانت تنتشر أربعة لواءات من ٢٨٠ دبابة ، وبعض المدفعية ، التى كانت من الندرة بحيث لم يكن فى الامكان ضرب نقطة واحدة فى القناة بأكثر من بطارية واحدة .

بدأ الهجوم المصرى بقصف عنيف من المدفعية ، وبضربات جوية كان بعضها موجها الى أهداف فى عمق سيناء . وعبر المشاة القناة بطولها كله، واجتازوا خط بارليف وشيدت الجسور وبعد يوم أو يومين استولت خمس فرق مدعمة من المشاة يبلغ عددها ٧٠،٠٠٠ رجل ، و ١٠٠٠ دبابة،على رؤوس جسور « التى توحدت فيما بعد » لتؤلف خطا عمقه عشرة كيلو مترات شرقى القناة وبهذا حقق الجيش المصرى الثانى فى الشمال والجيش الثالث جنوب البحيرات المرة مهامهما المباشرة فى براعة تامة .

ورد الطيران الاسرائيلى على الهجوم بضربة مضادة سريعة ، ثم ركز على الجسور وعلى القواعد الجوية ، وكانت النتيجة خسائر فادحة فى الطيران ، وضررا ضئيلا فى الاهداف . ولم يلبث المجهود الاسرائيلى الرئيسى فى الجو ان أتجه صوب الشمال وبعد خمسة أيام كما يقول المصريون لم يحاول الاسرائيليون القيام بأية هجمات جوية ضد القواعد الجوية المصرية . الا انه من الناحية الأخرى كما يقول الاسرائيليون انهم هاجموا القواعد الجوية المصرية عدة مرات خلال الحرب .

(*) ثبت أن خط بارليف كان مكونا فى خطة الاول من ٢٢ موقع دفاعى بها ٣٦ نقطة حصينة بينها ٣٠٠ مربض دبابة مجهزة بفواصل مائة متر بين كل مربض وآخر مجهزة لاحتلالها باحتياطيات قريبة وتكتيكية تتمركز على عمق ٥ — ٨ كيلو مترات من الخط الاول ، ولم يكن خط بارليف دفاعا خطيا هاشيا بل كان نطاقا دفاعيا متكاملا يمتد شرقا بعمق ٣٠ كم « أنظر تقييم نظرية خط بارليف لـواء طه المجدوب ص ٢٢٥ » .

وعلى الارض ، انطلقت المدرعات الاسرائيلية نحو القناة ، ولكنها خسرت فى اليومين الأولين مايقرب من ٧٥ ٪ من الدبابات . وكذلك لم تنجح وحدات الاحتياطى التى عبئت واشتركت فى القتال فى اليوم الثالث من المعركة .

وبعد هذه الهزائم ، أمعن الاسرائيليون فى التفكير ، وامسكو قواتهم أياما قلائل بحكمة كافية على ما يبدو .

وهناك شواهد كثيرة على أن المشير اسماعيل كان ينوى البقاء عند رأس الجسر ، دون الانغماس فى معركة مكشوفة . غير ان الضغط الاسرائيلى على الجبهة السورية دفعه الى تسديد ضربته . ففى يوم الأحد ١٤ أكتوبر تقدمت قوات مدرعة ميكانيكية قوية صوب الشرق . ويزعم الاسرائيليين أن المصريين فقدوا ٢٦٠ دبابة على الاقل ، وأنهم انسحبوا فى المساء .

تحولت المبادرة بعد ذلك والى النهاية — الى الاسرائيليين الذين كانوا قد فرغوا من السوريين . وفى مساء ١٥ أكتوبر تحولوا الى الهجوم ، وشطروا الجبهة المصرية نصفين وعبروا القناة بدورهم ، وبهجمات برية وجوية مشتركة اخترقوا حاجز الدفاع الجوى المصرى . وكسبت قاذفاتهم المقاتلة حرية المناورة ، وبمساندتها ، اندفعت المدرعات نحو الاسماعيلية فى الشمال والى السويس فى الجنوب . وحين أصبح وقف اطلاق النار الذى فرضته الدولتان العظميان نافذ المفعول فى ٢٤ أكتوبر ، كانت مواصلات الجيش الثالث مقطوعة (*) .

وهكذا اثبتت القوات المسلحة المصرية قدرتها على اعداد وتنفيذ مثل هذه العملية المعقدة التى هى عبور قناة السويس . وكان الجنود والوحدات يقاتلون فى تصميم وشجاعة . وأثبتت وسائل الدفاع الجوى والمضادة للدبابات ، والتدابير التى اتخذت لحماية القواعد الجوية كفاءتها .

« ولكن ، عندما أصبحت الحرب متحركة ولم تعد تتبع سيناريو معدا ، حاق بالمصريين والسوريين أسوأ ما فيها . ويبدو أن القادة على كافة المستويات اخذوا على غرة بالعبور الاسرائيلى . وتوقفت البيانات ، وتصرفت الرتب العليا كأن على

(*) لم تصل القوات الاسرائيلية الى طريق مصر السويس الصحراوى الا بعد خرق اسرائيل لقرارى وقف اطلاق النار الاول يوم ٢٢ أكتوبر والثانى يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٧٣ .

عيونهم غشاوة ، » (✻) وتمزقت الهجمات المضادة شر ممزق ، بل لقد بدأ وكأن القائد الاعلى يفتقر الى احتياطى عـــام .

وتمكنت القوات المسلحة الاسرائيلية أن تنجو من العاصفة ، وسيطرت ــ عقب الانتكاسات الاولى ــ على المشكلات التى وضعتها الصـــواريخ المضـــادة للدبابات والصواريخ أرض جو .

وفى ميدان المعركة رجحت كفة اسرائيل . أما أن يكون ثمة انتصار تكتيكى كامل فى تناول اسرائيل ، فهذه مسألة أخرى .

وكان الانتصار الاستراتيجى من نصيب العرب ، وكان من شأنة تغيير الموقف السياسى فى الشرق الاوسط تغييرا تاما .

دروس :

اعتزم ــ كما سبق أن قلت ــ ان أتناول مسألتين فحسب داخل مجال التكتيك العسكرى : الاسلحة الخفيفية المضادة للدبابات ، والصواريخ المضادة للطائرات .

وقبل استخلاص النتائج من حرب اكتوبر على المرء أن يدرك المنطقة المحدودة للمسرح التى دارت عليها الاحداث ، ذلك أن المسافة من القنيطرة على مرتفعات الجولان الى السويس لا تزيد عن ٤٢٥ كيلو مترا (٢٧٠ ميلا) .

وكانت عروض الجبهات ضيقة ، اذ يبلغ طول قناة السويس ١٦٠ كيلو مترا (١٠٠ ميل) وطول الجبهة التى هجم عندها السوريون يبلغ من ٤٠ الى ٥٠ كيلو مترا (٣٠ ميلا) ، والمسافة الى وادى الاردن ٢٥ كيلو متر (١٥ ميلا) والمناطق التى دار فيها القتال الارضى ، ومعظم الهجمات الجوية كانت ضيقة ومدججة بالسلاح .

(✻) ١ ــ لم تتبع الحرب السيناريو المعد لها منذ بدأ أقتحام القناة ، بل حدثت معـــوقـــات عديدة عند انشاء بعض معابر الكبارى نظرا لطبيعة الارض وارتفاع السواتر الترابيـــة وتدخل العدو مما اقتضى المناورة بالقـوات بين المعابر لتأمين تدفقها شرق القنـاة لصـــد هجمات العدو المضادة المتكررة .

٢ ــ كانت المرونة هى السمة البارزة فى القيادة والسيطرة المصرية على المستوى الاستراتيجى والتعبوى ، وتجلى ذلك فى قرار تطوير الهجوم يوم ١٤ أكتوبر بهدف تخفيف الضغط على سوريا ، وقرار احتواء قـوات العدو غرب القناة مـع التمسـك بروس الكبارى شرقهـا وبمـدن القناة الثلاثة (أنظر القيـادة والسـيطرة المصرية خـلال عمليات أكتـوبر ٧٣ ــ لواء عبد الستار أمين ــ ص ٢٣١ .

وبسبب هذا المكان المحصور كانت الهجمات الارضية تشن على مقدمة القوات ، وان كانت الهجمات أيضا تشن فى المستوى المحلى بالطبع — على جناحى العدو أو على مؤخرته . وكانت عملية التطويق الوحيدة هى اندفاع اسرائيل نحو البحر الاحمر .

هذه الظروف الجغرافية التى لا تكاد تجد لها نظائر فى حرب أوربية تفسر الى حد ما الخسائر الفادحة فى المعدات .

ومن الطبيعى أنه لا يمكن أن نتوقع اتباع مثل هذا الأسلوب فى وسط أوربا والا كان لزاما أن نكتسح المانيا كلها . وهنا لابد من استعارة التعبير الألمانى Schue-rpunkte أى تفرع الهجوم . ولاشك أن ذلك سيؤدى الى ايجاد مجال للمناورة بدرجة أكبر مما حدث فى الشرق الأوسط . وعلى هذا فان القوات المدرعة التى تتحرك بسرعة تستفيد من هذا الوضع .

الدفاع الجـــوى :

كانت الخسائر فى الطائرات وفى الدبابات فادحة . والارقام التى تقدمها الاطراف المتعارضة تختلف اختلافا كبيرا وهذا شىء متوقع . ولهذا لا ارى مـــا يدعو فى هـــذا السياق أن أحصر المعلومات المتباينة ، ولن اشير الا الى بعض التقديرات التى قام بها المعهد الدولى للدراسات الاستراتيجية فى العرض الاستراتيجى لسنة ١٩٧٤ .

النوع	إسرائيل		مصر		سوريا	
	قبل أكتوبر ٧٣	الخسائر فى أكتوبر ٧٣	قبل أكتوبر ٧٣	الخسائر فى أكتوبر ٧٣	قبل أكتوبر ٧٣	الخسائر فى أكتوبر ٧٣
دبابات	١٧٠٠	٨١٠	١٨٥٠	٩٠٠	١٥٠٠	١٠٥٠
مركبات مدرعة	٣٠٠٠		٢٠٠٠		١١٠٠	
طائرات	٣٨٥	٩١	٤٢٠	١٧٢	٣١٠	١٦٥

والسؤال هو اى من نظم الأسلحة هى سبب الخسائر فى الطائرات ؟ فى هذه القضية تتفق الاطراف المتعارضة الى حد كبير .

يؤكد العرب أن ٣٠ ٪ من الطائرات الاسرائيلية التى حطمت أو اصيبت ضربت فى القتال من الجو الى الجو ، و ٦٠ ٪ بصواريخ أرض — جــو ، وأقــل من ١٠ ٪ بالمدافع التقليدية المضادة للطائرات ، وضربت طائرات قليلة وهى على الارض .

ويقرر الاسرائيليون أن معظم خسائرهم ترجع الى الصواريخ بنسبة ٥٠٪ ، وبالمدافع ، ونسبة ضئيلة فى القتال الجـــوى .

طبقا للمصادر الاسرائيلية ، ترجع الخسائر العربية فى الشــطر الرئيسى منهــا

الى القتال فى الجو . ويقول المصريون أنهم لم يخسروا طـائرة واحـدة علـى الارض ويقول السوريون أن معظم خسائرهم فى الطائرات ضربت فى الجو ويقدرون بأن ٥٠ ٪ منها ضربت فى القتال جو / جو ، وأن ٥٠ ٪ بصواريخ جو / أرض .

وقصارى القول يبدو أن الخسائر الاسرائيلية نجمت : على الاقل ٥٠ ٪ أو أكثر من الصواريخ، والباقى بالمدافع ، وفى القتال جو / جو وعلى الارض .

وليس من شك أن الغالبية العظمى من الطائرات العـربية المفقودة أسقطت فى معارك جو / جو .

وينبغى بالطبع أن ننظر فى الخسائر بالنسبة للطلعات التى لم تكن ممكنة الا للجانب الاسرائيلى وحـده . ويقـول الاسـرائيليون ان متوسط الخسـارة فى كل طلعة هو ٩ر٪ أو طائرة واحدة فى كل مائة طلعة على وجه التقريب ،والرقم المناظر لسنة ١٩٦٧ هو ٩ر١ ٪ أو خسارتان فى كل ١٠٠ طلعة . والآن يجب على المرء أن يكـون حريصـا وهو يتعامل مع أرقام احصائية . اذ المهم بلا شك هـو معرفة النتائج التى حققتها الـ ١٢ر٠٠٠ طلعة التى حدثت منذ سنتين . غير اننى كرجل بعيد عن الموضـوع فسوف أجد نفسى فوق أرضيه غير آمنة اذا أردت الحكم .

هذه الارقام وانحدار المعدل اليومى انحدارا عميقا من مستوى مرتفع خـلال الايام الاولى يوحى بأن الطيران الاسرائيلى كان قادرا على سرعة تكييف تكتيكاته مع نيران العدو . فسرعان ما تمكنت قاذفاتهم المقاتلة من اختراق الدفاع الجوى السورى. كما تمكنت فيما بعد من اختراق الدفاع الجوى المصرى (*) .

ولم توجه الصواريخ العربية أرض / جو ضربة قاضية للطيران الاسرائيلى — فهذا أبعد ما يكون — ولكنها أحدثت أثرا ملحوظا ، وبخاصـة باشتراكهـا مع المدافع التقليدية .

ومن المجازفة دائما أن يستخلص المرء نتائج عامة من مجرى خاص للاحداث . ولكن يستطيع المرء أن يقول على كل حال أن الصواريخ أرض/جو استطاعت ـ بمؤهلات معينة — أن تثبت نفسها . وحتى اذا هيأت التكتيكات الجيدة الفرص للقاذفة المقاتلة فان الدفاع الجوى القوى لا يمكن أن يهمـل بل ينبغى أبطـال مفعوله ، ويبـدو أن

(*) ١ — ان عدد المرات التى اخترقت فيها الطائرات الاسرائيلية المجال الجوى المصرى كان محدودا ، ولكن الحقيقة أنه فى مواجهة المحاولات المتكررة لم تتعرض القوات المصرية لهجمات متصلة أو هجمات أصابتها بالعجز — « بحث الجنرال أنتونى فارار هوكلى ص ٦٧ عن الاستراتيجية العسكرية لحرب أكتوبر» .

٢ — ان الجهد الجوى الاسرائيلى المحدود غرب القناة لم يتم الا بعد المناورة بوسائل الدفاع الجوى المصرى لاحتواء الاختراق غرب القناة ، كما أن القاذفات المقاتلة الاسرائيلية لم تتمكن طوال الحرب من تعطيل قاعدة جوية واحدة — أنظر بحث الفريق محمد على فهمى عن « دور قوات الدفاع الجوى فى عمليات أكتوبر ٧٣ ص ٧٨ » .

الصواريخ أرض / أرض تتيح — لمن يستطيع أن يدفع قائمة الحساب — امكانيات جديرة بالاهتمام .

وفضلا عن ذلك تؤكد التجارب الخاصة بحرب الشرق الاوسط انه فى بلاد واسعة كالسويد يجب أن يتألف الدفاع الجوى من المقومات التقليدية وهى :

الطائرات الاعتراضية ، والنظم المثبتة على الارض . والطائرات الاعتراضية مطلوبة للدفاع عن منطقة معينة ، كما أنها وحدها تملك القدرة على سرعة الانتقال من منطقة الى أخرى .

وأعتقد أنه ينبغى على المرء أن يملك على الارض نظما صاروخية ذات مستوى رفيع للدفاع عن مناطق محدودة ذات أهمية بالغة ، وأن يملك المدافع التقليدية الخفيفة، والصواريخ الخفيفة الوزن للدفاع المحلى .

الدبابات والاسلحة المضادة لهـا :

ترجع الخسائر فى الدبابات الاسرائيلية فى معظمها وفقا للتقديرات المصرية الى الأسلحة الخفيفة المختلفة المضادة للدبابات ، وصواريخ اربى جى — ٧ والى المدافع عديمة الارتداد ، و ١٠ ٪ من هذه الخسائر فحسب تعزى الى مدافع الدبابات. هذهى المعلومات التى حصل عليها الكاتب فى ١٩٧٤ . ويقول الاسرائيليون أن هذا قد يصدق على بداية الحرب ، ولكن نسبة الخسائر التى تسببت عنها الاسلحةالخفيفة تناقصت تناقصا ملحوظا فيما بعد .

ويتفق الطرفان انه على جبهة الجولان كانت النسبة العظمى للخسائر الاسرائيلية ناجمة عن مدافع الدبابات ، وأن معظم الخسائر الباقية عن الاسلحة الخفيفة .

وكان المعدل اليومى على كلتا الجبهتين أضخم مما كان فى البداية ، وعددالدبابات المحطمة — اجماليا — اعلى فى جبهة القناة منه فى الجبهة السورية . وبينما أرجع الاسرائيليون — وكثير غيرهم — بعد الحرب مباشرة معظم خسائرهم الى الاسلحة الخفيفة العربية ، فان التعديلات الحديثة غيرت الصورة . اذ يقال ان النسبة العظمى من الدبابات التى دمرت ضربت بمدافع الدبابات ، وأن النسبة الصغرى ضربت بالصواريخ ، والآربى جى .... الخ .

ويبدو أن الجميع متفقون على أن الخسائر فى الدبابات العربية ترجع فى المقام الأول الى مدافع الدبابات الاسرائيلية ، وأن نسبة ضئيلة منها الى صواريخ الطائرات والمدافع.

ولقد استخدمت الاطراف جميعا الالغام المضادة للدبابات بكميات كبيرة ، ولكن يبدو أنها لم تتسبب فى خسائر كثيرة جدا .

ومن المؤكد ، أن بعض حلقات اللغز مازالت مفقودة . ولكن يبدو من الممكن بناء الاسباب والنتائج بناء تقريبيا .

فوجىء الاسرائيليون مفاجاة تامة على جبهة القناة بتلك الكمية الهائلة من الاسلحة المصرية الخفيفة المضادة للدبابات ا والقواذف الآربى جى — ويبدو انهم لم يتبينوا أهمية السواتر العالية التى اقيمت على الضفة الغربية للقناة والتى أعطت المصريين تحكما فى مواقع النيران . وتقدم لنا التقارير الواردة من الجانبين صورة لوحدات الدبابات الاسرائيلية على أنها تقاتل بشجاعة ولكن بلا هدف لكونها كانت مفتقرة الى المعلومات والى الاستطلاع فانها اندفعت داخل فكى الدفاع المضاد للدبابات عند العدو الذى كان يتميز بالصحراء المكشوفة والرؤية الواضحة ، والمواقع الممتازة فى اطلاق النيران على الكثبان والتلال . وكانت الظروف معاكسة للدبابات لانها تعمل دون مساندة من الطيران أو المدفعية ، أو مساعدة من المشاة .

وكذلك ينبغى الا نتجاهل أن الدبابات المستخدمة وهى من طراز شيرمان وM48 والسنتوريون وبعضها من طراز T55،T54 — تنتمى الى أجيال الامس M60, والى ما قبل الامس — دون أن تكون لها الحماية التى توفرها الاساليب الحديثة . وسأعود الى هذه المسألة بعد لحظة .

عندما نظر الاسرائيليون نظرة متأملة للموقف ، وبعد أن قاموا بالتعبئة ، واستطاعو أن يعملوا بقوات أفضل توازنا ، انعكست الآية .

ففى خلال المرحلة الاولى من القتال على جبهة الجولان حين هاجم السوريون كان من الطبيعى أن تدفع أسلحتهم الخفيفة المضادة للدبابات حصة ضئيلة . وعندما تغيرت الادوار . كانت الحصة ما زالت ضئيلة لأن الاسرائيليين كانوا قد أنذروا مقدما وكان السوريون فى حالة سيئة .

والصورة التى يمكن أن نرسمها لحرب اكتوبر ليست واضحة تماما . ولكن يبدو ان اهمية الصواريخ وغيرها من الاسلحة الخفيفة قد بولغ فيها بعد الحرب مباشرة مبالغة شديدة . وأنها قد اجتازت امتحانها العسير . وهذه الاسلحة اذا انتشرت بأعداد ضئيلة تكاد تكون خليقة بالاهمال — ولكنها اذا انتشرت بأعداد كبيرة فانها تعمل على تقوية الدفاع ضد المدرعات . ويمكن أن نفترض فى اطمئنان انها يمكن أن تثبت فاعليتها فى أنماط الاراضى المنتشرة فى أوربا الشمالية .

وقد قيل أن الصاروخ المضاد للدبابات تنتظره امكانيات هائلة للتطور ، قد يكون الامر على هذا النحو ، وايا كان الامر ، فان المستقبل لا يخلو بلا شك من المشكلات .

والصواريخ المضادة للدبابات بالاضافة الى باقى الاسلحة الخفيفة المضادة للدبابات تطلق مقذوفات الحشوة الجوفاء التى تعتمد على التأثير الحرارى لاختراق الدروع ... والآن توجد بعض الاساليب الفنية التى ستتيح لدبابة المستقبل حماية أفضل ضد هذه الانواع من مقذوفات الحشوة الجوفاء ..مثل .. **الدبابة ذات** الدروع المزدوجة — الدبابة المزودة بوسائل الاعاقة .. وسيكون خزان الوقود والذخيرة بعيدين عن غرفة السائق .. بدون زيادة لوزن الدبابة .

سيحتاج تدمير دبابة الغد لصاروخ بطىء السرعة والى نوع من المقذوفات أثقل وزنا .... والى قاذف أثقل وزنا أيضا . وهذا بالتالى سيحتاج الى مركبة مدرعة يحمل عليها القاذف ... وهذا سيقودنا الى الوصول الى دبابة أخرى تقاتل دبابة .. ومن هذا المنطلق فانه فى أعتقادى أن الدبابة العادية التى يطلق مدفعها طلقة حشوة جوفاء ستتفوق .

وقد أعلن بعض المعلقين ان الدبابة أصبحت سلاحا عتيقا . وليس من شك أن معظمهم استخلص نتائج سريعة . فمازال مدفع الدبابة هو أفضل سلاح مضاد للدبابات . ومازالت الدبابة سلاحا لا غنى عنه فى حرب البلاد المكشوفة ، غير أنها يجب أن تدعم بأسلحة دفاعية أخرى . ففى العمليات الحربية يحتاج المرء الى عائلة كاملة من الأسلحة بما فيها تلك التى نوقشت هنا . والآن ، يمكننا أن نصل الى ما يمكن أعتباره الدرس الرئيسى لحرب أكتوبر : الا وهو ، أنه بالاضافة الى ضرورة التأمين ضد عنصر المفاجأة فان العمليات المشتركة لا شك تحتاج الى جهود مشتركة .

الحاجة الى مجهود مشترك :

خلقت نجاحات اسرائيل الخاطفة فى ١٩٥٦ ، و ١٩٦٧ عندما اخذواهم انفسهم زمام المبادرة ، وكانت لهم السيطرة على الجو — خلقت نوعا من الثقة الزائدة فى قدرات الدبابة والطائرة . وحين نستعرض الأحداث بعد وقوعها نرى تأثير الاصداء على العقيدة والتنظيم والتكتيك والتدريب مرئية بوضوح . فلقد اهمل فرعا المشاة والمدفعية مما أضر بالقوات المسلحة . وكان من الخطورة بمكان حقا — ذلك القصور فى قوة النيران غير المباشرة .

وربما كان أهم درس نخرج به من حرب أكتوبر . أنه فى ميدان التكتيك العسكرى يجب أن تكون القوات متوازنه توازنا جيدا . وان تعد المعارك وتحارب بوصفها عمليات مشتركة .

وليس هذا بالشىء الجديد . انه مجرد درس قديم يتأكد مرة أخرى .

لقد تعرض هذا البحث بشىء من الاطالة للاسلحة والعتاد . ان الاسلحة الجيدة لا شك ان لها أهميتها ، ولكنها ليست العنصر الحاسم فى القتال . أما الشىء الحاسم حقا ، فهو الرجل خلف السلاح . والضابط الذى يتحكم فى الجهاز ويقود الوحدات .

ومرة أخرى ، اثبتت هذه الحرب أن العنصر البشرى هو الفيصل الحاسم فى المعارك .

دور القوات البحرية
فى حرب أكتوبر ١٩٧٣

فريق فؤاد أبو ذكرى
قائد القوات البحرية

على الرغم من أن عمليات أكتوبر هى الجولة الرابعة بين القــوات المسـلحة المصرية واسرائيل الا أنها تعتبر الجولة الاولى التى أتيح فيها للقوات المسلحة المصرية وبالتالى للقوات البحرية فرصة القتال الفعلى وفقا للاسلوب العلمى السليم . وبهذا فان عمليات أكتوبر تعتبر الاختبار الحقيقى للعسكرية المصرية الذى يمكن على أساسه الخروج بالاستنتاجات وعمل المقارنات بين القدرات العسـكرية المصـرية بأسلحتها المختلفة والقدرات الاسرائيلية .

مما لاشك فيه أن العمليات التى تمت فى الجولات السابقة كانت أساسا عمليات تكتيكية تمت خلال الجولات الخاطفة وبالامكانيات المحددة التى كانت متوفرة فى ذلك الوقت ولهذا لم تحقق نتائج هامة يمكن تناولها بالبحث والتحليل .

فى عام ١٩٥٦ كان المجهود الرئيسى موجها للعمل ضد أساطيل بريطانيا وفرنسا وكانت عمليات القوات البحرية تعتمد أساسا على الجراة والفداء أكثر من اعتمادها على القدرات القتالية للوحدات .

أما فى عام١٩٦٧ فلم تكن البحرية المصرية مكلفة بمهام هجومية على الرغم من توفر الوحدات ذات القدرات القتالية المؤثرة مثل الغواصات ولنشـات الصـواريخ والمدمرات . وكانت القوات البحرية مكلفة أساسا بالدفاع عن السواحل والموانى وتنفيذ الهدف السياسى الخاص بالسيطرة على الملاحة بمدخل خليج العقبة فى ظروف عدم احتمال اشتعال الموقف العسكرى وهكذا لم يتوفر عنصر المبادأة وهو أساسى فى الحروب البحرية وبالتالى كان التركيز على تجميع قوة بحرية متوازنة بهذه المنطقة لتنفيذ القرار السياسى خاصة بعد ما أذيع عن أن بعض الدول البحرية قد قررت الدخول الى خليج العقبة بالقوة وكسر القيود التى أعلنتها مصر . ولقد نفذت القوات البحرية هذه المهمة الشاقة بكفاءة عالية وسيطرت تماما على مشارف خليج العقبة . ولعل هذا يلقى بعض الضوء على ما تروجه أجهزة الدعاية الاسرائيلية من أن اسرائيل قد تمكنت بخطة خداع ماكرة أن تجذب الوحدات البحرية الى البحر الاحمر لابعادها عن مسرح البحر الابيض .. الخ . هذا علما بأن العملية الوحيدة التى دبرتها اسرائيل بخلاف اغراق السفينة الامريكية ليبرتى هو الاغارة على ميناء الاسكندرية بالضفادع

البشرية وكلنا يعلم أن هذه العملية فشلت تماما فلم يتم تلغيم أى وحدة بحرية بل تم القبض على كافة الافراد المشتركين واصابة الغواصة المعادية اصابة كادت أن تكون قاتلة . أما فى اسرائيل فقد خيل لهم أن غواصاتنا تعمل أمام موانيهم بل وانهم اكتشفوها وهاجموها واغرقوها . والحقيقة أنه لم يكن هناك مخطط لغواصاتنا أن تفتح أمام السواحل الاسرائيلية ومما يثبت أن القوات المصرية كانت على درجة عالية من الكفاءة القتالية أنه عقب وقف القتال عام ١٩٦٧ تم تدمير مدمرة القيادة الاسرائيلية « ايلات » بسهولة تامة بالصواريخ البحرية الموجهة على الرغم من ظروف الموقف العسكرى فى ذلك الوقت ولم تكن عملية اغراق ايلات مجرد معركة بين وحدات مصرية واسرائيلية بل انها كانت تمثل حدثا بحريا اهتزت له الاوساط العسكرية على المستوى العالمى والمحلى . فعلى المستوى العالمى تأكد أن الصواريخ سطح / سطح والتى لم تكن قبل هذا الحادث متوفرة لدى اية دولة غربية قد أصبحت سلاحا فعالا ذا تأثير خطير على نتائج المعارك البحرية وانها اصبحت تشكل تهديدا سافرا ضد أضخم الوحدات البحرية فى الوقت الذى تكون فيه الوحدة الضاربة خارج المدى المؤثر لاسلحة الهدف بالاضافة الى دقة هذه الصواريخ وقدراتها على الاصابة . وكانت النتيجة ثورة هائلة قلبت موازين القوى لفترة طويلة وغيرت من الحسابات التكتيكية والتعبوية المعروفة . وعلى المستوى المحلى كان غرق ايلات درسا قاسيا لاسرائيل أكد لها أن القوات البحرية المصرية بعد وقف القتال كان لديها قدرات وامكانيات لم يتم استغلالها فى تلك الجولة وأن هذه القدرات سوف تسبب لها موقفا حرجا للغاية اذا ما نشب القتال بل وكان يوم ٢١ اكتوبر على حد قول المسئولين الاسرائيليين يوما أسود فى تاريخ البحرية الاسرائيلية وفى ضوء ما أصاب البحرية الاسرائيلية من خسائر فى القوة البشرية وانعكاس ذلك على معنويات أفرادها بدأت اسرائيل فى اعطاء الاهمية المتزايدة لقواتها البحرية بعد أن كان ذلك قاصر على الطيران والمدرعات .

ولم تكن معركة اغراق ايلات الا بداية لحرب الاستنزاف الذى تبعه العبور العظيم فى ٦ اكتوبر . فلقد شهدت معارك الاستنزاف عمليات لم يسبق أن سجلها التاريخ من قبل حيث أغارت الضفادع البشرية المصرية فى عمليات جريئة أربع مرات متتالية على ميناء ايلات وأصابت العدو بخسائر جسيمة فى السفن والافراد . أما المدمرات المصرية فقد قصفت أهداف العدو الساحلية ولم تحدث للمدمرات خسائر على الرغم من التدخل الجوى المستمر للعدو ولمدة ثلاث ساعات متتالية هذا بالاضافة الى عمليات أخرى لم يحن الوقت بعد للافصاح عنها .

ومما لاشك فيه أن هذه الاشتباكات كانت أولى العمليات التى واجهت فيها البحرية المصرية البحرية الاسرائيلية وجها لوجه ومن هنا كان تحليل هذه المعارك واعادة تقييم قدراتنا وقدرات العدو وطبيعة رد الفعل المعادى من أهم العوامل التى

اخذت فى الاعتبار عند التخطيط للعمليات الهجومية لحرب اكتوبر ١٩٧٣ بالاضافة الى متابعة التطور فى البحرية الاسرائيلية والموقع الاسرائيلى البحرى وطبيعة المسرح بصفة عامة .

ولقد كان التصور الذى امكن التوصل اليه عن شكل العمليات فى المرحلة التالية يتركز فى عدة أسس استراتيجية تعبوية كالآتى :

اولا : ضرورة تركيز المجهود الرئيسى لانجاح ومعاونة الاعمال القتالية للجيوش الميدانية على انها القوة الاساسية القادرة على تحرير الارض وتحقيق النصر وهذا مبدأ فى العقيدة الاستراتيجية المصرية وتحقيق هذه المعاونة يمكن أن يكون على شكل قصفات نيرانية من المدفعيات الساحلية والقطع الخفيفة البحرية أثناء التمهيد النيرانى وخلال مراحل العمليات على أساس العمل على جبهة عريضة شمالا وجنوبا وفى توقيتات منسقة متقاربة مما يؤثر على تشتيت مجهود العدو واضعاف رد فعله ضد الوحدات المكلفة بهذه المهام وقد أمكن فعلا مفاجأة العدو بمصادر نيران جديدة لم يكن يتوقعها وذلك بعد أن تم اعداد اللنشات المسلحة بقواعد الصواريخ سطح / سطح التى أغارت بأسلوب يجمع بين خفة الحركة وسرعة المناورة مع توفير قوة نيران عالية ولقد كان هذا الاسلوب حلا بديلا لاستخدام مدفعية المدمرات ، وفى نطاق العمل على معاونة الجيوش الميدانية كان على القوات البحرية تأمين جوانب الجيوش من اتجاه البحر والعمل ضد قوات الابرار البحرى .

ثانيا : كان على القوات البحرية أن تركز على تحقيق مهمة استراتيجية مؤثرة على العدو وقد أمكن تحليل نتائج الجولات السابقة وعمل الدراسات التعبوية لها والتقييم الاستراتيجى للمسرح ونقاط القوة والضعف لدينا ولدى العدو والتوصل الى أن أنسب مهمة للقوات البحرية المصرية هى التعرض لخطوط المواصلات بالبحرين الاحمر والمتوسط على السواء وقد تمكنت البحرية المصرية من تنفيذ هذه المهمة بصورة مفاجئة .

وكان أهم الاسس البارزة لتحقيق هذه المهمة هى :

— أن العدو قد اعتاد على أن تأخذ الحرب البحرية بيننا طابع الاشتباكات المحلية المحدودة فى المناطق المتاخمة للسواحل فقط .

— ان اسرائيل تعتمد على الخطوط الملاحية التى تمر بمناطق حاكمة يمكن استغلالها فى عمليات التعرض لخطوط المواصلات .

— ان اسرائيل تعتمد أساسا على النقل البحرى فى توفير الامداد بالمعدات والمواد الاستراتيجية واهمها البترول الذى لا يتوفر بها محليا .

— ان العمق الاستراتيجى للوطن العربى يتيح للبحرية المصرية امكانيات ممتازة من حيث التمركز واعادة الملء كما أن اختيار المناطق الحاكمة التى تبعد عن مدى عمل الوحدات البحرية والجوية الاسرائيلية التى تشكل تهديدا مباشرا لوحداتنا يمكن أن تكون مسرحا مناسبا لعمليات التعرض لخطوط المواصلات البحرية المعادية . وأمكن بناء على ذلك أن نستخلص ان المدمرة يمكن أن تكون أنسب الوحدات للعمل بهذه المناطق البعيدة حيث يتوفر لها ظروف العمل المناسب مع الاستفادة بقدراتها على البقاء بالبحر لمدة طويلة تتمشى مع مطالب تنفيذ هذه المهمة .

— أن المناطق القريبة من دفاعات العدو والتى يمكن أن تستغل للتعرض لخطوط المواصلات البحرية مثل مدخل خليج السويس تصلح لاستخدام الالغام وهى سلاح يقظ شديد الخطر والتاثير خاصة اذا ما استخدم باتقان ضد عدو لا يملك وسائل كسحه .

— انه يمكن ممارسة هذه المهمة فى نطاق القانون الدولى الذى يبيح حق الزيارة والتفتيش بأعالى البحار لمنع وصول المواد الاستراتيجية للعدو وبالتالى فان قواتنا لن تتسبب فى عرقلة الحقوق الشرعية للدول المجاورة المطلة على المسرح .

ولقد كان مؤكدا قبل بداية العمليات أن تعميق النشاط البحرى وابعاده عن النطاق التكتيكى بآلاف الكيلو مترات سيكون له أكبر الاثر فى مفاجاة العدو وارباكه ، فبأحكام السيطرة على الملاحة عبر مضيق باب المندب وخليج السويس سيمكن توجيه ضربة قاضية لنظرية الامن الاسرائيلى التى تعتمد على استمرار التواجد فى شرم الشيخ لتأمين الملاحة عبر مضايق تيران وفى نفس الوقت كان من المؤكد أن اسرائيل ستكون عاجزة عن اتخاذ اى اجراء لفك هذا الحصار . أما فى البحر المتوسط فقد كان هناك أكثر من منطقة حاكمة للاتجاهات المختلفة .

ودلت الدراسات التى اجريت على خطوط الملاحة من والى اسرائيل وعلى قدرات الوحدات الاسرائيلية البحرية والجوية على أنه من المناسب استخدام الغواصات المصرية فى شرق البحر المتوسط لما لديها من قدرات على البقاء بالمناطق لفترة طويلة والعمل فى سرية .

ثالثا : من الناحية الدفاعية كان تقدير الموقف يحتم توفير كافة أنواع الدفاعات للموانى الرئيسية لمنع العدو من التدخل فى هذه المنطقة وكان التهديد الاول هو الغواصات التى يمكنها انزال متسللين ومخربين وكذا مهاجمة الوحدات البحرية والسفن التجارية على مشارف الموانىء أما التهديد الثانى فهو لنشات العدو المسلحة

التى يمكنها قصف الموانىء ومهاجمة السفن التجارية والوحدات الحربية . وقد تمت دراسة جميع الاحتمالات الممكنة والمناطق التى يتحتم على العدو المرور فيها أو الانتظار بها ووضعت الخطة اللازمة لتكثيف النشاط البحرى المصرى بهذه المناطق . وفى نفس الوقت تم تعزيز امكانيات اكتشاف غواصات العدو ومهاجمتها بواحدات مكافحة الغواصات المصرية والتركيز على استخدام الطائرات الهيل فى البحث بالمناطق البعيدة وفى توقيتات متباينة . وكانت الحسابات التى أجريت عن فاعلية عمليات البحث عن الغواصات بالمنطقة تشير الى نسبة احتمال عالية ومطمئنة .

أما بالنسبة للدفاع ضد سفن السطح فقد تم تكثيف المراقبة الساحلية الفنية والبصرية مع تنشيط الدفاعات الثابتة من المدفعيات والصواريخ الساحلية وذلك بالاضافة الى استخدام الوحدات البحرية الصاروخية لاعتراض وحدات العدو البحرية وتدميرها فى حالة عدم دخولها نطاق الدفاعات الثابتة . وحيث أنه كان من المنتظر أن يلجأ العدو الى استدراج وحداتنا الى كمائن مدبرة فقد تم التخطيط لعملياتنا فى صورة كمائن مضادة تستخدم فيها لنشات الصواريخ التى يتم توجيهها استنادا الى معلوماتنقط المراقبة الساحلية ومصادر المعلومات المختلفة .

أما المسطحات المائية داخل الموانى فقد روعى أن تكون تحت المراقبة الدقيقة المستمرة ليلا ونهارا وعلى أن يحقق النظام الدفاعى لها تغطية مستمرة بالمفرقعات المضادة للضفادع البشرية بما يجعل الدخول اليها أمرا صعبا للغاية فى حين يكون الخروج منها أمرا مستحيلا .

وبدراسة العدو وامكانياته وقدراته وما يتوفر لديه من لنشات صاروخية حديثة وناقلات جنود وغواصات وعدد كبير من اللنشات الخفيفة بالاضافة الى قدرات كبيرة للمعاونة الجوية كانت جميع الظروف والاحتمالات تسمح للعدو بتنفيذ المهام الآتية :

١ — تأمين خطوط مواصلاتة البحرية بالبحرين المتوسط والأحمر خاصة وأن موقع اسرائيل الجغرافى يحتم عليها الاعتماد أساسا على الامداد البحرى وبالذات بالنسبة لاحتياجاته البترولية .

٢ — الدفاع عن سواحلة ومنع قواتنا من قصف نقاطة القوية وأهدافة الحيوية المنشرة على الساحل .

٣ — تعطيل موانينا الرئيسية ومنع وصول الامدادات الينا خاصة وقت المعركة .

٤ — القيام بعمليات خاصة خلف وعلى جوانب قواتنا بغرض خلخلة الموقف وارباك القيادات .

واذا راجعنا ما تـم خلال حرب أكتوبر لتقييم نتائج عملياتنا وعمليـات العـدو نجـد الحقائق البـارزة التاليـة بالنسبة لعمليات قواتنا :

١ ــ ان قواتنا قد قامت بقصف تجمعات العدو السـاحلية ومعاونة القوات البرية بالنيران من اتجـاه البحر بالمدفعية الساحلية وتمت قصفاتها فى الايام الاولى للعمليات على جبهة عريضـة حيث تـم قصف رأس بيرون وشرق بورسعيد ورأس سـدر وشرم الشيخ ورأس محمد فى اليوم الاول للعمليات بالاضـافة الى الاشتراك فى التمهيد النيرانى بمنطقة عيون موسى ورأس مسـلة وشرق بورسعيد علمـا بأنه تـم تكرار هذه القصفات فى المراحل التالية للعمليات .

٢ ــ أمكن تنفيذ مخطط التعرض لخطوط المواصـلات بكفاءة تامـة فلـم تدخـل أو تخرج أيـة سفينة من ميناء ايـلات حتى توقيع اتفاقية فصل القوات كما انخفض معـدل الدخـول والخروج الى موانىء البحر المتوسط الى ١٢٪ من حجمة الطبيعـى .

٣ ــ لـم يستطع العدو المساس بأمن وسلامة حريـة الملاحـة الى موانينـا الرئيسية وبصفة خاصة بالاسكندرية وسفاجـة بـل استمرت هذه الموانىء فى العمل بحالـة طبيعية وبنفس الطـاقة ان لـم يكن أكثر فعلـى سـبيل المثـال كان عـدد السفن التى دخلت وخـرجت من مينـاء الاسـكندرية يوم ٣ أكتوبر عشر سفن بينما فى يوم ١٧ أكتوبر ٢١ سفينة .

وبدراسة النتائج التى حققها العدو خلال عمليات أكتوبر يتضـح لنا بجـلاء أن البحرية الاسرائيلية أما أنها فشلت فى تنفيذ مهامها أو أن قيادتهـا قد أخطـأت ولـم تستند لتشكيلاتها مهاما رئيسية بصورة سليمة ولعل هذا هو الرأى الأكثر احتمـالا حيث تشير جميع الدراسـات الى أن اسرائيل قـد اخطأت فى تقدير موقفنا وتصور الدور الحقيقـى الذى يمكن أن تؤديـة البحرية المصرية تماما كمـا أخطـأت القيادة العسـكرية الاسرائيلية فى تصـور قدرة الجيش المصرى على عبـور القناة .

ولعـل اهم ما يجدر الاشارة اليه فى هذا المجـال الآتى :

١ ــ بث الألغـام فى المياه التى يطل العدو على سواحلها بمدخـل خليج السويس قبل بدايـة العمليات بتشكيل مكـون من عـدة وحدات وعلى الرغم من ذلك فان العدو لـم يلاحظ هذا النشاط وتكـرر تنفيذ هذه المهمة عـدة مرات خلال فتـرة العمليات دون أى تدخـل منه سـوى المرة الأخيرة التى تمت يـوم ١٩ اكتوبر .

٢ ــ قصفت الوحدات البحرية مناطق بعيدة عن قواعدها ولـم تعترضها وحـدة بحرية واحدة ومن هذه المناطق شرم الشيخ التى تعتبرها اسرائيل قاعـدة هامة لتأمين الملاحـة عبر مضيق تيران وتكرر القصف عـدة مرات بالصواريخ الموجهة وغير الموجهة .

٣ ـ فيمـا يخص المهمة الرئيسية للعدو التى طالمـا أعلن عنها قـادة البحرية الاسرائيلية وهى تأمين خطوط المواصـلات البحرية فان النتائج توضـح أن البحرية الاسرائيلية كانت عاجزة عن تحقيق هذه المهمة وهو أمر يثير التساؤل اذن ـ أين كانت البحرية الاسرائيلية حينما مارست مصر مهمـة التعـرض لخطوط المواصلات ؟ ولقد جـاء فى الدراسـة التى قـام بها معهد ليونارددیفز الاسرائيلى بجامعة جيروسليم ما يلى بالنص :

« ان السفن الحربية التى تمتلكها مصر بالاضـافة الى ما أمكنها الحصول عليه من تسهيلات من الدول العربية بالمنطقة ، قد جعلت مصر قادرة على حصار مضيق باب المندب ، وان اسرائيل التى لـم تكن تملك سـوى وحدات خفيفة بالبحر الأحمر كانت عاجزة عن فـك الحصـار ، حيث لـم يكن فى مقـدور القوات المتمركزة بهذه المنطقة العمل بأعالى البحـار ـ وأن التغيير الجذرى الذى حدث فى البحر الاحمر وفشل اسرائيل فى تجميـع قـوة بحـرية فى هذه المنطقة ـ قد مهـد الطريق لحصار اسرائيل بواسطة البحرية المصريـة فى حـرب الغفـران » .

وعلى الرغم من كل هذه النتائج البـارزة فان أبـواق الدعايـة الاسرائيلية والصحافة الصهونية اخـذت تردد أن البحرية الاسـرائيلية قـد تمكنت من شـل حركة البحرية المصرية وقصفت الأهـداف الساحلية من العلمين الى دميـاط .

والحقيقة التى يجب ذكرها أن اسرائيل قد لجـأت الى عمليات تكتيكية صغرى تهدف الى تحقيق مظهر دعائى . فالقصفات التى تمت كانت ضد مناطق نائية وغير حيوية ولم تحقق أى خسائر بل أن الوحدات البحرية المصرية مارست مهامها خـلال العمليات بكفاءة واعترضت وحدات العدو والحقت بها اضـرارا جسمية لم تعلن عنهـا اسرائيل على الرغم من توفر القرائن التى تشـير الى تدمير عـدد من لنشـات العدو وبصورة مؤكـدة .

وفى خـلال التخطيط لعمليات أكتوبر وأثنـاء ادارتها التزمت البحرية المصريـة بالمبادىء والأسس العلمية للحرب البحرية . فعلى سبيل المثال وضعت خطـة تضمن خداع العدو وتحقيق المفاجأة والتزمت بمبدأ الحشد فركـزت أعمـال تشكيلات اللنشات الصاروخية ولنشـات المدفعية لتحقيق المعاونة للقـوات البرية وأستفادت من الوضع الجغرافى ومن العمق الاستراتيجى للوطن العربى وظـروف المسرح فى التعـرض لخطوط مواصـلات العـدو البحرية كمـا استخدمت الالغام للسيطرة على بعض المناطق بهدف مفاجـاة العـدو وتطبيق مبـدأ الاقتصاد فى القـوى وخلق ظروف أفضـل لقواتنا تمكنهـا من تحقيق المهمة الرئيسية .

لقد كانت حرب أكتوبر نموذجـــا للحرب المحلية التى يمكن أن تنشب بين دولتين على اعلى مستوى من التطـــور والتكنولوجيا استخدمت فيها أحدث الاسلحة بكميات لـــم يسبق استخدامها فكانت بذلك وستظـــل لفتـــرة طويلة مجالا للدراسة والبحث واعـــادة التقييم للخروج بالعديد من الدروس المستفادة ســـواء على المستـــوى الاستراتيجى أو التعبوى أو التكتيكى. فقد ثبت أن الصراع المسلح تحت ظروف الحرب الحديثة هو دون شك معركة مشتركة لكافة أفرع القوات المسلحة يلعب كل فرع فيها دوره بتنسيق وتعاون مستمر طبقا لتخطيط علمى محكم بما يضمن تحقيق الهـــدف الاستراتيجـــى للدولة .

أمـــا من حيث تكتيكات القتـــال البحرى فقد أدت التكنولوجيا المتقدمة بمـــا قدمته من صواريخ ومعدات حرب الكترونية الى زيـــادة تعقيد الموقف وسرعة تغيره بالاضـــافة الى اتساع رقعة المعركة .

وعلى الرغـــم من أن السمات الرئيسية لهذه الحرب كانت تتجلـــى فى استخدام المعدات المعقـــدة والتكنولوجيا المتقدمة الا أن العنصر البشرى لـــم يفقـــد أهميته . بـــل زادت هذه الأهميـــة وسيظل هذا العنصر العامـــل الحـــاسم الذى يتـــوقف عليه نجاح أيـــة معركـــة .

ولقد اثبت الجندى المصرى ذلك فى هذه المعركة المصرية باستبساله وقتالـــه بروح معنوية عاليـــة منبثقـــة من ايمانه بربـــه وثقته وقدرتـــه على اســـتخدام المعدات والاسلحة الحديثة بمهـــارة فائقـــة .

ممـــا سبق يتضح أن القوات البحرية المصرية قـــد خططت لحرب أكتوبر ١٩٧٣ وفقـــا للأسلوب العلمى السليم وخاضت معاركها بكفاءة قتاليـــة ممتازة وروح معنوية عاليـــة ــ ومستثمرة فى ذلك ما بذل من جهـــد شـــاق فى التدريب والاعداد لهـــذه المعركة الأمـــر الذى مكنهـــا من تنفيذ جميع مهامها بنجـــاح .

الأصـــداء الاستراتيجية لحـــرب أكتوبر ١٩٧٣

بريجادير جنرال كنيث هنت

مقدمـــــة :

لقد غيرت حـــرب أكتوبر الخريطة السياسية للشرق الأوسط . وحطمـت حالة الركود ودعمت من مركز الدول العربية . وكذلك فانها تحدت التفوق الاسرائيلى العســـكرى ، واظهرت التغيرات الجذرية التى يمكن أن تضيفهـــا التكنولوجيا على ساحة المعركة ، بـــل واظهرت أيضا الدور الحيـــوى الذى يمكن أن يلعبه الرجـال تحت القيـــادة التى تتسم بالعزم والتصميـم .

وقـــد خلق المجهود العسكرى المتسع حاجــة عاجلة الى اعـــادة تزويد كلا الطرفين بالذخائر . ولقد كان لهذه الحاجـــة الى المعونـــة الخارجية ثمنها السياسى كمـــا كان للنفـــوذ الخارجى أيضا أهميـــة فى انهاء الحرب وفى تهيئة الجو للتسويات المؤقتـــة التى جاءت فى أعقابهـــا .

وهكذا تأثرت الحرب بعدة عوامل خارجية كما كان لها فى نفس الوقت تأثيرها على العالم الخارجى . فلقد دعت عـــدة دول الى اعادة بحث مواقفها السياسية وامعـــان النظر عسكريا فى استراتيجياتها وتكتيكاتها ونظـــم الاسلحة فيها وأيضا الافتراضات التى تقوم عليها العمليات وذلك حتى تتمكن من استخلاص الدروس التى يمكـــن الاستفادة منها فى الحرب بمـــا يتلاءم مع البيئـــة الخاصة لكل دولـــة .

مجـــال البحث :

ان الاستراتيجية ليست مجـــرد أن نجعـــل العدو يرزح تحت ضغط قواتنـــا العســـكرية .... وانما هى نتائج اشـــكال من الضغوط العسكرية والاقتصاديـــة والسياسية وطالمـــا أن كثيرا من المتحدثين سيتناولون أمـــورا عسكرية واقتصـــادية بوجـــه خاص فان هذا البحث سيهتم بمسائل ـ سياسية ـ عسكرية . أى الاعتبارات الاستراتيجية والدروس المستخلصة منها . وأيضا بمعالجة مفاهيم الدفاع الاسرائيلية باختصار . وكذلك سيهتم ببعض الأصداء السياسية والعسكرية للحرب ـ مع القاء الضوء على دور العناصر الرئيسية فى القوات . وفى نهـــاية الامر سوف نقـــدم بعض الافكار بشـــأن المستقبل .

مفـــاهيم الدفاع الاسرائيلية :

تعتبر اسرائيل دولة صغيرة ذات عمـــق بسيط ومع ذلك فأنهـــا مكتظة سكانيا بشـــكل كبير . وتتلقى اسرائيل من الولايات المتحدة معونات اقتصادية هامة واسلحة

متقدمة . وتقوم استراتيجية اسرائيل على أســاس تفادى الحروب طويلة المدى . وقد ادى ذلك الامر الى التركيز على القوات والأساليب ذات الطابع الهجومى باعتبارها أفضـــل وسائل للدفاع الذى من المفروض أن المقصود بـــه هو تشتيت وتدمير القوات المهاجمـــة بسرعة ، مع الاحتفـــاظ فى نفس الوقت بالمعركـــة بعيـــدا عن الأراضى الاسرائيليـــة .

ولا سباب اقتصادية ، فان الجيش العامل لابـــد من أن يكون محدودا غير أنه لابـــد وأن يكون كبيرا فى نفس الوقت بالقـــدر الذى يمكن معه المبـــادأة بالهجوم الى حين استدعاء الاحتياط من خـــلال التعبئة السريعة .

يضاف الى ذلك أنه يجب تفـــادى نشوب حرب على جبهتين أو أكثـــر فى نفس الوقت كلمـــا أمكن ذلك .

ولقد فرضت حرب الاستنزاف عام ١٩٦٩ — ١٩٧٠ مشـــاكل جديدة علـــى اسرائيل أدت الى بناء دفاعات ثابتةرغم أن الذى يدعمها من الخلف هو قوات متحركة. وعلى الرغم من ذلك فقد ظلت القوات الجوية والقوات المدرعة هى العناصر السائدة فى القوات الاسرائيلية المسلحة وصارت الاولوية الثانية للمشـــاة .

بعض الاعتبارات العســكرية العربية :

كان العامل الذى ساد حرب ١٩٦٧ هو قوة السلاح الجوى الاسرائيلى .والدرس الذى يمكن استخلاصة من ذلك هو أنه يجب أن تعطى الاولوية للدفاع الجوى بمفهومة العريض متمثـــلا فى صواريخ ســـام والطائرات والسواتر وانتشار الوحدات وبنفس القدر فقد تطلبت قوة القوات المدرعة الاسرائيلية وجود قـــوات من الدبابات القوية والاسلحة المضادةللدبابات لمواجهتها . أن قابلية اسرائيل لمواجهة حرب على ثـــلاث جبهات تتطلب تماسكا وتنسيقا عربيا . ويعنى الحجم الصغير للقـــوات الاسرائيلية العاملة أنه بأمكان عنصر المفاجأة — اذا استخدم الى أقصى مـــداهـ أن يعطى ثمارا هائلة . وتعتبر الحرب الطويلة التى تفرض استنزافا على اسرائيل ميـــزة فى صـــالح العـــرب .

نظـــام الحرب :

لقـــد تحقق عنصر المفاجـــأة نتيجة للخداع على الرغـــم من وفـــرة المعلومات والتى كانت تشير كلها فى أوائل اكتـــوبر الى أن الحرب وشيكة الوقوع . ولقد تمت عملية عبور القناة — وهى عملية معقدة — بكفاءة وأسلوب ضليع . وقد تمت العملية بسهولة اكبر مما لو كانت القوات الاسرائيلية قـــد تـــم تعبئتها وانتشارها الكامـــل ، يضـــاف الى ذلك ان الهجوم السورى المنسق على المنطقـــة الضيقة جدا شـــمال

الجليل قد شـكل تهديدا حيويـا لاسرائيل — ونتيجة لهذا كان عليهـا أن تمنحـة الأولويـة الأولى على الأقـل فيما يتعلق بالقوات الجويـة .

وقـد عرقل القـوات الاسرائيلية عـدم تأكدهـا من حقيقـة النوايا الاردنيـة .

ورغم الخسائر الأوليـة الجسيمة التى نتجت عن المفاجـأة فـان اسرائيل استطاعت أن تتماسك وأن تقوم بهجوم مضـاد بعد ذلك مستخدمة خططهـا العدوانية التقليديـة . وقد كانت الحاجة ملحـة لاقامة جسر جـوى عاجل من أجـل اعادة تزويدهـا بالعتـاد على نطاق واسـع .

وقد فرض وقف اطلاق النار من الخارج دون التأكد مما قد تسفرعنه الحرب من الوجهة العسـكرية . ورغم ذلك فان الشىء الذى كان مؤكدا هو مدى التأثير الذى مارستة كل من الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى على الاحداث ، واعتماد كل الأطراف المشتركة فى الحرب من الناحية العسـكرية على هـاتين الدولتين . كما كان واضحا أيضا مدى التمزق القاسى الذى أحدثة الحظر البترولى الذى صـاحب الحرب على عدد كبير من الدول دون تمييز بين غنى وفقير .

بعض الاصـداء العسـكرية :

عنصر المفاجـأة :

كانت الصدمة النفسية التى حدثت لاسرائيل نتيجة للحرب — التى لم تكن متوقعة ابدا — هائلة وأحدثت أثرا عميقا . وأظهرت مدى ثمن الأخذ على غرة دون استعداد، غير أنها فى نفس الوقت من الناحية البشرية والماديـة زادت من قيمة الحدود الآمنة والأعماق فى العقول الاسرائيلية (*) . فلو كانت حرب أكتوبر قد شنت من الحدودالتى كانت قائمـة قبل حرب ١٩٦٧ لزادت المشـاكل التى تواجـه الدفاع بشكل كبير . ولقد اتضح أنه بينما كسبت اسرائيل الحرب عام ١٩٦٧ من تلك الحدود فانها واجهت صعوبـات كثيرة بسببها عـام ١٩٧٣ .

وأن هذا الامر حقيقة واقعة ولكن نمط أو درجة الهجـوم لم تكن متشابهة . فهناك مثلا ميزة عسكرية عظيمة فى احتلال اسرائيل لارض مثل مرتفعات الجولان ، فانها تعطى عمقـا وتوفر هيئات مشـرفة استراتيجيا وتكتيكيـا وتهيىء مواقعـا تكتيكية فسيحة تجعل أمور الدفاع أكثر اقتصادا . ولهذا سيكون الثمن السـياسى الذى يدفـع مقابل ذلك هو البقـاء بطبيعة الحـال .

(*) لقد تحطمت نظرية الامن الاسرائيلى ، وثبت أن فكرتها عن الحـدود الآمنة خاطئة ، وتعتبر مصـدرا دائما للتوتر فى المنطقة ، فقد انتصرت اسرائيل عـام ١٩٦٧ من حـدود اعتبرتها غـير آمنة وهزمت عـام ١٩٧٣ على الجبهة المصرية من خطوط اعتبرتها آمنة ، ولا يمكن تحقيـق الامن والسلام فى المنطقة الا على أساس الشرعية الدولية .

وسيكون من الصعب جدا تحقيق عنصر المفاجأة بنفس القدر مستقبلا . ولهذا يمكن أن نفترض أن أى حرب جديدة سوف تخلق مشاكل رئيسية للدول العربية لم تواجهها فى المرة السابقة . وهل سيكون فى الامكان تحقيق نفس القدر من التماسك والتنسيق بينهم مرة أخرى ؟ . كما أن قيام الدول العربية بتعزيز مواقفها أمام اسرائيل على المستوى الذى تم فى سبتمبر / أكتوبر ١٩٧٣ من شأنه حقا أن يدفع الطرف الآخر الى القيام بتوجيه ضربة اجهاض — لنا أن نتخيل ماذا كان من الممكن أن يكون وقع مثل هذه الضربة من الناحية المادية والنفسية على الترتيبات النهائية لعبور قناة السويس على سبيل المثال . وتسليما بأن مثل ضربة الاحباط هذه سيكون من الصعب القيام بها فى مواجهة الضغوط السياسية الخارجية — الا أنه على المستوى التكتيكى يمكن أن يستند ذلك الى مبررات متى لاح شبح الحرب فعلا وفى الوقت الحالى نجد انه بوسع الاسلحة ذات الدرجة العالية من الدقة أن تغرى بهذا المسلك على المستوى العسكرى .

الكثافة :

لقد كانت أوجه الانفاق والخسائر جسيمة فى النواحى المادية ولذلك أصبح الدعم الخارجى ضروريا لاستمرار الحرب بالنسبة لاسرائيل وكذلك بالنسبة للدفاع عنها . ونتيجة لذلك فانه من المحتمل أن يكون قد حدثت اعادة للتخزين (تشوين) الى المستوى الذى يمكن أن تتفادى معه اقامة جسور جوية عاجلة مستقبلا بسبب كل الصعوبات التى تواجهها من الناحية السياسية ومن ناحية نقل الجنود وايوائهم وتموينهم . وبطبيعة الحال فان الثمن سيكون هائلا وسيتطلب معونة خارجية كبيرة . والتخطيط لاى حرب فى المستقبل سيكون مشروطا بمستوى تخزين المهمات والذخائر الجديدة وبامكانية مواجهة معدلات الخسائر المتوقعة . واعتقد أنه يجب النظر مرة أخرى فى اعادة التخزين بالنسبة للاسلحة والمعدات الخطيرة مثل الصواريخ التى غالبا ما تستخدم باسراف .

العمليات الجوية :

لقد قضت وسائل الدفاع الجوى المتمثلة فى الصواريخ والمدافع — جزئيا — بالتأكيد على نشاط القوات الجوية الاسرائيلية ، أو على الاقل قيدت هذا النشاط .

ومن الواضح ان ذلك أدى الى وضع الأولوية الكبرى على وسائل الاخماد الدفاعية : الالكترونات — مضادات الرادار والصواريخ — وكذلك وسائل الاشراف والرقابة بواسطة طائرات الاستطلاع بدون طيار RPVS وربطها عند التنفيذ بالعمليات الارضية .

ورغم ذلك فالمعادلة ليست بالضرورة فى صالح الدفاعات بالنسبة لكل المواقف التكتيكية على مدى الخمس سنوات القادمة رغم ان المجهود الجوى لمراقبتها واخمادها يستنزف الموارد الجوية وبذلك يقلل من الهجمات المتاحة للعمل الهجومى .

ان الاسلحة دقيقة التوجيه التى تطلق عن بعد بالاضافة الى الاجراءات الالكترونية المضادة يمكنها أن تفعل الكثير لتحييد الدفاعات الجوية أو تدميرها وبذلك تجعل من العسير عليها أن تهيى غطاء جويا للعمليات المتحركة فى العمق على سبيل المثال .

وهناك مشكلة القيادة والسيطرة وكيف يمكن للطائرة أن تعمل فى سلام .

وحتى يستطيع صاروخ سام أن يستغنى عن الرادار فانه سيكون عرضة للاجراءات الالكترونية المضادة .

وعلى ذلك فلا زالت القوات الجوية الاسرائيلية هى العامل المسيطر . وقد قامت بعمل الكثير للتأثير على التنظيمات والتكتيكات العربية فى الماضى وستقوم بعمل الكثير كذلك فى المستقبل ولقد اعطاها ادخال التكنولوجيا الامريكية المتقدمة عليها نصرا حادا . وان الأولوية الممنوحة لها كذراع هجومية قادرة على احداث تأثير حاسم فى ساحة المعركة ، ستكون عاليه رغم التكلفة الباهظة (*) .

وبسبب المطالب الملحة على السلاح الجوى فان بعض أدواره قد تضطلع بها المدفعية وصواريخ أرض / أرض مثل تدمير بعض الأهداف الثابتة أو القيام بضربات العمق ضد المنشآت المدنية أو العسكرية .

ان استخدام صواريخ أرض / أرض ذات المدى البعيد الفعالة ضد الاهداف المساحية قد تكون له أثر الردع المتبادل على أساس أن المدن فى كلا الجانبين سوف تكون رهينة للجانب الآخر .

قتال المدرعات :

ستلعب المدرعات دائما دورا حاسما فى الشرق الأوسط لان الارض تناسب الحرب المتحركة . ولقد أظهرت الصواريخ المضادة للدبابات سواء الموجهة أو غير الموجهة أن لديها دورا يمكن أيضا ان تلعبه غير أنه دور مكمل وعلى قدر خاص من الأهمية فى بعض المناطق أو فى بعض الأوقات حينما تكون الدبابات غير كاملة الاستعداد ومهيأة لاغراض الدفاع (كما حدث فى الساعات المبكرة لعبور القناة) .

ولقد أظهرت الحرب أن العمليات المدرعة (وكذلك العمليات الجوية) لم تعد رخيصة التكاليف كما كان الحال عليه من قبل . ولقد عادات قوات

(*) تجاهل الباحث التطور الكبير الذى يحدث حاليا فى القوات الجوية العربية وكذا فى وسائل الدفاع الجوى ، خاصة بعد أن قررت مصر تنويع مصادر السلاح (أنظر تعليق اللواء حسن الجريدلى على تحليل الكولو نيل تريفود ديبوى ، ص ٢١٦) .

المشــاة والمدفعية الى الظهــور مرة أخرى فى الصورة بالنسبة لكــل عمليــات الدفاع والهجوم عندما تشتبك مع قوات المشـــاة المنافسة ومع أسلحتها المضــادة للدبابات أو عندما تتمكن من أسكات تلك القوات .

غير أنه لمـــا كانت القوة الدفاعية المضـــادة للدبابات (وغيرهـــا) من الصواريخ الارضية والجويـــة متاحـــة لكـــلا الطرفين فان اسرائيل ســـوف تستخدمها دون شـــك الى أقصى مدى فى أية معركة دفاعية . بالاشتراك مع الالغام والموانع من أجل تحرير الدبابة وجعلهـــا تتفرغ لتلعب دورهـــا المتحرك الصحيح وهناك أراضـــى كثيرة على الجبهات الثلاث تتبـــع مثل هذا النظـــام الدفاعـــى خاصـــة فى الاراضى التى يحـــد من حرية الحركة فيهـــا ممرات ضيقـــة أو تضاريس وعـــرة . وتعتبر مرتفعـــات الجولان بالاضـــافة الى بعض أماكن أخرى كثيرة أصـــدق مثال على ذلك .

بعض الأصـــداء السياسية :

بالنظر لعامل ضيـــق الوقت فقد اكتفيت بالاشـــارة الى هذين المظهرين فقط من العمليات العســـكرية اللذين تـــم اختيارهمـــا بسبب طبيعتهما الحـــاسمة . ولقد كانت العمليات البحريـــة هامـــة أيضا بصفـــة خاصة من أجـــل توضيح قـــوة وأساليب استخدام الاسلحة الجديدة الا أن — أهميتهـــا — لـــم تكن حاسمـــة فى فى حـــد ذاتهـــا .

وعلى الرغم من تقدم الصناعات الحربية الا أن الاسلحة فى كل الأحوال سواء من الطائرات أو الدبابات أو الصواريخ بكل الانواع ظلت تأتى من مصادر خارجية ، ولســـوف يستمر الحـــال كذلك لعـــدة ســـنوات .

ولا شـــك أن — مثـــل هـــذا الوضـــع — من شـــأنه أن يعطى نفوذا عظيما للموردين الاساسيين وهما الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى . وقـــد ظهر هذا النفـــوذ فى المقـــام الاول بالنسبة للضغط السياسى الذى مورس على اسرائيل فى الأشهر الاخيرة ، ولقد سببت الحرب نفسها وكذلك المقاطعة العربيـــة البترولية ضغوطـــا أيضا على القوى الخارجية من غير شـــك وقد وضـــح ذلك بالنســـبة لحالة الولايات المتحدة التى صـــارت هى وغيرها تعمل على تعديـــل سياستها تجـــاه الدول العربية كنتيجـــة لذلك .

وعلى سبيل المثـــال فان الولايات المتحدة تقوم حاليـــا بامداد بعض الـــدول العربية بالاسلحة بكميات ملحوظة تبعـــا لشروط (معينة) — ليمكن .اســـتخدامها ضـــد الاسلحة الامريكية الاخرى التى سبق ان زودت اسرائيل بها .

وقد يبدو ذلك (التصرف) غريبـــا بعض الشىء للوهلـــة الاولى — غير أنـــه يوجد ما يبرره — واسرائيل لا ترحب بذلك غير أنه يجب عليهـــا أن تتمشى مع تلك

السياسة . ان الاعتماد على المصادر الخارجية بهدف الحصول على الامدادات الخطيرة أو على المعونة المالية يحمل فى طياتة ثمنا سياسيا معينا . ان تورط الولايات المتحدة الكبير فى سيناء يمكن النظر اليه كنوع من التعضيد الا أنه يمكن اعتباره أيضا نوعا من أنواع التقييد . ان للقوى الخارجية بطبيعة الحال درجة محددة فقط من الرقابة ، فبمجرد تسليم الامدادات فان قوة اتخاذ القرار تنتقل الى الايدى المحلية . ان التأثير الخارجى يكون قائما فى مرحلة الامداد قبل أو (خلال) الحرب وأيضا فى مرحلة اعادة الامداد بعد ذلك .

التطورات المستقبلة :

لقد نشبت حرب أكتوبر لان الدول العربية لم تكن راضية بالامر الواقع بالنسبة للأرض والسياسة ورات أن الحرب هى الوسيلة لتغيير هذا الامر الواقع . ويمكن القول من غير شك أنه من الممكن اشعال حرب تقليدية واحراز كسب فيها ، الا أن اى حرب مستقبلة قد يكون ثمنها باهظا بدرجة كبيرة . ان اسرائيل قوية جدا الآن من الناحية العسكرية ومن غير المحتمل أن تفاجأ تماما مرة أخرى ، ولكن لا يعتقد أن التكاليف ستكون باهظة جدا بالنسبة للدول العربية اذا كان الركود السياسى هو البديل . ولقد سجلت حرب أكتوبر هذه النقطة بوضوح .

وسوف تنظر اسرائيل الى المشكلة على أساس أنها مشكلة كيفية تحقيق الامن على المدى الطويل فى مقابل اتفاقات سياسية تؤدى الى تخليها عن الاراضى التى تحتلها ، ولاشك ان البديل عن الاتفاقات هو استمرار المواجهة العسكرية وربما الحرب . وقد تبدو التحركات السياسية محتملة ولاشك أن الاتفاقية المؤقتة مع مصر تعتبر بداية طيبة . أن المواجهة المستمرة تفرض اجهادا واعباء مالية ثقيلة

أن مركز اسرائيل العسكرى الان اقوى نسبيا عما كان عليه فى اكتوبر ١٩٧٣ وانها لعلى ثقة تامة من دفاعاتها اذا حدث واشتعلت الحرب مرة اخرى ، غير أن ذلك مجرد ردع دفاعى ، ولكن الامر الآخر هو كيف يمكن اقناع العرب بعدم اللجوء الى الحرب .

ان مجرد رفع التكاليف مما يجعل المعركة أصعب قد لا يكون كافيا ، الامر الذى يزيد من مشكلة اسرائيل على المدى الطويل . وقد لا يكون بوسع اسرائيل تطبيق أسلوب الردع بالمقارنة بحجم وموارد الجيوش العربية بواسطة الاسلحة التقليدية .

وبالنسبة لاوربا فان الردع يتم بواسطة أسلحة نووية تغير كل حسابات الخسارة والمكسب وتلغى دور الحرب كوسيلة سياسية اللهم الا اذا كان ذلك هو الملجأ الأخير . فهل يوحى ذلك التفكير بأن اسرائيل ربما تلجأ الى

الاسلحة النووية كوسيلة من وسائل الردع ؟ . اننى شخصيا اشك فى ذلك بسبب اعتبار واحد على الاقل وهو أن الولايات المتحدة التى لهـا أهميتهـا الكبرى بالنسبة لامن اسرائيل قد تصـدم اذا وجدت نفسها طرفـا فى مخاطرات نوويـة لا تملك هـى نفسهـا التحـكم فيها .

الخـــلاصة :

لقد أظهرت حـرب اكتوبر والحظر البترولى الذى صاحبها تماسـكا وثقـة فى العالم العربى بالاضـافة الى قـوة مساومة جديدة وقد نتـج عنها بعض التحركات السياسية ومن المحتمل أن ينتج عنها المزيد اذا ما توفر لذلك الوقت والفهم .

لقد حدثت هـزة قاسية فى اسرائيل الا انه نتيجة لذلك فقد تمكنت من تقويـة دفاعاتها بشـكل ملحوظ ، ولقـد استفادت اسرائيل دروسا من حرب ١٩٧٣ كمـا استفاد العرب الدروس من حرب ١٩٦٧ .

لقد احدثت التكنولوجيا الحديثة آثارا ملحوظة فى سـاحة المعركة وهـى آثـار يمكن أن تخـدم الدفاع والهجوم . ان الحاجـة العاجلة الى هذه التكنولوجيا ومدى الاستهلاك فى الاسلحة والذخائر قد أوضح بجلاء مـدى الاعتمـاد الشـديد من جـانب كل المشتركين فى الحـرب على المعونـة الخارجيـة ، وينطبـق هـذا بصـفة خاصـة على اسرائيـل بسـبب ضـآلة مواردهـا بالمقارنـة بمـدى ما تتمتـع بـه الدول المحيطـة بهـا . ولا شـك أن هذا الاعتماد قـد زاد مـن الدور الذى يمكن أن تلعبه القوى الخارجية فى تشجيع التسويات السياسية . أن مخاطر تجدد الصراع وتكاليفة بالنسبة لكـل دول المنطقـة وأيضا بالنسبة للعالـم الخارجى توجب على كل الاطراف تقريبا أن تسعى الى الاتفاق . وتلك هـى النتيجة المباشرة لحرب اكتوبر وهى نتيجة مفعمة بالأمل . واننى آمـل أن يكون هذا البحث قـد أتى ثماره .

دور القـوات الجـوية فى عمليـات أكتـوبر ٧٣

لـواء طيـار / محمـود شـاكر عبد المنعم
قائـد القوات الجـوية المصرية

الفصـل الأول

نكسـة ١٩٦٧ والقوات الجـوية

عـام :

١ ــ كانت النكسة بمثابة الدرس الأليم الذى وعته الأمـة العربية ، والذى كشف أمامها السلبيات والمتناقضـات والعيوب .

ولذلك وجد الأسلوب العلمى طريقة الى القوات المسلحة ، لوضع الخطط ، وطرق التدريب ، وأعمال التنفيذ .

٢ ــ لذلك بدأ المخلصون من رجال القوات الجوية العمل بعد أن امتصوا صـدمة النكسة ، وكان شعارهم المستتر « محو العار » .

أسباب النكسة :

٣ ــ لو تدارسنا أسباب النكسة ، ومسبباتها يمكن أن نرجعها الى الاسباب الآتية :

أ ــ المغالاة فى تقدير قوتنا بالنسبة للعدو مع الاعتماد على المقارنة السطحية .

ب ــ الجمود فى أساليب القتال واستخدام الاسلحة التقليدية وسـوء وسائل المواصلات والمعدات الالكترونية .

جـ ــ التناقض بين متطلبات السياسيين والخطط العسكرية .

د ــ افتراض مزاعم جديدة فى الحرب الجوية ، وكسب امتصاص الضربات الجوية المفاجئة .

و ــ وجود ثغرات فى نظام الدفاع الجوى .

ز ــ قلة عدد المطارات .

استرداد الثقة :

٤ ــ بدأت ملامح استرداد رجال القوات الجوية للثقة ، باستئناف التدريب بعـد نكسة ١٩٦٧ مباشرة وبدأت أعداد كبيرة من الطلبة الطيارين تتلقى تدريباتهـا فى مطارات بعيدة عن الجبهة .

كما بدأت كل اجهزة القوات الجوية تضع خططا للتدريب المكثف لرفـع الكفاءة القتالية للضباط والجنود فى كـافة التخصصات .

٥ — ولقد ظهرت بوادر استرداد الثقة فى معارك جوية طاحنـة يومى ١٤ ، ١٥ يوليو ١٩٦٧ ، استطاعت خلالها طائراتنا ان تفجر كل تشوينات ذخيرة العدو التى جمعها من مواقع سيناء . وأدى القصف الجوى المركز الى تشتيت قوات العدو التى كانت قرب القناة ، واضطرها الى الانسحاب مذعورة الى العريش . ويومها طلبت اسرائيل رسميا وقف اطلاق النار بعد انفجارات لم تشهدها المنطقة من قبل .

الفصـــل الثانى

اعادة البناء

التخطيط :

١ — اعتمدت خطط اعادة البناء على زيادة اعداد الطيارين ، واعداد الطائرات ، واعداد المطارات . وأعطى تركيز شديد على حماية كل طائرة داخل دشمة محصنة فى كل مطار ، لوقايتها من القصف الجوى المعادى .

٢ — صاحب ذلك فكر متطور لزيادة اعداد مراكز القيادة واساليب واجهزة القيادة والسيطرة ، وتطوير وسائل الانذار واجهزة الاتصالات والمساعدات الملاحية ، مع توفير حماية لكل معدة فنية قيمة فى ملجأ أو دشمة .

٣ — تم انتشار الوحدات الجوية على المطارات بمـــا يضمن تحقيق خطط الدفـــاع الموضوعة ، وسهولة اعادة التجمع للتحول الى الهجوم وقت العمليات .

٤ — كان الواجب الاساسى للقوات الجوية ، هو العمل على تحقيق السيطرة الجوية على سمائنا وبخاصة جيوشنا الميدانية فى مواقعها على طول شاطىء القناة .

٥ — ظهرت أساليب جديدة فى القيادة تعتمد على الالتحام المستمر بالتشـــكيلات الجوية ورجالها ، لتذليل مصاعبهم والوقوف علـــى مستويـــات التـــدريب ، ولترسيخ الثقة فى السلاح المتاح من الاتحاد السوفييتى ، والذى أخذت أبواق الدعاية المضادة تعقد المقارنات بينه وبين السلاح الغربى المتوفر لدى اسرائيل.

٦ — والحقيقة أن الطيار أو الضابط أو الجندى المصرى كانوا جميعا مؤمنين بأنه لا بد من محو العار وان السلاح الذى فى ايدينا لابد ان نحارب به . ومن ثم كان لزاما ان تشحن معنويات المقاتلين بأسلوب علمى جديد بعيدا عن الخطب الجوفاء ، ويعتمد ازكاء روح الوطنية ورح التعاون ورح الفـــداء فى الجميع .

٧ — لذلك لم يكن غريبا رفع شعار « النصر أو الشهادة » واستبعد من ذهن أى مقاتل احتمالات تكرار مهزلة ١٩٦٧ . وبدات الروح المعنوية العالية تتعاظم أمـــــام الدعاية والغرور الاسرائيلى الذى جعل من البحر الاحمر حوضا اسرائيليا .

الفصل الثالث

التدريب والتطوير

الاهتمام بالتدريب :

١ — اتسمت برامج التدريب بالجدية والصرامة على جميع المستويات التكتيكية والتعبوية والاستراتيجية ، مع التركيز على التعاون بين الاسلحة المختلفة لخلق روح التعاون .

٢ — واتخذ تطبيق أساليب التدريب صورا عديدة لرفع المستوى القتالى لكل التخصصات بين طيارين ومهندسين وملاحين وموجهين واداريين وفنيين .

٣ — ولقد وجهت عناية خاصة لتدريب الطيارين على الظروف الفعلية للعمليات المقبلة بالطيران على ارتفاعات منخفضة لتحقيق المفاجأة والافلات من الرادار المعادى وعدم التعرض لوسائل الدفاع الجوى المضادة . مع تمثيل أهداف هيكلية تماثل أهداف العدو ومواقعه ، وتدريب طيارى المقاتلات القاذفة على دقة قصفها .

٤ — احسن استغلال طائرات الميراج العربية التى وضعت تحت تصرف مصر ، فى تمثيل الطائرات المعادية التى تمتلكها اسرائيل وتركيز تدريب طيارى المقاتلات «ميج ٢١» على مهاجمتها .

٥ — بدأ رفع المستوى العلمى للضباط فى كافة التخصصات يأخذ سبيله بطرق متعددة بالفرق الدراسية والبعثات والنشرات العلمية والوثائق المبسطة وتحليل أسباب الحوادث ونشر الدروس المستفادة .

٦ — اعطيت عناية خاصة لتدريب الموجهين على اعترض الطائرات المعادية تحت ظروف الاعاقة .

٧ — تعود الطيارون على الاقلاع والهبوط والطيران فى جميع المطارات فى مختلف الظروف الجوية ، لاكتساب الخبرة فوق مختلف الاراضى . وادى الى تقصير مدة الاقلاع من حالة الاستعداد الأولى الى اقصر مدة قياسية .

٨ — تركز تدريب طيارى الهليكوبتر على الاسقاط والابرار وخاصة فى المهام الليلية .

٩ — لذلك اذا عقدنا المقارنة بين معدلات التدريب فى عامى ١٩٦٧ و ١٩٧٣ ، نجد أن عدد ساعات الطيران تضاعفت مرتين ونصف . واعداد طلعات الرمى الجوى للمقاتلات ، والقصف الجوى بالقنابل ، والصواريخ تضاعف ما بين ١٨ ، ٢١ مرة .

خبرة حـــرب الاستنزاف :

١٠ ــ كانت حرب الاستنزاف التى بدأت تتبلور درسا لقواتنا الجــوية ، رد اليهـــا الثقة فى نفسـها . ومن دورس هــذه الحرب المستفادة أن أكتشف طيارونا أساليب القتال الجوية الاسرائيلية ، وطرق تسللهم من ثغرات دفاعنا الجوى .

١١ ــ ولقد قامت مقاتلاتنا بتوفير الحماية الجوية وتوفير الحماية لجيوشنا الميدانية ، ولم يكن ذلك ليثنيها عن واجبات الاستطلاع للكشف عن نوايا العدو وتحركاته ولقد سقط من طيارينا شهداء كانوا مثالا فى تأدية الواجب باستبسـال وشجاعة .

١٢ ــ وكانت حرب الاستنزاف فرصة ذهبية لتدريب موجهينا على اعتراض الطائرات المعادية وخلق أساليب التعود على التعاون بين الموجه والطيـــــار .

التطـــوير :

١٣ ــ تم التركيز على تطوير وســـائل السيطرة والاتصـــال والمعدات الالكترونية ، كما أدخلت تعديلات هندسية على بعض الطائرات لزيادة مداها وزيـــادة نقط تعليق الاسلحة بها لزيادة تسليحها ، وخاصة فى طائرات الهليكوبتر التى سلحت بالرشاشات ومعدات القاء القنابل بعد أن كانت وسيلة نقل فقط .

١٤ ــ كما استخدمت البالونات كسلاح سلبى للدفاع عن المطارات ضـــد الطيران المنخفض ، كما تم انتاج قنـــابل وذخائر ذات خـــواص جديدة بامكانيات محلية . وأدخلت تعديلات على طائرات الاستطلاع والاجهزة الملاحية فى بعض الطائرات واستحدثت وسائل جديدة للانذار الفورى عن الغـــارات المعادية فى المطارات وحتى مستوى الدشم .

الفصـــل الرابع

التجهيز الهندسى

عمـــل كبير :

١ ــ تميز التجهيز الهندسى للمعركة بضخامة العمـــل ، الامـــر الذى عجب الكثيرون له عندما أعلن أن ما استخدمناه من مواد للتحصينات فى القوات الجوية يفوق حجم الهرم الاكبر ثمان مرات . سواء فى ذلك دشم الطائرات أو ملاجىء المعدات الفنية أو الأفراد .

٢ ــ ولقـــد اثبت التصميم المصرى للدشم أنه تصميم متطور حيث استحدثت فيه طرق التخلص من غازات عوادم الطائرات ، وطرق فتح الابواب ، وتحصينات الاجناب ووسائل الاخفاء والتمويه . الامـــر الذى دعى سلطات حلف الاطلنطى الى الاخذ بهذه الأساليب بعد دراستها .

٣ — ولقد واكب عملية تحصين المطارات عمليات انشاء مطارات جديدة فى كل انحاء الجمهورية ســواء فى الصحراوات أو المزارع واستحدث انشاء ممرات مموهة فى القواعد الجوية الهامة . وفى كــل من هذه المطارات الجديدة ، تعددت صور الانشاءات بين دشم محصنة وممرات وسقيفة اخفاء ، ودشم ذخيرة ، ومراكز قيادة محصنة وملاجىء أفراد ودشم هيكلية ودشم للمعدات الفنية .

٤ — واقتضى ذلك كله استخدام ٢ مليون متر مكعب خرسانة مسلحة + مليون متر مكعب خرسانة غير مسلحة + ٢ مليون متر مكعب رمال وأتربة + ١٠٠ الف طن حديد + ٧٠٠ الف طن اسمنت .

أصلاح الممرات :

٥ — واوليت عناية خاصة لتطوير وسائل وتوفير معدات واصــلاح حفر الممرات ، وتدريب الأطقم العاملة فى هذا المجال على سرعة الاصلاح بوسائل مستحدثة . ومن أجل ذلك خصصت وحدات فى كــل مطار أو قاعــدة جوية لانجــاز سرعة الاصلاح باستخدام خلطات ساخنة ، مع التدريب على ازالة القنابل التى تسقط على الممرات .

ولقد اسفرت حرب اكتوبر عــن سلامة التصميمات الهندسية ، ودقتها ، وحسبنا أن كــل ما تساقط على مطاراتنا من قنابل لم يصب الا دشمة واحــدة باصابة جزئية . كما اثمرت خطط اصــلاح المطارات ولم يتعطل أى مطار أو قاعدة جوية رغم كثافة الغارات ما يزيد عن ست ساعات .

الفصــــل الخامس

الضربة الجوية المركزة

بدء القتال :

١ — كانت الضربة الجوية المركزة سعت ١٤٠٥ يوم ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ايذانا ببدء القتال ولقد كان نجاحها اعلانا بنجاح خطة المفاجئة المصرية وأسفرت عن افقــاد العــدو لتوازنه وافقــاد قواته لتوازنها الأمر الــذى جعلها تتخبط فى اتخــاذ القرارات . وبعد ست ساعات من بــدء القــتال اصبح مؤكدا ان النصر فى جانب العــرب .

٢ — ولاشك أن هذه النتائج تعكس تحضيرات كبيرة وكثيرة اقتضت كثيرا من الترتيب والحساب والتخطيط ، اذا ما علمنا أن الضربة نفذها ما يزيد عن ٢٠٠ طائرة، وانهاكلها عبرت خط الجبهة فى توقيت موحد ، وكان لكل منها وجهة لضرب هدف محدد .

تنفيذ الضربة :

٣ — طارت تشكيلات الطائرات المشتركة فى الضربة على ارتفاعات منخفضة جـــدا تكاد تلامس السد الترابى على جانبى القناة . واستخدمت فيها طائرات مـــن تشكيلات المقاتلات القاذفة والقاذفات المتوسطة تحت حماية المقاتلات . وبدأ التمهيد النيرانى للمدفعية بعد بدء الضربة الجوية بخمس دقائق ولذلك كان عودة الطائرات بعد قصف الاهداف مهمة صعبة ، أحسن التنسيق لها مع قيادة قوات الدفاع الجوى ، ذلك أن الوقت بين دور كل طائرة وأخرى عبر ممرات محددة للعودة لم يكن يتجاوز بضع ثوان .

٤ — النتيجة العامة للضربة أنها نجحت بنسبة ٩٨٪ حيث لم تفقد فيهـــا سوى خمس طائرات وكات نتائجها شـــل (٣) ممرات فى مطارات + شـــل (٣) ممرات فرعية + اسكات (١٢) مواقع صواريخ هوك + اسكات (٢) موقع مدفعية ميدان + تدمير

(٢) مركز قيادة رئيسى + اسكات (١) مركز ارسال رئيسى + تدمير (٢) موقع رادار + تدمير مركز الاعاقة والشوشرة الرئيسى .

٥ — وكانت نتيجة الضربة أن القيادة الاسرائيلية اضطرت لاستخدام مركز قيـــادة خلفى ، واصبح مركز الاعاقة والشوشرة الوحيد فى الجبهة فى العريش ، الأمـــر الذى أتاح لطائراتنا حـــرية العمل . واصـــاب التخبط والارتباك كـــل الاجهزة المعادية بعد أن اخذت تترنح تحت ضربات القوات المصرية المتتالية .

الفصل الســـادس

التشكيلات الجوية فى المعركة

١ — اشتركت كل التشكيلات الجوية فى المعركة ، وساندتها أجهزة القيادة والسيطرة والتأمين الفنى والادارى والهندسى بكفاءة منقطعة النظير .

دور المقـــاتلات :

٢ — أتخذت المقاتلات منذ اللحظات الأولى للمعركة أوضاع المظـــلات لحماية قواتنا البرية والاهداف الحيوية للدولة وتأمين العمل فى قواعدنا ومطاراتنا . واشتركت تشكيلات منها فى حماية الضربة الجوية المركزة وشاركت تشكيلات أخرى فى تنفيذ الضربة نفسها .

٣ — حققت التعاون مع وسائل الدفاع الجوى فى صد الاغارات المعادية ، وتمكنت من شل محاولات التسلل عبر جدار الصواريخ أو من حـــوله .

٤ — اشتبكت فى معارك جوية ناجحة مع طائرات العدو التى تسللت الى مطـــاراتنا ، والتى كثفت هجومها من أتجاه الشمال لمحاولة عزل مدينة بورسعيد . وكانت

هذه المعارك الجوية من الضراوة الى حد لم تعرفه الحروب الجوية من قبل اذا اشترك فى كثير منها ما يقرب من خمسين طائرة من كلا الطرفين ، ودام بعضها عشرات الدقائق .

٥ — حققت مقاتلاتنا الحماية وحرية العمل لقواتنا البرية فى أثناء عبور القناة واقتحام خط بارليف والتقدم فى سيناء ، وفى أثناء معارك المدرعات .

٦ — أثناء القتال غرب القناه نجحت مقاتلاتنا بالتعاون مع قوات الدفاع الجوى فى تماسك نظام الدفاع الجوى بالمنطقة . ولقد تمكنت من حرمان العدو من النجاح فى محاولة تدمير مطارين لنا قريبين من هذه المنطقة ✻

دور المقاتلات القاذفة :

٧ — وقع العبء الأكبر فى الضربة الجوية المركزة على تشكيلات المقاتلات القاذفة ، وأوقعت بالعدو افدح الخسائر .

٨ — حققت تعاونا ناجحا مع الجيوش البرية والقطع البحرية ، وتعاملت بشراسة مع مدرعات العدو ، بل واشتبكت بعضها مع مقاتلات العدو رغم أنها دونها تسليحا وسرعة . الأمر الذى جعل بعض المراقبين العسكريين فى ذهول من اسقاط أثنين من طيارى « الميج — ١٧ » لطائرات فانتوم وميراج اسرائيلية .

دور القاذفات :

٩ — اشتركت بعض قاذفاتنا التكتيكية فى الضربة الجوية المركزة وهاجمت قاذفاتنا الثقيلة مطارات جنوب سيناء وركزت قذائفها على المواقع الحصينة شرق بورفؤاد .

١٠ — كما اشتركت فى قصف احتياطيات العدو التعبوية واهدافه فى العمق ومراكز سيطرته الخلفية .

دور الهيليكوبتر :

١١ — استخدمت تشكيلات الهيليكوبتر بكثافة فى حرب اكتوبر كدرس مستفاد من حرب فيتنام ، ومن أجل ذلك سلحت الطائرات بقنابل وصواريخ وكان من ابرز مهامها ابرار مجموعات الاستطلاع خلف خطوط العدو والصاعقة فى العمق وابرار وحدات القوات الخاصة خلف خطوط الاعداء ثم مداومة امداد هذه القوات بالمؤن والعتاد.

١٢ — استطلاع وحدات العدو المدرعة والتعامل معها .

١٣ — امداد الجيش الثالث الميدانى شرق القناة باحتياجاته بعد حدوث الثغرة .

١٤ — تصحيح نيران المدفعية طوال ايام المعركة .

١٥ — الاشتراك فى عمليات قصف مستودعات بترول بلاعيم .

✻ يرجع الى تعليق الميجور ادجار أو بالانس ص ١٨٥ الذى يؤكد الدور الذى لعبته القوات الجوية أثناء القتال غرب القناة ضد القوات الاسرائيلية .

الفصل السابع

البطولات والدروس المستفادة

معدلات قياسية :

١ — اظهرت حرب أكتوبر المعدن الأصيل للجندى المصرى والضابط المصرى وخاصة الطيار المصرى، وكانت الشحنة المعنوية لدى جميع هؤلاء من منطلق ايمانهم العميق بعدالة قضيتهم . ولقد كانت المفاجأة الحقة لاسرائيل الاعمال الخارقة التى أتى بها طيارونا فى الجو ، والتى صنعها رجالنا على الارض مما حقق ارقاما قياسية بالنسبة للحروب العالمية فعلى سبيل المثال :

أ — كرر كثير من طيارينا الطلعات فى اليوم الواحد ست وسبع مرات .

ب — اشتراك آخرين فى القتال الجوى ، فى نفس يوم القفز بالمظلة .

ج — نجح بعض الطيارين فى اسقاط طائرتين معاديتين فى طلعه واحدة .

د — استطاع طيار من تشكيلات الهليكوبتر اسقاط فانتوم اسرائيلية .

هـ — حقق أثنان من طيارى الميج — ١٧ اسقاط فانتوم وميراج اسرائيلية .

و — حقق مهندسوا المطارات سرعة عالية فى اصلاح الممرات ، وردم الحفر وتطهيرها من القنابل بكفاءة مذهلة ، بحيث لم يتعطل مطار واحد اكثر من ست ساعات .

ز — واصل مهندسوا الطيران الليل بالنهار فى حماس منقطع النظير لاصلاح الطائرات ورفع كفاءتها بحيث لم تتعطل طلعات القتال فى أى وقت بسبب عدم صلاحية الطائرات .

ح — انخفض زمن اقلاع طائرات حالة الاستعداد الاولى الى دقيقتين .

ط — انخفض زمن اعادة الملء بالوقود والذخيرة للطائرة الواحدة الى (٦) دقائق بدلا من (٨) فى اسرائيل .

ى — بلغت كثافة القتال الجوى وضراوته أن بعض المعارك كان يشترك فيها بين ٥٠ ، ٧٠ طائرة من كلا الطرفين .

ك — دامت بعض الاشتباكات الجوية (٤٠) ، (٥٠) دقيقة رغم أن أطول المعارك الجوية لايزيد عن (١٠) دقائق .

ل — كان تدمير الهدف المعادى لايستلزم من الطيار غير هجمة واحدة او اثنتين ولايقتضى تمام التدمير ، تكرار الهجمات .

بطولات نادرة :

٢ — اثمرت الروح المعنوية العالية للمقاتلين ، عن فدائية منقطعة النظير ستظل مادة لدروس مستفادة للاجيال القادمة . واشترك فى نسج ملحمة البطولات الطيارون كنسور للجو والأطقم الجوية بين ملاح ومهندس وفنى . كما شاركت الأجهزة الأرضية بحماس فى ضرب أروع الأمثال سواء فى أعمال التوجيه أو المراقبة الجوية أو الادارة أو اصلاح الممرات أو اصلاح الطائرات .

دروس مستفادة :

٣ — ثقة الطيارين بأنفسهم جعلتهم يحققون ويتفوقون على المعدلات القياسية العالمية .

٤ — الروح المعنوية العالية كان لها اثرها لدى كل المقاتلين .

٥ — حقق مبدأ الحشد ، نجاح الضربة الجوية المركزة التى أفقدت العدو توازنه منذ اللحظات الأولى للقتال .

٦ — شل مراكز الاعاقة والقيادة والسيطرة الجوية للعدو أتاح الفرصة لطائراتنا أن تعمل بحرية .

٧ — حقق التعاون الفعال مع وسائل الدفاع الجوى تأمين وحماية القوات والاهداف الحيوية للدولة .

٨ — ثبت أنه يلزم الدول النامية التى لاتمتلك قاعدة صناعية حربية أن يكون لديها مخزون كاف من السلاح لمواصلة المعركة حتى لا تستطيع الدول الكبرى التحكم فى قرار مواصلة القتال .

الآثـــار العسكرية لحرب أكتوبر ١٩٧٣ على الوضع الاستراتيجى فى أوروبــا

جنرال / البرت ميرجلين

تعتبر الحرب التى نشأت فى أكتوبر ١٩٧٣ بين العرب واسرائيل . أول حـــرب تقليدية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية تستخدم فيها الوســـــائل الحديثة ، ويمكنها ، بل من المحتم أنها قد أثرت بالفعل على الوضع الاستراتيجى الراهـــن فى أوروبا .

والأحداث المميزة الغير متوقعة لهذه الحرب تتلخص فى الآتى :

- تحقيق عنصر المباغتة المصرية / السورية .
- قوة رد الفعل من جانب اسرائيل .
- الاستخدام المكثف للاسلحة الحديثة .
- فاعلية تكتيك القذائف المضادة للدبابات والصواريخ المضادة للطائرات .
- جسامة الخسائر المادية .

وكل عنصر من هذه العناصر يمكن أن يؤثر بشدة فى حالة قيام ايـــة مواجهـــة تقليدية فى أوربـــا .

وقبل ٦ أكتوبر ١٩٧٣ . كانت هناك أمثلة تاريخية عديدة تتعلق بشـــن هجوم مباغت على العدو ، نذكر منها ما حدث من جانب فرنسا فى مايو ١٩٤٠ ومـــن جانب الاتحاد السوفيتى فى يونيو ١٩٤١ والولايات المتحدة فى ديسمبر من نفس العام ، وكوريا فى يونيو ١٩٥٠ وتشكيوسلوفاكيا فى اغسطس ١٩٦٨ . ولكن الاتجاه العام كان يعزى هذه الأحداث للماضى ، ويسلم بالفكرة القائلة ان المباغتة العسكرية أصبحت مستحيلة فى عصرنا الذى يتميز باستخدام اسلحة بالغة التعقيد من الناحية الفنية .

وفى الحالة الخاصة لمسرح العمليات العربية / الاسرائيلية فى الشرق الاوسط — كان كافة الخبراء العسكرين والمسئولين السياسيين واثقين من أن العـــرب لن ينجحوا أبدا فى مباغتة الجيش الاسرائيلى وكانت الادلة المبررة لذلك وفيرة بل ومتنوعة .

فأولا كانت هناك ثقة بالغة فى أجهزة المخابرات الاسرائيلية التى كـــان يقال عنها أنها من أفضل أجهزة المخابرات فى العالم . خاصـــة وانه كـــان معلوما للجميع أن الاجهزة الامريكية الخاصة على صلة وثيقة بها .

ثم أن مناطق الاحتكاك الخطيرة ، والتى هى مراقبة باستمرار . تتميز بأبعادها الصغيرة بسبب كونها عبارة عن مساحة ١٥٠ كم طولا ، ٢٠ كم عرضا على الجبهة المصرية ، و٧٥ كم طولا و٣٠ كم عرضا على الجبة السورية يضاف الى ذلك أنهـــا

مناطق تسهل مراقبتها بالعين المجردة وبالطبع بواسطة الوسائل الالكترونية بسبب كونها مناطق منبسطة جرداء لاتكاد تكون مسكونة تسيطر عليها مرتفعات يحتلها الاسرائيليون وهى جبال سيناء وجبل الشيخ . فضلا عن هذا ، فقد كان باستطاعة طائرات الاستطلاع والاقمار الصناعية الاستطلاعية الامريكية أن تصور كل العمق فى المناطق العربية الخلفية .

ونادرا ما تجتمع مثل هذه الظروف الصالحة لمراقبة جبهات معادية . ولهذا بدا عنصر المباغتة مستبعدا خاصة وأن عائقا صناعيا من الصعب اجتيازه هو قناة السويس يحمى الخط الاسرائيلى الأول ويتيح مقاومة سهلة وفعالة .

ومن الناحية الدبلوماسية كانت الولايات المتحدة واثقة من انها تستطيع السيطرة على مصر ، مستندة فى ذلك الى حجج سياسية واقتصادية ونفسية .

وفى النهاية كان هناك اعتبار دينى يدعم مشاعر الاطمئنان التامة : الم يكن العالم الاسلامى يحتفل بشهر رمضان ، شهر الصوم الذى يقل فيه النشاط فى كافة المجالات .

ورغم كل هذا ، وأمام دهشة العالم كله كانت المفاجأة العربية فى الساعة الثانية من بعد ظهر يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، ولقد حدث ماكان غير متوقع ، على عكس التأكيدات المنافية من جانب كافة رجال السياسة والخبراء العسكرين والصحفيين والتخصصيين فى كافة البلاد وقد تخلصت اسرائيل بالكاد من هذه المباغتة ، كما يؤكد ذلك الارتباك الشديد والمخاوف التى سيطرت على هذا البلد فى الايام الاولى . فان المفاجأة التى زاد من خطورتها الاهمال والتردد ، هزت النفوس وفرضت على الاذهان هذه الحقيقة وهى أن المستحيل قد حدث : فقد عبرت الجيوش العربية قناة السويس واستولت على جبل الشيخ وأقتحمت المراكز الدفاعية فىالجولان.

وعندئذ حدثت الظاهرة الثانية المميزة لهذه الحرب : فقد نجحت الحكومة الاسرائيلية وقيادتها العليا فى خلال بضعة ايام — وان كان مقابل خسائر جسيمة — فى السيطرة على الموقف واستعادة المبادرة . وكانت هناك عوامل مساعدة فريدة فى نوعها ادت الى هذا التعديل الغريب فى الموقف فأولا كان ضيق مساحة البلد نفسه يسمح بتعبئة الوحدات المدرعة ووحدات المشاة الميكانيكية وتحركها السريع على الخطوط الداخلية ومن جانب آخر كانت توجد جماعة من الاحتياطى ذات مستوى عالى جدا من التعليم وبارعة للغاية ، وكانت تظهر فاعليتها بعد خدمة عسكرية اجبارية لمدة ثلاث سنوات تتبعها فترات طويلة من التدريب كل عام بهدف الحفاظ على مستوى الكفاءة وتحسينة .

واخيرا ، كانت هناك قيادة عليا واحدة ، مخولة بجميع السلطات ، تعطى الاوامر — بلا تردد ودون أن تضطر الى التشاور مع هيئات أخرى — الى جماعة من المواطنين يؤمنون بصحة قضيتهم وسمو مثلهم بفضل اعداد وطنى

مستمر ومكثف ، وأيضا بفضل جيش مقاتل مدرب ومزود جيدا بالمعدات الحربية تخصص اسرائيل لتسليحه نسبة ٣٣ ٪ من ميزانيتها السنوية وبنسبة ٢٥ \ من اجمالى انتاجها القومى .

وهكذا نجح الشعب الاسرائيلى وجيشه بعد المباغتة ، فى أن يرد بقوة وتماسك غريبين ، يندر أن نجد لهما فى التاريخ مثيلا . غيـــر ان ذلك يرجع الى ظروف خاصة واستثنائية للغاية .

وقد تميز القتال من الجانبين باستخدام مكثف للاسلحة ووســائل الحرب العصرية فى ميادين قتال سبق أن اشرنا الى مساحاتها الضئيلة .

واذا ما اضفنا جبهة سيناء الى جبهة الجولان — وكلاهما ذات عمق ضعيف — لوجدنا أن ما يقرب من ثلاثين فرقة عسكرية ولاسيما من المدرعات والمشـــاة الميكانيكية المزودة بأكثر من ٥٠٠٠ دبابة وآلاف من العربات المدرعة لنقل الجنود ومئات قطع المدفعية والهاون ، وآلاف القذائف المضادة للدبابات والمضـــادة للطائرات ومئات الصواريخ المضادة للطائرات ، ١٥٠٠ طائرة مقاتلة كل هذه الفرق بكل هذه المعدات تواجهت على مساحة تبلغ ٢٢٥ كم .

واذا ما اردنا أن نكون فكرة صحيحة عن الكميات الهائلة من الاسلحــــة الحديثة التى استخدمت فى ميدانى القتال المحدودى المساحة على ضفتى قناة السويس ومرتفعات الجولان ، فانه ينبغى أن نتذكر أن القوات المسلحـــة الفرنسيـــة لاتمتلك سوى ألف دبابة حديثة والف دبابة خفيفة ، ٥٠٠ طائـــرة مقاتلة ، وان كل ماتمتلك بريطانيا لايزيد عن ألف دبابة حديثـــة ، ٥٠٠ طائـــرة مقاتلة .

ولم يحدث أبدا منذ عام ١٩٤٥ أن اصطدمت مثل هذه الوحـــدات المدرعـــة والتشكيلات الجوية بمثل هـــذا العنف فى معـــارك لاتنتهى اســـتمرت أكثر من خمســـة عشر يوما .

والشىء الغريب هو أن القذائف الخفيفة المضادة للدبابات والصواريخ المضادة للطائرات قد اثبتت فاعليتها البالغة منذ الســـاعات الاولى للمعركة وكل هـــذه الاسلحة كانت معروفة قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣ وتم ادخـــالها الـــى المنظمـــات

---

* (١) ثبت انه لولا الدعم الامريكى المادى والمعنوى لاسرائيل منذ بداية عمليات اكتوبر ١٩٧٣ لتعرضت اسرائيل للهزيمة الساحقه التى ظهرت بوادرها فى الايام الاولى للعمليات .

(٢) لم تقم اسرائيل بمحاولة الاختراق غرب القناة الا بعد التأكد من وصول الامدادات بواسطة الجسر الجوى الامريكى وبالاعتماد على المعلومات التى وصلتهـا عـن طريق طـائرتى التجسس الامريكية (بلاك بيروس ر — ٧) يوم ١٣ اكتوبر — انظر بحث الميجور ادجاز أوبالانس—ص١٨١

العسكرية . وكما أثبتت المدافع الرشاشة البريطانية منذ الايام الاولى لحرب ١٩١٤ — ١٩١٨ أنها تعتبر السلاح الرئيسى فى المعركة البرية . فقد أثبتت القذائف الخفيفة والصواريخ قدرتها على التدمير منذ ٦ أكتوبر ١٩٧٣ . اذ نجحت فى خلال الاربع والعشرين ساعة الاولى فى اسقاط ٤٠ طائرة اسرائيلية وتدمير اكثر من ٢٠٠ دبابة اسرائيلية .

وفى ظرف اسبوعين ، فقدت اسرائيل نصف مدرعاتها « وغالبيتها من القذائف » وربع قواتها الجوية (وخاصة من الصواريخ) ، وهذه الحقائق والارقام انما تشير الى الاهمية الكبرى لهذه الاسلحة وللمباغتة باستخدامها المكثف . ويعتبر هذا حدثا عسكريا من شأنه أن يضعف من دور التشكيلات المدرعة والجوية التقليدية وان يؤكد ضرورة اعادة النظر فى امكانياتها فى المعركة الجوية البرية الحديثة التقليدية .

وفيما عدا هذه المفاجأة الفنية والتكتيكية للقذائف والصواريخ ، فان حرب أكتوبر قد أظهرت أيضا براعة الاسلحة والمعدات السوفييتية ، سواء كان الامر يتعلق بدبابات ت — ٦٢ عيار ١١٥ مم ، أو بالجسور المتحركة ووسائل العبور السريعة أو المدفع المضادة للطرئرات ذات المواسير المزدوجة أو الرباعية من عيار ٢٣ مم ، أو بقطع المدفعية والهاون والوسائل الالكترونية المختلفة بكل انواعها .

وان البساطة النسبية فى تشغيل هذه المعدات قد سمحت للجيوش الفتيه المصرية والسورية بالاستفادة منها الى أقصى مدى ، بفضل التعليم والتدريب وايضا بفضل روح معنوية قتالية أضافت مفاجأة جديدة الى كل تلك التى قدمتها هذه الحرب غير المتوقعة .

وليس بغريب فى هذه الظروف — التى تميزت بوفرة الاسلحة الحديثة وكثرة وعنف المعارك ان تكون الخسائر فى المعدات جسيمة للغاية . ولكن الميكنة العامة للوحدات قد سمحت بالتقليل نسبيا من الخسائر فى الارواح ورغم ذلك فقد بلغ عدد القتلى والجرحى من العسكريين خلال تلك الفترة القصيرة أكثر من ١٠٠٫٠٠٠ قتيل وجريح . الا أن تدمير أكثر من ٢١٠٠ دبابة واسقاط مايقرب من ٥٠٠ طائرة ، اى مايعادل بالترتيب خمس وثلث الوسائل المستخدمة انما يظهر الى أى مدى تؤدى المعركة الحديثة الى تدمير المعدات . ولهذا شعر الطرفان بحاجتهما الملحة الى استكمال معداتهما عن طريق المساعدة الخارجية السوفيتية والامريكية .

ولقد انتهى العهد الذى كان يمكن الاعتقاد فيه أن الحرب الحديثة التقليدية يمكنها أن تمتد لفترة طويلة من الوقت ، على حساب أن وصول الامدادات البشرية والتدعيم المادى يستغرق شهورا .

كل ما أشير اليه هو فى رأينا أهم مميزات تلك الحرب غير المتوقعة التى نشبت فى أكتوبر ١٩٧٣ •

فما هو أثرها على الوضع الاستراتيجى فى أوروبا ، اننى أعتقد — على عكس الرأى المسلم به عامة — أن هذه الاثار سوف تكون بالغة الاهمية . فان حرب أكتوبر ١٩٧٣ هذه تحتوى أكثر من أى حرب أخرى منذ ١٩٤٥ ، على دروس وموضوعات صالحة للتأمل واعادة التنظيم يمكن أن تستفيد منها دول حلف شمال الاطلنطى وجيوشه .

والمعروف أن الاستراتيجية الدفاعية لحلف الاطلنطى فى أوروبا قائمة على فكرة المهلة التى توفرها وسائل الانذار المبكر ،بمعنى انه قبل قيام اية مواجهة مسلحة ، يتم انذار الجيوش الغربية واعدادها وتدعيمها . ويؤيد هذا الاعتقاد الاساسى عدد كبير من الامكانيات الفنية ابتداء من الاقمار الصناعية الخاصة بالمراقبة الى أجهزة التصنت الالكترونية .

ولكن أثبتت حرب أكتوبر ١٩٧٣ مدى خطأ هذا التصور . ولاسيما فى أوروبا حيث المناطق التى ينبغى مراقبتها أوسع بكثير وتغطيها الغابات وتتناثر عليها المناطق السكنية الكبرى ، علاوة على ما تتميز به هذه القارة من ظروف جوية غير صالحة ، وظروف سياسية ونفسية أكثر تعقيدا بكثير من تلك التى تسود فى الشرق الاوسط .

وان الاعتقاد أن الوحدات الكبرى الموجودة على بعد مسافات هائلة من الجبهة يمكنها أن تلحق بقوات حلف الاطلنطى فى حالة شن هجوم مضاد ، لهو اعتقاد وهمى فان تقدم هذه الوحدات العسكرية البرية الاتية من المناطق الخلفية البعيدة وسط حركة مرور ملايين العربات المدنية سوف يكون بطيئا وعسيرا للغاية ، ويكفى أن نتذكر الازدحام الشديد فى المدن الاوروبية الكبرى أثناء العودة من الاجازات .

وفى نفس الوقت فان قيام الاصدقاء بشن هجوم مضاد يعتمد على المدرعات والطيران سوف يتعرض لابشع الاخطار أمام عدو مزود بعدد وفير من القذائف الخفيفة المضادة للدبابات والصواريخ المضادة للطائرات ، وهى أسلحة أكثر اتقانا بلاشك من تلك التى كادت أن تلحق الهزيمة بالجيش الاسرائيلى .

لاسيما وأن رد الفعل الغربى لن تكون له وحدانية رد الفعل الاسرائيلى وسرعته حيث أن المشاورات الاولية بين عدة حكومات والقرارات التى ينبغى اتخاذها فى لجان عسكرية مختلفة سوف تتطلب وقتا طويلا وتؤدى الى حلول وسط غير كافية فى وقت الازمات . كما أنه لن تكون لدى وحدات القتال الورقة الرابحة التى تضمنها خدمة عسكرية طويلة وتوافر أحدث الاسلحة والمعدات . ويرجع هذا الى القيود المفروضة على الميزانية نتيجة للازمة الاقتصادية العامة .

ولذلك فان سعة مسرح العمليات ، وانقطاع جميع طرق الاتصال وتشتت الوحدات القائمة فى وقت السلم ، كل هذا لن يسمح على الاطلاق بتحرك سريع لقوات الاحتياط ولا بتوازن القوى التى ساعدت الظروف اسرائيل على تحقيقهما فى سيناء والجولان .

واذا كان الهجوم المباغت الذى شنته الجيوش المصرية والسورية لم ينجح تماما ، فانما يرجع هذا الى عدم المهارة التى لها مايبررها لهذه الجيوش الفتية التى لم يتم تنظيما ولم تزود بالمعدات والتكتيكات الحديثة الا منذ وقت قصير ✻ . وسوف يكون من قبيل الخطأ الجسيم توقع حدوث نقط الضعف هذه فى جيوش حلف وارسوا . ولنذكر الهجمات الكبيرة التى شنها السوفييت الذين تغلغلوا فى خلال بضعة أيام الى عمق مئات الكيلو مترات داخل الجبهات الالمانية الحصينة فيما بين ١٩٤٣ — ١٩٤٥ .

والقوات المدرعة والجوية والمشاة الميكانيكية للكتلة الشرقية معروفة فان حلف وارسو يستعد فى شمال ووسط أوروبا بسبعين فرقة عسكرية ، و ٢٠٠٠٠ دبابة و ٤٣٥٠ طائرة مقاتلة ، فى مقابل ٢٥ فرقة عسكرية و ٧٠٠٠ دبابة و ٢٠٣٠ طائرة مقاتلة لحلف الاطلنطى ، يضاف الى ذلك الميزة التى يتمتع بها حلف وارسو فيما يتعلق بتوحيد نمط المعدات وجهة التموين ، ووحدة العقيدة والقيادة المباشرة الواحدة .

وان تهيئة هذه الجماعة المسلحة فى الحال يعتبر عاملا حاسما عند اندلاع أى قتال . وقد أظهرت حرب اكتوبر مدى السرعة التى يمكن أن توضع بها قوات مسلحة هائلة فى حالة استعداد ومدى القوة التى يمكنها أن تقاتل بها نهارا وليلا وذلك يعتبر الدليل على تجدد امكانية تحقيق « الحرب الخاطفة » .

ولكن مع هذا التعديل الاساسى وهو ان تعاون الدبابة مع الطائرة ليس قادرا فقط على مباغتة حدود ليست فى حالة استعداد ، واقتحام اعماقها البعيدة ، ولكن ايضا الاحتفاظ بهذه الميزات ضد العمليات التى تقوم بها الدبابات والطائرات المعادية فى آن واحد ، وذلك بفضل القذائف الخفيفة المضادة للدبابات والصواريخ المضادة للطائرات .

لقد اظهرت حرب اكتوبر — على عكس ماكان يعتقد الكثير من الخبراء العسكريين — أنه يمكن شن هجوم مباغت بالوسائل القديمة (الدبابة والطائرة) ، ولكنهاأثبتت أيضا انه يمكن التوقى من أى رد فعل بفضل الوسائل الجديدة (القذائفوالصواريخ) .

✻ ان ماتحقق فى المجال العسكرى بما ترتب عليه من نتائج سياسية وعسكرية قد تم بالقوات المسلحة العربية فى مواجهة عدو متفوق فى مجالى الطيران والمدرعات ويتلقى دعما من قوة عظمى .

ولاحباط مثل هذا الهجوم ، فانه ينبغى ان يقوم الطرف الذى يدافع عن نفسه باعادة تنظيم عميقة ، بان يشكل فى الخط الاول منطقة الوحدات تكون فى حالة استعداد دائم وتعتمد أساسا على القذائف الخفيفة المضادة للدبابات التى تغطيها الصواريخ المضادة للطائرات ، كما ينبغى أن يكون الاحتياطى من المدرعات للتدخل المباشر ضد الثغرات التى يحدثها العدو على مقربة من هذا الشريط الدفاعى الحصين ، هذا فى حين تقوم التشكيلات الدفاعية المكلفة بالعمليات والموزعة على المنطقة بحراسة المناطق الخلفية .

ان جسامة الخسائر المادية التى اسفرت عنها حرب اكتوبر ١٩٧٣ ينبغى ان تثير الانتباه الى هذا الخطر الذى يتمثل فى التقليل من عدد القوات واذا كان الجانب الشرقى يستطيع استكمالها سريعا بفضل الطرق البرية وسكك الحديد الموجودة فى القارة والتى تعتبر قصيرة نسبيا ، فانه يبدو واضحا بالنسبة للجانب الغربى ان الطرق الجوية والبحرية ابتداء من الولايات المتحدة الامريكية تعتبر بعيدة ، الامر الذى يمثل صعوبة بالغة ومخالفا لما يحدث فى الجانب الآخر وبالتالى فانه فى غير صالح الجانب الغربى بالمرة . وهذا المظهر الخاص بالتموين يعتبر عاملا حيويا آخر أوضحته حرب اكتوبر لسنة ١٩٧٣ .

ولكل هذه الاسباب التى عرضناها باختصار ، يبدو من المحتم ان هذه الحرب العربية الاسرائيلية ستكون لها آثار هامة على الوضع الاستراتيجى فى اوروبا فيما يتعلق بحلف الاطلنطى .

وان الرغبة فى استبعاد هذه الاسباب بالقول ان الشرق الاوسط ليس هو أوروبا ، وان أى حرب مسلحة فيها ستكون مختلفة عن ذلك تماما سوف يعنى الوقوع من جديد فى نفس خطأ القيادة العليا الفرنسية فى الفترة من ١٩٣٩ — ١٩٤٠ بعد الانتصار الالمانى الخاطف فى بولندا . واذا ما أجرينا تحليلا واضحا للعوامل المميزة لهذه الحملة وهى قدرة التشكيلات المدرعة التى يدعمها الطيران على احداث الثغرات وسرعة المناورات الواسعة المرنة بهدف التطويق . وقد ظنت القيادة الفرنسية انه اذا كانت الحملة قد نجحت ضد الجيش البولندى فانها لن تكون ذات فاعلية ضد الجيش الفرنسى . غير ان تطبيق المانيا لنفس المبادىء بعد ذلك بثمانية شهور قد مكنها من القضاء على القوى والنظريات الفرنيسية فى خلال ستة أسابيع .

ومن المؤكد ان الازمة الاقتصادية الحادثة فى الوقت الراهن لاتساعد على زيادة الاعتمادات العسكرية او اطالة مدة الخدمة العسكرية فى الدول الاعضاء فى حلف الاطلنطى . الامر الذى يدعو بالاحرى الى اعادة النظر فى الوضع الاستراتيجى وفى النظريات الحالية ، واعادة تنظيم كلمنها وفقا للعوامل المميزة وغير المتوقعة التى ظهرت فى اثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

فكم من مئات القذائف الخفيفة المضادة للدبابات يمكن الحصول عليهـــا بثمن دبابة واحدة ؟

وقد يبدو غريبا أن نطيل الحديث عن الحرب ونحن فى أوج عهـــد « الوفاق » الدولى . ولكن ألا يتمثل دور الخبير المفكر العسكرى فى دراسة الحقائق والافكار ، واعطـــاء نفس الاهمية لـــكافة الاحتمالات والنيات ؟ أن الوضـــع الاســـتراتيجى الراهن فى أوروبا تسيطر عليه الحالة التى عرضناها ويجدر أن يتم الاستنتاج ابتداء من هذه الحقائق .

ومن الخطورة بمكان عدم مواجهة الاحداث . لقد بينت حرب أكتوبر مرة أخرى الاهمية القاطعة فى حياة الشعوب للمباغتة غير المتوقعة . ويعتبر يوم ٦ أكتوبر يوما حاسما فى التاريخ العالمى بالنسبة للنصف الثانى من القرن العشرين ، اذا كان الفاتحة لعهد جديد سياسى واقتصادى ومعنوى ومن المحتم أن يؤثر ذلك بشدة على الوضـــع الاستراتجيى فى أوروبا . وهذا الاستنتاج هو الذى يبرر — فى مجـــال خاص — العناية والاهتمام الذى يجدر أن يتناول بها رجال السياســـــة والجنود والمفكرون فى العالم أجمع ، دراسة موضوع هذه الحرب ، حرب أكتوبر لعام ١٩٧٣ .

الدروس العسكرية المستفادة من حــرب أكتوبر
الجنرال البرت ميرجلين

ظهرت حقيقتان عسكريتان أساسيتان نتيجة للحرب الاسرائيلية العربية الرابعة ، اكتوبر عــام ١٩٧٣ النتيجة الاولى : الفاعليــة غير المتوقعــة للصواريخ المضــادة للدبابات والطائرات والثانية : القيــام بهجوم مفاجيء شــامل نجح نجاحــا لايصدقه العقل . وكان هذين العــاملين هما الأسباب الرئيسية للتحطيم المدهش للعتــاد فى وقت قصير جــدا ، وهى أسباب مــن المحتمــل ان تغير بشكل فعــال مــن توازن القوى فى الشرق الاوسط وفى أوربا وكذلك فى المسارح المحتملة للعمــليات العسكرية وخصوصا الصـــين .

الصـــواريخ والحرب :

عرفت الصواريخ المضادة للدبابات والمضادة للطائرات قبــل حــرب اكتوبــر وأدخلت فى المؤسسات العسكريةبالضبط كما أخــذت المــدافع الرشــاشة فى الاعتبار قبل الحرب العــالمية الاولى وأصبحت المــدافع الآلية فجأة السلاح الرئيسى فىالمعارك البرية فى صيف عــام ١٩١٤ وقــد كانت القدرة التخريبية للصــواريخ جــديرة بالمشــاهــدة عندمــا استخدمت بأعداد كبيرة فى حرب اكتوبر عــام ١٩٧٣ .

وبطبيعــة الحال قــد اثبتت الصواريخ المضادة للطائرات فاعليتهــا فى سماء فيتنام الشمالية ــ حيث كــانت اختبارا كبيرا للحالة النفسيــة وتكتيكات وتكنولوجيا سلاح الطيران الامريكى ــ ولكن وقع الصواريخ المضادة للطائرات كان لايزال فى حاجة الى اثبات نفسه فى المعارك البرية ؛ وقــد جاءت هــذه التجربة متمثلة فى حـــرب أكتوبر ذات التأثــير المــدهش .

وفى خــلال اسبوعين خسرت اسرائيل نصف قواتهــا المدرعــة بسبب هذه الصواريخ وربع ســلاحها الجوى (الجزء الاكبر أيضا بسبب الصــواريخ) وهــذه حقائق وأرقام تحدد الاهمية الدقيقــة لكل من الصواريخ المضــادة للدبابات والمضادة للطائرات وعنصر المفاجأة .

ويمكن تلخيص الدروس المستفادة من الصواريخ كما يلى :

يمكن استخدام الصواريخ المضادة للطائرات والصــواريخ المضــادة للدبابات بأعــداد كبيرة ويكون لهــا تأثير حاسم فى المعارك البرية فى كل من العمليات الدفاعية والهجومية . وبمقارنتها بالدبابات والعربات المدرعــة مــن كل الانواع فى معــارك أرضية وكذا القاذفات وطائرات الاستطلاع والهليكوبتر فان الصواريخ من الســهل نقلهــا وتدريب الافراد على استخدامها . وهى خصائص تضيف الى فاعليتها الهائلة ضــد الخصم المتفوق فى الدبابات والطائرات .

ويمكن التوصـــل الى ذلك بتكاليف أقل نسبيا فانه يمكن شراء حـــوالى ست عشرة من قاذفات الصـــواريخ وثمانين صـــاروخا بنفس الثمن الذى يدفع حـــاليا فى شراء دبابـــة واحـــدة .

وهـــذا الدرس المستمد مـــن الاحـــداث القريبة المتعلقة بالمعارك ذات الطابع التقليدى يمكن تطبيقه بحذر على أنواع أخرى مـــن الصراع المسلح .

ففى الحـــرب ذات الطبيعة المخـــربة أو التى يشـــنها الثـــوار والتى تغطى مساحات كبيرة يمكن استخدام الصواريخ المضادة للدبابات بدقة لتدمـــير مـــواقع القيادة ومراكز الاتصال ومخازن العتاد والآليات الثابتة أو الرابضـــة والمنـــاطق الصنـــاعيـــة . ويمكن لجماعـــات صغيرة مجهزة بمثل هذه الصـــواريخ أن تتسلل الى مناطق خلفيـــة وتحرز اصـــابات مباشرة بتوجيه صواريخها بأدنى مخـــاطرة بأرواحهم بسبب طول مـــدى اطلاق النار .

ومرة أخرى — عند دخول معـــركة فى العمق حيث يكون انتشار التشكيلات واسعا وسريع الحركة فان واحدات الصواريخ المضادة للدبابات ستجد اهدافا ذات قيمة لتقوم بضربها بدقة والتى يتطلب تدميرها بطريقة أخرى نيران مدفعية مركزة أو عدد كبير أو غير معقول من طلعات الطيران . وتستطيع الصواريخ الخفيفة المضـــادة للطائرات وفى نفس الظروف أن تحرز نتائج لـــم تكن متوقعة قبـــل حرب اكتوبر ضد الطائرات وطائرات الهليكوبتر . وهكذا تصل الى انه فى العمليات الحربية بين القوات النظامية يتضح أن الصواريخ تدعم قدرة الدفاع أكثر من تدعيمها للهجوم — ولكن فى العمليات الغير نظامية والعمليات التى يقوم بهـــا الثوار فأنها تساعد فى تقـــوية التأثير ضـــد السلطات التى غالبا ما يكون لديها الكثير الذى يمكن أن تفقـــدة وان تحميه .

فاذا أدت الاسلحة الجديدة الى تقوية المدافع فى معركة تقليدية حيث تكون كل الاشياء الاخرى متساوية — الا أن الدروس المستخلصة من حرب اكتـــوبر تمشى فى نفس الخط مع أمثلة تاريخية كثيرة (فرنسا عـــام ١٩٤٠ — روسيا وهاواى عـــام ١٩٤١ — كوريا ١٩٥٠ وتشيكوسلوفاكيا ١٩٦٨) فحتى فى الوقت الحاضر ليس هناك ما يضمن النجاح ضـــد هجمة شـــاملة مفاجئة تأتى من جانب عدو اعد نفسه جيدا من قبل . فان ثراء وتعقد المسالك لنواياه الخفية والصعوبات التى تواجـــه الفـــرد فى تفسيرها — وآثار المناورات الدبلوماســـية والسيكولوجية والضغوط الاقتصادية علـــى رد الفعـــل تجاه كل تهديد يحتمل الاخطاء فى التقدير — كل هـــذه العـــوامل تتحدد لتخلق غموضا لا يمكن كشفه حتى أن مفاجأة مثـــل التى اصـــابت كـــلا من جهاز المخابرات والحكومتين الاسرائيلية والامريكية يجب أن تكون محتملة الوقـــوع دائمـــا .

عدم توازن عسكرى جديد :

ان هذين الدرسين العسكرين الأساسيين فى الشرق الاوسط (الصواريخ وعنصر المفاجأة) سيكونان فى غير مصلحة اسرائيل وفى صالح مبادرات الحرب التى يقوم بها العرب فالصواريخ تقلل من مزايا الورق الذى تلعب به قوات الدفاع الاسرائيلية وهى المدرعات والطائرات .

ويستطيع العرب لتفوقهم الديموغرافى (عدد السكان) أن يحشدوا ويجندوا عددا كبيرا من المقاتلين المجهزين بالصواريخ وهذا سيعيق بشكل خطير قدرة عمل الجماعات الاسرائيلية المتفوقة فى الطائرات والدبابات .

ويمكن للجيوش العربية الحصول على عدد هائل من الصواريخ وأن تدرب الأفراد عليها بسرعة . وربما يستطيعون فى المستقبل القريب أن يصنعوا تلك الاسلحة بما أنها سهلة من الناحية التكنولوجية وسهلة فى التخزين والحمل ولو أنه مازالت هناك حدودا لفوائدها فى الهجوم ، فان الصواريخ وحدها لا تعد بديلا لخليط من الدبابات والصواريخ فى الهجمة ، الا أن قوتها فى حرب الخنادق تجعلها تستطيع أن تشكل حرب استنزاف تكون أساسا فى مصلحة العرب بتفوقهم العددى .

ويزيد من قيمة هذا المقابل للتفوق الاسرائيلى التقليدى الاحتمال الدائم لعنصر المفاجأة الاستراتيجية والتكتيكية طالما أن العرب — على عكس الاسرائيليين — لديهم حرية الحركة السياسية والتى تسهل عليهم شن الهجوم . وحتى يتم تحرير كل الأراضى العربية المحتلة تماما وعلاوة على ذلك — وحتى تجد المشكلة الفلسطينية حلا معقولا — فان الحكومات العربية المعنية لديها قضية شرعية قوية وعذر سيكولوجى فى الالتجاء الى هذا العمل . ولن يمثل وجود قوات الامم المتحدة أو المراقبين أية عقبة بل يمكن أن تستخدم كتمويه . وان قوة الجدال الاقتصادى العربى المتعلق بالبترول ستؤدى الى تهدئة أى رد فعل أوروبى أو يابانى أو حتى امريكى طالما ان وجود اسرائيل ليس فى خطر .

وبذلك يبدو أن اسرائيل لم تعد فى وضع سياسى يمكنها من القيام بمبادرة عسكرية مشابهة . وتنقصها الدوافع والتبريرات التى لدى الدول العربية والتأييد الدبلوماسى الكامل تقريبا الذى تلقاه افعالهم .

ولذا فان اسرائيل تعتمد تماما على الاعم وعرضه للضغوط التى قد تمارسها الولايات المتحدة .

لقد قلبت حرب اكتوبر ميزان القوى فى الشرق الاوسط ولا يعنى ذلك الكثير بالنسبة للميزان العددى للجيوش ومعداتها بالقدر الذى تمثل فى قيمتها النسبية واختيار وحرية الحركة امام الخصمين .

وستكتسب هذه الملاحظة معنى جديدا اذا ظهر احتمال استخدام صواريـــــخ متوسطة المـــدى كمـــا هو محتمـــل الحـــدوث بعـــد نجاح الصواريخ الخفيفـــة ،

وهذه الصواريخ ليست مضادة للدبابات والطائرات بل انها صواريخ أرض أرض مثل «اونست جون » و «سارجنت» و «بير وشنج » الامريكية أو (فروج) و (سكود) الروسية . وتستخدم لتدمير اهـــداف بشرية أو ماديـــة كبيرة ولديها القـــدرة على قذف رؤوس نووية أو شديدة الانفجار على بعد مئات الاميال . وان وضع اسرائيـــــل الجغرافى ــ برقعتها الصغيرة الكثيفة فى عدد السكان ، محاطة من كل الجهاتبدول عربية كبيرة واهدافها الحيوية موزعة على مساحات متباعدة ــ لقيد خطير لاسرائيل وميزة لاعدائهـــا . وحقيقة بالنسبة لمصر فان وجود الصاروخ متوسط المدى يعتبـــر الى حد كبير قوة رادعة لمنع السلاح الجوى الاسرائيلى منضربالقاهرة أوالاسكندرية التى لاتغطيها شبكة صواريخ مضادة للطائرات مثل منطقة قناة السويس وبالرغم من ذلك فالمرجع الاخير هو أن التفوق الكبير فى عـــدد السكان لـــدى العرب سيجعلهم يتحملون خسائر أكبر بكثير فى الارواح من اسرائيـــل .

وان استخدام الصواريخ سيجعل وقف الملاحة اكثر سهولة فى كل من مضايق تيران وعند مدخل خليج العقبة ومضايق باب المندب عند المنافذ الجنوبية للبحـــــر الاحمـــــر .

فـــاذا أصبحت الضفـــة الغربية وغزة دولة فلسطينية فانها قد تصبح قواعد للعمل داخل اسرائيل وبذلك تضع كل مناطقها الحيوية بدون استثناء ضمن نطـــاق مرمى الصواريخ المتوسطة ، وان هذا الاعتبار العسكرى النابع من حرب أكتوبر هو أحد الاسباب لرفض اسرائيل قبول قيام مثل هذه الدولة حتى تضمن وجودهـــا على اســـاس أمن دائـــم * .

وينتج عن هذه الملاحظات احتمال محاولة الدول العربية تجهيز نفسهـــا بسلاح قوى من صواريخ « أرض/أرض» بينما اسرائيل تملك فعلا هذه الاسلحة ويجب أن نضع فى الاعتبار ايضا الخطوة التالية وهى الاسلحة النووية . ** وقد اثبتت الهند ان الدولة اذا ما امتلكت مفاعلات نووية فانه يصبح بامكانها تصنيع اسلحة نووية . ومن المحتمل ان اسرائيل لديها فعلا اسلحة نووية . ولكى تحصل مصر على مثـــل هذه الاسلحة فان ذلك يتطلب وقتا طويلا بالتأكيد . وانه لا يمكن نهائيا استبعاد احتمال أن تصبح كل من مصر واسرائيل عرضة لهجمة نووية ولهذا فان عامل الردع المتبادل هو العامل الذى سيكون له اليد العليا .

---

* لانغفل الحقوق الشرعية للشعب الفلسطينى .

** أرجع الى التعليق على بحث دكتور برانجر ، دكتور تاهتين عن « التركة النووية لحرب اكتوبر ١٩٧٣ فى الشرق الاوسط ــ ص ١٩٩ » .

فاذا سارت التطورات وفقا لهذه الخطوط فانه من الصعب تقدير الكيفية التى ستسعى بها القوتان العظميان ــ كل منها تؤيد أحد طرفى الصراع ــ الى التأثير أو التدخل. ويعتبر أحد الدروس العسكرية الثانوية المستمدة من حرب اكتوبر ــ وهى صراع محلى تقلدى تدعمها الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ــ هو أن القوى الصغرى ــ العرب بالتأكيد ــ مازالو يحتفظون بحرية المناورة أكثر مما يتمناه لهم معضدوهم ، ويبدو أن مصر وسوريا قد قررتا شن هجوم شامل خلافا لرغبات حليفهم السوفيتى . ومن ناحية أخرى فبمجرد ابتداء المعركة شعر المعسكران بحاجتهم الماسة الى العون المادى من القوة التى تعضدهم وان معدلات التدمير العالية جدا فى ساحة المعركة تزيد الحاجة الى امدادات جديدة من الأسلحة والذخائر . وما هو أكثر أهمية حاجتهم الى اجهزة واسلحة جديدة فى مقابل التجديدات التى ادخلتها التكنولوجيا على ما يستخدمه العدو ، كل ذلك يدفع دول الشرق الاوسط الى الاعتماد فى كل جهدها الحربى على دعم الدول الصناعية الكبرى ، ويجب الا يظن لهذه الاسباب أن حظرا بسيطا على هذه المعونة الخارجية قد يضطر تلك الدول ان تمتنع عن كل الاعمال الحربية .

أن تصنيع الاسلحة والذخيرة محليا والاحتياطى الكبير المتراكم حاليا سيمكن القتال من أن يستمر على نطاق اقل ، وقد تكون حربا اقل حداثة . باعتبار الاسلحة الثقيلة ولكن من المحتمل أن يكون بنفس القوة وأكثر تدميرا اذا ما اخذنا فى الاعتبار العدد الكبير من المحاربين المشتركين .

وستحتفظ اسرائيل بالتفوق من الناحية الفنية وذلك يرجع الى صناعة الاسلحة الحديثة فيها ولكن بأمكان العرب أن يلقوا فى المعركة بأعداد كبيرة جدا من الجنود الفلاحين المتعصبين . وان أحد الدروس الثانوية المستمدة من حرب أكتوبر هى أن قيمة جنود وضباط الميدان العربى قد ارتفعت بشكل ملحوظ سواء من الناحية النفسية أو ناحية قدرتهم على استخدام الاسلحة المعقدة التركيب .

وبناء على ذلك توضح التجربة الحديثة أن بامكان القوى العظمى ارسال امدادات مناسبة الى الدول الصغيرة المشتركة فى عمليات برية وجوية فعالة ــ فرغم ان المناطق التى تجرى فيها المعركة محدودة ــ يجب التأكيد على الخسائر الجسيمة التى تنتج عن الحرب الحديثة والهجومية . ففى غضون ثمانية عشر يوما قتل وجرح مايقرب من ١٠٠٫٠٠٠ جندى وضابط وأسر حوالى ٩٫٠٠٠ ودمرت حوالى ٢٫٠٠٠ دبابة و٥٠٠ طائرة .

وبوجه عام فقد غيرت الدول العربية ميزان الشرق الاوسط بحدة واستعادت الشرف العسكرى العربى . وسيقوم القادة العرب الآن وبالتأكيد بتقييم أسباب أوجه التقصير والفشل بدقة خلال الحرب وسيستخلصون النتائج بأنفسهم وسيعيدون

تقييم كل من الهجوم الشديد على جبهة الجولان السورية والسكون المترقب فى شرق قنــاة السويس فى ٦ أكتوبر وحتى ١٤ أكتوبر ١٩٧٣ *

وقد كان من الممكن استعادة الأراضى المحتلة لو كانت هناك قيــادة عليا أكثر حيوية وخيالاً** ، وتحرك أكبر فى الوحدات الاساسية وانتشارا أكثر سرعــة ومرونة للصواريخ المضادة للطائرات واستخدام حاذق لغطاء الصــواريخ المضــادة للدبابات ضـــد الهجمات الاسرائيلية المضـــادة .

ومن المتوقع أن يستخلص كلا المعسكرين الدروس الاستراتيجية والتكتيكية من حرب أكتوبر . ولكن من المحتمل أن يستفيد العرب أكثر من هذه الدروس فقد كانت القوات المسلحة الاسرائيلية على درجة عالية جدا من الكفاءة العسكرية وأن العرب الذين قد شجع شعوبهم الانتصار الأول ولديهم عدد من الجنود يبلغ عشرة أضعاف عدد جنود العدو وهم الذين يطبقون التقدم الفنى السوفيتى فى تسهيل اســتخدام الصواريخ والحرب الالكترونية لديهم مجال اوسع لتحسين آدائهم العسكرى العام .

دروس لأوروبــا :

أن الدرس المستفاد من حرب أكتوبر بالنسبة لأوروبا هو أنه اذا قامت حــرب تقليدية فى المستقبل القريب . فانها ستمضى ضـــد حلف الاطلنطى . وأن العاملين الأساسيين وهما عنصر المفاجأة والصواريخ يعتبران عنصرين ايجابيين فى صالح دول حلف وارسو ومن غير المتصور فى الوقت الحالى وفى السباق السياسى والسيكولوجى الحالى — وفى ضوء مؤسسات الغرب العسكرية ووسائله المادية الموجودة — أن يقوم الغرب بمبادرة القيام بهجوم ضد الشرق ؛ بل ان العكس هو الممكن ، ويرجع ذلك الى مركزية الكتلة الشرقية وهيكلهــا العســكرى وقواعدهــا الادارية وقــواتهــا المسلحة التى تقوى وتزداد فى عددها باستمرار . فيجب أن يؤخذ احتمال قيام هجوم

---

* (١) لم يكن سكونا مترقبا ، وانما كانت هذه الفترة فترة عمليات نشطة استمرت خلالها الهجمات والضربات المضادة الاسرائيلية مع استكمال تعزيز وتحسين أوضاع القوات المصرية شرق القناة واستنزاف قوات العدو باحداث أكبر قدر من الخسائر بها واعادة تجميع القــوات وتهيئــة الظروف المناسبة لتطوير الهجوم فى العمق .

(٢) ومن الخطأ أن نعتقد — كما فعل كتاب كثيرون — بأن فترة من الهدوء قد سادت جبهة سينــاء فى الايام الخمسة التى تلت الفشل الاسرائيلى فى ٨ أكتوبر فقد كان القتال شبه متواصــل ، اذ استمر المصريون فى الضغط لتحسين وتعميق رأس الجسر المصرى كما أن الاسرائيلين شنــوا عددا من الهجمات المضادة بالسرايا والكتائب والالوية لمنع المصريين من أى تقدم رئيسى ، وهكذا لم تكن هناك فترة هدوء على عكس ماقيل بعد الحرب — كولونيل لويفرديبوى فى بحثه «تحليل عسكرى لحرب أكتوبر ص . » .

** لم يكن الهدف الاساسى هو تحرير الإراضى المحتلة بكاملها (أنظر تحليل الفريق اول محمــد الجمسى للاستراتيجية العسكرية لحرب أكتوبر ١٩٧٣ ص ٢٧ .

مفاجىء شامل مأخذ الجد وأن الاعتماد على فترة انذار تقدر من خمسة الى عشرة أيام لنشر تشكيلات كبيرة ولاستدعاء الاحتياطى واتخاذ اجراءات الدفاع المدنى ولتلقى التعزيزات من الدول المجاورة أو من عبر الاطلنطى يبدو أمرا غاية فى التفاؤل اذا لم يكن خداعا للنفس ويرجع ذلك الى كسل العقل أو عدم الرغبة او عدم القدرة على التصرف .

وهذه هى الحالة على وجه الخصوص فيما يتعلق بحلف الاطلنطى الذى لايمكن أن يعتمد على « نوع رد الفعل الاسرائيلى » المتمثل فى تجاوب حكومة واحدة سريعة الحركة وقيادة عليا واحدة مستعدة للعمل بمجرد اصدار الاوامر والاحتياطى الذى استغرقت تدريباته ما يزيد عن ثلاثين شهرا من الخدمة العسكرية وحضور فصول دراسية تنشيطية لمدة شهر أو شهرين وهذه التدريبات قائمة على أرض صغيرة وعلىالخطوط الداخلية لمواصلات أفضل من مثيلتها التى يمتلكها العدو .

فاذا حدث اليوم هجوم مفاجىء فان الهجوم الغربى الرئيسى المضاد سيقوم أساسا على الوحدات المدرعة وطائرات الهجوم الارضى . وسيكون العدد الكبير والمستوى العالى لقوات الصواريخ المضادة للدبابات والمضادة للطائرات التابعة لقوات حلف وارسو كفيلا بالقضاء على القوات المدرعة والجوية المعادية فى مهدها . وبسبب المعدل الكبير للخسائر المادية والبشرية فى المعركة سيكون للميزات الاولية التى سيحصل عليها المعتدى الذى يملك اكثر من ضعف عدد الطائرات والدبابات والهليكوبتر والمدفعية ووسائل الدفاع الجوى — أهمية كبرى وربما حاسمة . فقد تصل التعزيزات وقوات الاحتياطى بسرعة وبأعداد هائلة برا من الاتحاد السوفييتى اسرع منها بالبحر والجو من الولايات المتحدة . ويجب الا تخفى كفاءة الجسر الجوى الامريكى الى الشرق الاوسط حقيقة أن حجم الامدادات المحمولة — وتقدر بـ ٢٣٫٠٠٠ طن فى خمسة عشر يوما — ستكون ضئيلة نسبيا لمسارح العمليات الحربية التى تتعدى الـ ١٨٠ ك . م فى قناة السويس والـ ٧٥ ك . م فى الجولان وهى جبهات تشترك فيها مجموعات متعددة من الجيوش ، او اذا تعرض الجسر الجوى الى هجمات جوية أو للصواريخ من جانب عدو قوى .

ويمكن لهجوم تقليدى مفاجىء شامل من الشرق الى الغرب فى الظروف الحالية أن يحقق أهدافه فى وقت قصير جدا لدرجة استبعاد التدخل السياسى ويجعل التهديد بحرب نووية موضع شك أو غير مجدى . فاذا لم يرغب الغرب فى أن يعلق استقلاله ووجوده على الحرب النووية الشاملة كورقة وحيدة وهى الوسيلة الوحيدة الفعالة المتبقية للمقاومة فأن الدروس المستخلصة من حرب اكتوبر يجب ان تحثه على تطوير قواته الدفاعية باعطاء الاولوية للصواريخ الخفيفة المضادة للدبابات والطائرات فان تكاليفها البسيطة بالمقارنة بتكاليف الدبابات والطائرات وسهولة استعمالها قد

تجعل من الممكن تجهيز عدد كبير من الجـنود الذين ينتشرون فى العمق على مساحات كبيرة من الارض سيكون باستطاعتهم أن يوقفوا آليات العـدو بدون أن يشـكلواهم انفسهم اهدفا نووية مناسبة . وبطبيعة الحـال يجب أن يـكون لدى الجنـود ارادة الحرب التى كانت لدى العرب والاسرائيليين فى حرب أكتوبر وتستطيع الاسلحـة الجديدة أن تحسن المقدرة النسبية لدفاع حلف الاطلنطى فقط اذا كانت هناك قوات تقليدية كافية وليس هذا هو الحال اليوم .

وبالنسبة لدولة عظمى مثل الصين بعدد سكانها الذى لايمكن أن يحصىوصناعاتها الموزعة على الضواحى فان اثبات كفاءة الصواريخ الخفيفة المضادةللدبابات والطائرات يعتبر درسا هاما . ففى مواجهة عدو نو مقدرة صناعية عالية مسلح بطائرات ودبابات متقدمة جدا يبدو أن المضاد الامثل هـو استخدام عدد كبير جدا من المقاتلات المجهزة بالمدافع الرشاشة والصواريخ افضل من فرق مدرعة باهظـة وتشكيلات هجوميـة جوية تستغرق وقتا فى التشكيل وتهزم بسرعة وتقدم فى حد ذاتها أهدافا نووية مثالية. وقد تخاطر القوات السوفيتية المحدودة العدد بخطر الغرق على أيدى الصينيين الذين يتحولون بأسلحتهم البسيطة ولكن ذات الكفاءة جنبا الى جنب مع عقيدة قـوميـة وحربية عليا الى منافسين متوحشين فى حرب تقليدية وان عددا كبيرا منهم قد يبقى على قيـد الحيـاة بعـد اى هجـوم نووى .

نظرية الامن الاسرائيلى

اللواء / ابراهيم فؤاد نصـــــار

لقد تصايحت اسرائيل بما اسمته نظرية الامن الاسرائيلى وسنستعرض معـــا مفهوم الامن طبقا لقواعد القانون الدولى الذى يحكم عالمنا المعاصر ، ومفهوم اسرائيل للامن وركائز نظريتها فى هذا الخصوص وآثار حرب أكتوبر عليها لكشف حقيقة نواياها من هذه النظرية التى تتبناها وتتصـــايح بهـــا وتتباكى عليهـــا ، ولنصـــل معـــا الى الدرب الذى يوصلنا لطريق السلام والامن فى منطقة الشرق الاوسط بما له من اهمية بالغـــة ليس على سكان المنطقة فحسب وانما على العالم اجمع .

من المقرر طبقا لقواعد القانون الدولى أن مفهوم الامن القومى للدولة هـــــو المحافظة على سيادة الدولة عن طريق المحافظة على استقلالها الداخلى والخارجى . كما انه من المقرر ايضا انه ليس من حق اية دولة اللجوء الى استخدام حقوق غير مشروعة مثل العدوان أو التهديد أو ضم الاراضى بالقوة أو التصرف بالمخالفة لارادة الجماعة الدولية .

ولكن للامن فى اسرائيل مفهوما مختلفا يعكس الهـــدف الســـياسى الذى تعمل اسرائيل على تحقيقه وهو فرص وجـــود دولة عنصرية فى منطقة الشـــرق الاوســـط داخل الحـــــدود التى يمكن التوسع اليهـــا بحيث تتمكـــــن من الســـيطرة على المنطقة سياسيا واقتصاديا واجتماعيـــا ويكون لهـــا بذلك كلمة مسموعة فى العالم.

وأدارت اسرائيل صراعها مع العرب منذ نشأتها لتحقيق هذا الهـــدف واضعة اهدافا مرحلية طبقا لما يمكنها تحقيقه فى كل مرحلة .

وجاءت نظرية أمن اسرائيل ومتطلباتها صياغة من قادتها لتكون ساترا لتحقيق الأهداف السياسية غير المشروعة ... ووسيلة لخداع الراى العام العالمى ... ولبث القناعة لدى الشعب فى اسرائيل لتقبل دولة الحرب ومغامراتها .

وأصبحت الركائز الاساسية لنظرية الأمن الاسرائيلى هى :

أولا : الحـــدود الآمنـــة .

ثانيا : امتلاك القوة المسلحة واستخدامها للـــردع وشـــن الحـــرب الوقائية .

ثالثا : الارتباط الاستراتيجى بقوة دولية تكفل لها ولأهدافها التأمين والحماية .

وقد كان من أهداف حرب أكتوبر ١٩٧٣ تعرية نظـــرية الأمن الاســـرائيلية وكشفها عن طريق عمل عسكرى والحاق أكبر قدر من الخسائر باسرائيل واقناعها بأن مواصلة احتلال الاراضى يفرض عليها ثمنـــا لا تستطيع قبوله وان الردع السياسى والنفسى والعسكرى ليست دروعا مـــن الفولاذ يحميهـــا الآن أو فى المستقبل .

وسأعرض الركائز الثلاثة سالفة الذكر وآثار حرب أكتوبر عليها :

أولا : الحـــدود الآمنة :

لقد تعمد قادة اسرائيل أن يغفلوا أى ذكر لشكلها الجغرافى وحدودها فجاء اعلانهم لمولد الدولة خلوا من ذكر حدودها أو شكلها الجغرافى .. ونادى أول رئيس لوزرائها بأن حدود اسرائيل تكون حيث يقف جنودها وللحقيقة وللتاريخ يعلم العالم أجمع أن حكومات اسرائيل رفضت حدودا ، رفضت حدود قـرار التقسيم ، وحاولت رفض حدود ما قبل عدوانها عام ١٩٥٦ واليـوم تعلن عن رفضـــها لحدود ما قبل عدوانهــا عــام ١٩٦٧ ، ولكن أيا من حـــكومات اسرائيل التى توالت منذ انشائها لم تذكر اين حدود الدولة .

ويعلن قادة اسرائيل عن حاجة دولتهم الى حدود آمنة والحدود الآمنة كمـا يصفونها هى حدود تستند على موانع طبيعية تمكن من الدفاع عنها والانطلاق منها للهجوم وهى دائما حدود تقع خارج الاراضى التى تسيطر عليها اسرائيل ، ودائما داخل حدود الدولة العربية المجاورة .

ومنذ نشأت اسرائيل وهى تتوسع بالقــوة على حساب الدول العربيـة تقتطع منهـــا أجزاء تلو الأخرى .

- ففى عام ١٩٤٨ زادت اسرائيل من مساحة الاراضى التى قامت عليها طبقا لقـرار التقسيم من ٥ر٥٦ ٪ من مساحة فلسطين الكلية الى ٤ر٧٧٪ .
- وفى عام ١٩٥٦ أعلن بن جوريون رئيس الوزراء وقتئذ أمام الكنيست ضم شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة الى اسرائيل .
- وفى عام ١٩٦٧ استولت اسرائيل على أجزاء من أراضى ثلاث دول عربية مجاورة لها ونادت بأن ما احتلته من أراضى يشكل ضرورة أمن لها وعبر موشى ديان وزير دفاعها عن ذلك فى ١٩٦٧/٦/١٢ بقوله (من كان يحلم منذ أسبوع مضى بأمن هكذا أو بحدود كهذه .)

ولكى تبـــرر اسرائيل هدفها فى التوسع تركز على ابراز معنى تعرضها داخل الحدود التى تقف عليها وحاجة أمنها الى مد سيطرتها الى اراضى الدول العربية المجاورة فتذكر على سبيل المثـــال .

- أن المدفعية العربية من حدودها الشرقية قادرة على اصـابة مدنهـــا الرئيسـيـة
- وأن المرتفعات السورية تسيطر نيرانها على مستعمرات الجولة وشمال اسرئيل.
- وشريان الملاحة الرئيسى فى البحر الاحمر يمر من ايلات على خليج العقبة .. وشرم الشيخ هى التى تتحـــكم فى خـــليج العقبة . ان مطالب الحدود الآمنة من الناحيـة الجغرافية هو الساتر لتحقيق التوسع بالاستيلاء على مزيد من أراضى فلسطين والدول العـــربية . ولن يكون غريبا ــ طبقـــا لهذا المفهـــوم الاسرائيلى ان تحسب اسرائيل مـــدى تعرضهـــا للصـــواريخ أرض / أرض أو سرعـــة

وصول الطائرات النفاثة الحديثة من اى مكان داخل اراضى الدول العربية الى مدنها — أن تطالب اسرائيل بضم هذه الاراضى اليها لتكون ضمن الحدود التى تكفل أمنها .

وهذا التصور الاسرائيلى يعيد الى الاذهان نظريات الحدود الطبيعية والمجال الحيوى وحقوق الغزاة التى استخدمت فى الماضى لتبرير التوسع والاستعمار ، والتى قادت العالم الى حروب محلية وعالمية دامية عانت منها البشرية حتى اسقطتها وانهت بذلك شريعة الغاب .

واسقطت حرب اكتوبر /خرافة الأمن الجغرافى للحدود ، فقبل اكتوبر ١٩٧٣ حققت اسرائيل انتصارات عسكرية من تلك الحدود التى أدعت انها غير آمنة ، وفى أكتوبر ١٩٧٣ هزمت من الخطوط التى تصورتها غاية الأمن .

- فقناة السويس كمانع مائى فريد بما أقيم عليه من تحصينات وموانع تمثلت فى خط بارليف لم يقف حائلا دون تحطيمه واختراقه والاستيلاء عليه .
- وقطعت الملاحة الى ميناء ايلات عبر البحر الاحمر من مسافة بعيدة عن شرم الشيخ التى احتلتها اسرائيل لتتحكم فى خليج العقبة .

ان المفهوم الاسرائيلى للحدود الآمنة ينبع أساسا من فكر توسعى عدوانى ولايمكن تطبيقه أن يقف عند حد ، ولن يكون الا عاملا للتوتو والصدام المستمر فى هذه المنطقة .

وقد حان الوقت لكى يقتنع قادة اسرائيل بعد ان وصل العالم كله الى نفس التقدير منذ زمن طويل وبعد معاناة دامية بأن ربط الأمن بالارض أمر عقيم ، وان التوسع الجغرافى لا يمكن ان يهزم التاريخ ، وأن الأمن لا يتحقق داخل المكان مهما دعمته القوة ، والأمن الدائم والحقيقى والنهائى هو الشرعية فى علاقات المجموعات البشرية وليس اسطورة تفرض بالقوة .

ثانيا : امتلاك القوة المسلحة واستخدامها للردع وشن الحرب الوقائية :

ان القوة المسلحة امتلاكها واستخدامها هو حجر الزاوية فى نظرية الأمن الاسرائيلى . فقد نشأت اسرائيل وتوسعت بالقوة المسلحة ، وحددت هدفها الاستراتيجى العسكرى فى الاحتفاظ بتفوق عسكرى على الدول العربية يمكنها من فرض أهدافها التوسعية بالقوة ومن حماية أمنها بالردع .

ولتحقيق هذا الهدف أصبحت اسرائيل منذ نشأتها دولة الحرب بكل ما تعنيه هذه الكلمة من توجيه موارد الدولة البشرية والاقتصادية والمعنوية لخدمة فكرة الحرب ، ولتأكيد دور القوة العسكرية فى تحقيق هدفها السياسى .

والردع يعنى من وجهة نظر اسرائيل ان تعيش فى حالة استعداد عسكرى دائم تجعلها قلعة عسكرية دائمة ، وان تمارس مخاطرات عسكرية مستمرة

ضد الدول العربية المحيطة بهابين الحين والآخر ــ تستعرض بها قوتها وتحتفظ بحدودها ساخنة متوترة ــ ذلك هو مفهوم الردع الاسرائيلى يهدف الى خلق مجتمع متوتر يعيش فى خطر بما يطوعه لتقبل دولة الحرب وهدف التوسع طلبا لأمن لا يتحقق أبدا ، والى ترسيخ هالة التفوق العسكرى الاسرائيلى وبث اليأس فى نفوس العرب .

والحرب الوقائية مبدأ تعتنقه اسرائيل لتوجه الضربة الاولى ــ كما تدعى ــ الى خصم كاد أن يبدأ بالهجوم أو أتم الاستعداد له معتمدة بذلك على أجهزة مخابراتها التى تقيم لها وزنا اكثر من حقيقتها .

وهكذا تعيش اسرائيل تفتعل التوتر بالردع ثم تشن حرب عدوانية تدعى أنها حربا وقائية ضد ردود الفعل المحتملة وبكليهما الردع والحرب الوقائية تصورت انها قادرة على ان تحقق هدف التوسع الى مالا نهاية وان تحشد طاقات شعبها وراء هذا الهدف ، وأن تثبت اليأس وروح الهزيمة فى نفوس العرب.

ويوضح عرض سريع لدور القوات الاسرائيلية واستخدامها منذ نشأت الدولة الحقائق الآتية :

- هى قوة توسعية تعتمد على العناصر الهجومية أساسا وتعتنق العمل التعرضى ونقل المعارك الى خارج حدودها أسلوبا لتحقيق مهامها .
- وهى تستخدم الضربات الانتقامية الخاطفة لمحاولة تحقيق مهمة الردع وترسيخ فكرة التفوق وبث اليأس فى نفوس العرب .
- وهى فى الحروب الشاملة بينها وبين أى من الدول العربية تستغل الظروف الدولية والمحلية لتحقيق نصرا رخيصا فى وقت سريع متجنبة المواجهة العسكرية المباشرة مع القوات العربية المسلحة .
- وتحيط اسرائيل قواتها المسلحة وقدراتها العسكرية بهالة تستهدف الردع بتجسيم نتائج عملياتها وباستعراض عملياتها الخاصة والانتقامية .

ودون تقليل من شأن اسرائيل وقواتها المسلحة فان الحقيقة الواضحة هى أن اسرائيل استغلت من الظروف الدولية والمحلية ما تمكنت به من قبل اكتوبر ١٩٧٣ من أن تحقق نجاحات عسكرية تتجاوز كثيرا القدرة الحقيقية لهذه القوات . وقد رسخت نتائج عمليات ١٩٦٧ لدى اسرائيل والعالم دور القوة المسلحة الاسرائيلية المتفوقة والرادعة ووصل الغرور الاسرائيلى الى أقصى مداه ــ ضد كل حقائق التاريخ والواقع ــ حتى اقتنع قادتها بأنها تملك التفوق المطلق الذى لا سبيل للعرب الا الاستسلام لشروط اسرائيل ، واعتقدت لذلك انها قد حققت شرطا من شروط أمنها فهل تحقق ؟

ــ هل أمنت جبهتها الداخلية ؟

— وهل أمنت اراضى الدول العربية التى احتلتها ؟

— وهل أمنت قواتها على خطوط وقف اطلاق النار ؟

— ثم أخيرا هل نجحت فى أن تبث اليأس فى نفوس العرب وأن ترسخ فى نفوسهم خرافة تفوقها المطلق .

لقد هزمت اسرائيل عسكريا فى حرب أكتوبر ، وفشل جهاز مخابراتها فى انذارها كما فشل نظام تعبئتها فى تهيئة ظروف مناسبة لحرب وقائية ، وسقطت خرافة القوة والردع واليد الطويلة فى أول حرب فرضت فيها على اسرائيل مواجهة عسكرية حقيقية .

أن التخطيط المصرى للحرب وادارتها نجح فى تجاوز قدرات اسرائيل وطاقاتها العسكرية بتجميد نقاط تفوقها وبفرض ظروف غير مواتية لها .

- فتمت مفاجأة كاملة لاسرائيل استراتيجيا وتكتيكيا .
- وهوجمت على جبهات متسعة (كبدتها الكثير من التضحيات) .
- وفرض عليها القتال المباشر .
- واستمر القتال الى فترة زمنية تتجاوز طاقتها البشرية والاقتصادية على الاستمرار. وسقطت خرافة القوة ودولة الحرب ووقفت عارية تكشف عن حجمها الحقيقى . فهل استوعبت الدرس ؟

ومهما كانت الحدود ، ومهما كانت القوة ومهما كان المجتمعقلعة عسكرية — فانه مع الاهداف غير المشروعة — عليه أن يخوض الحرب تلو الحرب ليدافع عما اغتصب ضد ارادة ثابتة مطلقة هى حق العرب فى أراضيهم وحريتهم . فهل هذا أمن ؟

الارتباط الاستراتيجى بقوة دولية تكفل لها التأييد والحماية :

لقد وضعت اسرائيل لنفسها أهدافا استراتيجية تحتاج الى قدرات تعجز عن توفيرها امكانياتها الذاتية . ولذا وضعت ارتباطها بقوة دولية جزءا من نظرية أمنها تحرص على الاحتفاظ باستمراره بأى ثمن . وهى فى ذلك تستغل متغيرات العلاقات الدولية ومراحل الصراع الدولى لتخلق ارتباطا بينهما وبين اى من القوة الدولية . ولقد نجحت اسرائيل فى ذلك حتى أكتوبر ١٩٧٣ .

وبهذا الارتباط الاستراتيجى عجزت قرارات الأمم المتحدة عن أن تجد من ينفذها لصالح شعب فلسطين أو العرب داخل اسرائيل — وحصلت اسرائيل على أحدث الاسلحة ومعدات القتال . وعاشت بانتصارها العاجز على المعونات الاقتصادية الأجنبية .

وقضت عمليات أكتوبر ١٩٧٣ على فكرة أن الصراع الاسرائيلى يمكن أن يستمر وأن يؤمن مصالح الدول الكبرى فى المنطقة مع تأييدها لاسرائيل . أو أن

يستمر المجتمع الدولى فى تمتعه بخيرات العــرب متجاهلا مسئوليتــه تجاه حقوق العــرب .

الخــلاصــة :

١ — أن نظرية الامن الاسرائيلية لم تكن سوى صياغة لاهدافها فى التوسع وسيادة المنطقــة .

٢ — ان نجاح اسرائيل حتى أكتوبر ١٩٧٣ فى ممارسة تطبيق هذه النظرية اعتمد على توفر عوامل طارئة ومصطنعة مكنت اسرائيل من هذا النجاح .

٣ — أن عمليــات أكتــوبر ١٩٧٣ هدمت هذه النظــرية وأثبتت استحالة تحقيق أهداف اسرائيل السياسيــة غير المشروعــة . كمــا أثبتت أن الامن لايمكن أن يتوفر لاسرائيل الا فى ظل العــدل وتحقيق الاهداف العــربية المشروعــة فى تحرير الأراضى المحتلة واستعادة حقوق شعب فلسطين .

٤ — أنــه مضى منذ أكتوبر ١٩٧٣ العهد الذى كانت اسرائيل فيــه قــادرة على اصطناع الظروف المواتيــة لتحقيق أهدافها .

٥ — أن الامــــة العربيــة اذ تتطلع الى ارســاء أسس ســلام عادل ودائم فى المنطقــة لتعرف بوضوح أهدافها فى هذا المجــال ومن ثــم فانه يتحتم على الطــرف الآخــر أن ينظــر نظرة واقعيــة للأمور مؤداهــا أن تحقيق الأمن الذاتى وضمان هذا الامن مستقبلا لا يتأتى بالانتقاص من أمن الآخرين . وأن الأمن الذى يتجاهل الواقع هو أمن مسلح فقط .

٦ — واذا كان « بن جوريون » قد نادى بأنه بالــدم والنــار سقطت اليهوديــة وبالدم والنــار ســوف تعــود من جــديد فانه قــد لخص مشكلة الأمــن الاسرائيلى من وجهــة نظــر اسرائيل . ولابــد بعــد الآن من اضــافة أنه بالدم والنــار فقــد الاسرائيليون ومازالوا يفقدون أغلى أمانى الحيـــاة الانسانيــة وهو الشعــور بالأمن والثقــة فى المستقبل ولذا فاننــا نطــرح السؤال التــالى :

هل التوسع الجغرافى والردع والحــرب الوقائية هى عنــاصر الأمن الحقيقية هــل يجــوز أن تقر النظرية المبنية على أن التوســع هــدف والعــدوان وســيلة والحــرب اســلوب وفوضى الأمر الواقع حــل ؟

٧ — أمــا نحــن فمن حقنــا أن نحــرر أرضنــا المغتصبة . ومــن العــدل أن تستعــاد حقوق شعب فلسطين .

٨ — واننى لواثق من خــلال متابعتكم الواعيــة لسير الامــور فى منطقتنــا أن تكونوا متفقين معنــا على أن استرجاع الارض المغتصبة واستعــادة حقوق شعب فلسطين انمــا يمثلان مفتــاح السلام والأمن فى المنطقــة .

نظــرية الامن القومى الاسرائيلى

اللــواء الركن المتقاعد / يوسف كعوش

أولا : خلفيــة تاريخيــة

طــروء اليهــود على فلسطين :

ان العلاقــة التاريخية للعبرانيين الاوائل (أو الاسرائيليين) بفلسطين ليست مبنية علــى حق التولد والتملك — كمـا هــى الحــال بالنسبة لعــرب فلسطين — ولكنهــا مبنية على أســاس الاحتــلال عــن طريق الغــزو ، ولا يعــرف الا القليل عن مــدة هــذا الاحتــلال . وهذا وصف موجز عن ذلك* .

١ — غزت قبيلة ســامية الشــاطىء الشرقى للبحــر الابيض المتوسط فى العصر الألفى الثانى قبل الميــلاد 2 nd. MILLENTUMB S

وعــرف أفرادها بالعبرانيين ، واخيرا بالاسرائيليين ، حيث ادعــوا أنهــم من ســلالة ابراهيم من حفيــدة يعقــوب المعروف أيضا باسم اسرائيل .

٢ — هاجروا الى مصر وقــاد خروجهم منهــا النبى موسى .

٣ — حــوالى ســنة ١١٠٠ قبل الميــلاد كانــوا قــد فتحوا معظم المنــاطق الجبليــة فى فلسطين بالوحشيــة المعروفة عن جميع الفاتحين الأوائل .

٤ — ســاد بينهم الكثير من الفــرقة حتى معــاداة الفلسطينيين — ســكان البلاد الأصليين — الذى أدى بهم الى التماسك وتأسيس مملكــة ، قــامت أولا تحت الملك داوود (١٠١٠ — ٩٧٠ ق.م) وبعــده تحت الملك سليمــان (٩٧٠ — ٩٣٠ ق.م) الذى عمــل على توسيع مملكتــه ، ولكن وفــاته كانت ايذانــا بانحطاط العبرانيين .

٥ — وحالا انقسمت مملكــة سليمان الى مملكتين كانتــا تحــارب بعضهما أحيانا ففى الشــمال مملكــة اسرائيل مركزة فى منطقــة السامرة ، وفى الجنــوب مملكة يهوذا مركزة فى منطقة القدس .

٦ — بين عامى ٧٢١و ٧١٥ ق.م ضمت المملكــة الشمــالية الى الامبراطــورية الاشــورية واعترفت المملكــة الجنوبية بسيادة الاشوريين .

٧ — فى ســنة ٥٨٥ ق.م استولى نبوخذ نصر امبراطــور بابل على القــدس وأخــذ عــددا كبيرا من ســكانها أسرى الى بابل .

* Bittr, Harvest — by Sami Hadawi ‘ p. 38 - 39

٨ — فى سنة ٥٣٩ ق.م استولى الفرس على بابل بقيادة قورش الذى أعاد اليهود الى فلسطين ، فرجع منهم حوالى ٤٠٫٠٠٠ ألفا ، وفضل القسم الاكبر من اليهود البقاء فى بابل ،

٩ — تاريخ اليهود المدون تحت الحكم الفارسى غامض .

١٠ — اعتبارا من سنة ٣٣٢ ق.م اصبحت فلسطين جزءا من امبراطورية الاسكندر الاكبر وخلفائه من بعده .

١١ — عندما حاول اليونانيون فرض آلهتهم ثار العبرانيون ، ومنذ حوالى سنة ١٥٠ ق.م فيما بعد استعادوا معظم البلاد التى كان قد حكمها الملك سليمان .

١٢ — وفى سنة ٦٣ ق.م اقتحم القائد الرومانى بومبى مدينة القدس واصبحت فلسطين منذ ذلك الوقت مقاطعة رومانية . وحدثت فيها عدة ثورات ، ولكن فى سنة ١٣٥ بعد الميلاد وضع الرومان نهاية اليهود فى فلسطين بتدمير القدس .

هذه هى علاقة العبرانيين أو الاسرائيليين بفلسطين فى أحسن حالاتها. طراوا عليها وعاشوا فيها فترة قصيرة ، غير مستقرة ومتقطعة ، بائدة منذ مدة طويلة لا أساس لها سوى الغزو . وليست هناك أية علاقة قومية أو عرقية بين الاسرائيليين الذين كانوا منذ ٤٠٠٠ سنة وبين اسرائيل اليوم من يهود روسيا وبولونيا وأمريكا وأوروبا .

ذكر المؤرخ البريطانى ويلز مايلى * : « ومهما يكن من أمر فأنهم لم يفتحوا الا منطقة التلول الداخلية فى أرض الميصاد ، ولم يزيدوا عليها شيئا ، فأن الساحل فى ذلك الاوان لم يكن فى أيدى الكنعانيين ، بل فى أيدى قوم وافدين من الخارج ، هم اولئك الشعوب الايجبية الذين يسمون بالفلسطينيين ، وقد استطاعت مدنهم مثل غزة وجات وأشدود وعسقلان ويافا ، أن تصمد لهجوم العبرانيين ، وظل اسباط ابراهام اجيالا عديدة شعبا مغمورا يعيش فى منطقة التلال الخلفية ، مشغولا بمناوشات لانهاية لها مع الفلسطينيين وذوى قرباهم من القبائل النازلة حولهم ، وهم المؤابيون واهل مدين ومن اليهم ، وسيجد القارىء فى سفر القضاة سجلا سطر كفاحهم وما اصابهم من نكبات ابان تلك الفترة ، ذلك انك تجده فى الاغلب سجلا من النكبات والاخفاقات التى دونت بصراحة .

---

* A short History of the world — By H. G. Wells

يبدو أن عقدة عدم الشعور بالأمن لازمت الاسرائيليين منذ طروئهم على فلسطين فى الالف الثانى قبل الميلاد ، مما دعاهم الى الاستقرار فى المناطق الجبلية لكونهم معتدين على املاك غيرهم وأراضيهم ، ولازمهم هذا الشعور وهم يعيشون فى الغيتو * Ghetto بسبب شرورهم ونقمتهم على الانسانية والمجتمعات. ويقول منوهين ** الصهيونية السياسية فى نشأتها الحديثة كانت من صنع يهود روسيا ، وبلدان شرق أوربا وأواسطها وجنوبها مثل بولندا ، وهنغاريا ودول البلقان ، وكان اليهود يعيشون فى تلك البلدان فى عزلة تامة فى الغيتو وحياة الغيتو هذه خلقت فى يهود شرق أوربا عقلية مريضة سببها طول ما عانى اليهود هناك من اضطهاد وبؤس . وفى حياة الغيتو تلك وتحت مؤثرات العقلية المريضة نشأ زعماء الصهيونية السياسية من عقلية القرن العشرين ، أمثال : هرتزل — وايزمان — احادهاعام — دافيد بن غوريون — موسى شاريت — مناجم بيجتن — وغيرهم كثيرون .

هؤلاء هم الذين خططوا لاقامة اسرائيل ابتداء من المؤتمر الصهيونى الاول الذى عقد فى بال بسويسرا برئاسة هرتزل ، الى الحصول على وعد بلفور فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ ، ثم العمل فى ظل الانتداب البريطانى على فلسطين ، الى ان قامت دولة اسرائيل يوم ١٤ مايو ١٩٤٨ ، ووضعوا ونفذوا خطط الهجرة اليهودية الى فلسطين ،وخططوا الاستراتيجية ونظرية الامن القومى منذ المؤتمر الصهيونى الاول حتى اعلان قيام دولة اسرائيل ، ومن ثم تطوير نظرية الأمن القومى بعد ذلك فى ضوء الظروف المحلية والدولية .

ثانيا : ظل الانتداب البريطانى

احتلت الجيوش البريطانية فلسطين عام ١٩١٧ أثناء الحرب العالمية الاولى ، وبمساعدة الصهيونية العالمية صارت بريطانيا هى الدولة المنتدبة رسميا على فلسطين بتفويض من عصبة الامم اعتبارا من عام ١٩٢٢ ، وعينت بريطانيا السير هيربرت صموئيل البريطانى اليهودى أول مندوب سام على فلسطين ، واخذت حكومة الانتداب تعمل على تنفيذ وعد بلفور لاقامة وطن قومى لليهود، بتسهيل هجرتهم اليها وامتلاك الاراضى وغير ذلك .

قام عرب فلسطين بعدة ثورات لدرء خطر اغتصاب بلادهم ، كان اشهرها ثورات ١٩٢٢ ، ١٩٢٩ ، ١٩٣٣ ثم الثورة الفلسطينية الكبرى بين عامى ١٩٣٦ و ١٩٣٩ .

(*) الغيتو حارة اليهود فى كل مدينة .

(**) موشى منوهين : مؤلف يهودى نشر كتاب « تدهور اليهودية فى زماننا » عام ١٩٦٥ ، واتهم فيه الصهيونية بأبشع التهم وادان بريطانيا وامريكا لتبنيهما تغليب باطل الصهيونية على حق العرب .

تطــورت نظــرية الامن القومى الاسرائيلى فى ظل الانتداب البريطانى ومرت بالمراحل التاليــة :

١ ـ تخطيط اقــامة المستعمرات :

كان التخطيط لاقــامة المستعمرات فى فلسطين يتقــرر منــذ البداية وفقــا للاحتياجات السياسية والاستراتيجية ، واتبعت أســاليب واستراتيجيــات متنوعــه منــذ انشــاء المستعمرات الاولى ، واخــذت فى التطــور لتتلاءم والظــروف والمواقف التى كانت تجابه الغزوة الصهيونية . وبوجه عــام كانت هذه المستعمرات أشبــه بقلاع حصينة مصممة للدفاع ، وتشمل تدابير التموين والاسلحة والملاجىء والاسعاف ، لتتمكن من الصمود مدة طويلة .

٢ ـ الحــرب البريطانية ❋ .

كانت الدولة المنتدبة تتكفل بحماية المستعمرات والاحياء اليهوديــة والمرافق والمنشآت والقوافل عند نشوب الاضطرابات والثورات العربية الفلسطينية.
وبنفس الوقت تساعد فى تدريب الرجال اليهود على القتال واستعمال السلاح بينمــا كــان اقتنــاء الســلاح مــن أى نــوع محرما على عــرب فلسطين وجــزاؤه الاعـــدام .

٣ ـ انشــاء التنظيمات العســكرية :

فى عــام ١٩٣٧ خطب بن غــوريون امــام الهستدروت ، واظهــر أن ضعف اليهود وعــدم صلاحيتهم ليكونوا طرفــا لــه وزن فى أى تحالف راجع الــى أنهــم لــم يصبحوا قــوة ، ولــم يكونوا دولــة قــوية .

ومنــذ بــداية الانتداب أخــذ اليهــود يطورون منظماتهــم العســكرية ، ويقومون باجراءات التدريب العسكرى فى المستعمرات . وشملت دورات لضبــاط الصف والضباط الذين شكلوا نــواة الهجاناه . كــان هــذا النشــاط العسكرى يتــم فى الظــاهر دون موافقــة حكــومة الانتداب ولكنهــا تسكت عنــه ، وهكذا بدات الهجاناه تظهــر تدريجيــا الى الوجــود مع بداية الثورة الفلسطينية الكبرى عــام ١٩٣٦ ، حيث باشرت القــوات البريطانية فى فلسطين والدولة المنتدبــة على تدريبهــا وتجهيزها تحت اشراف ضابط بريطانى هو البريجادير أورد وينجت

(❋ عاش كاتب البحث ظروف ثورتى ١٩٢٣ ـ و ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ وشاهد الحماية المكثفة من القوات البريطانية على أماكن اليهود .. كانت سيارة الباص اليهودية المسافرة بين مــدينة وأخــرى تحميها سيارة مصفحة بريطانية تسير امامها واخرى خلفها .

ORDEWINGATE الذى قــدم الى فلسطين فى اواسط الثلاثينــات كضــابط المخابرات فى هيئة اركان الجنرال ديل . وقــد قــام وينجت بالتعاون مع الهجاناه فى نصب كمائن للجماعات العربية التى كانت تنقل الاسلحــة عبــر الحــدود مع ســوريا ، وكــان هو يقــود الجنود ويشترك بنفسه فى القتــال .

وفى نهــاية عــام ١٩٣٧ تــم استبدال ديل بوينجت (*) وكان الاخير قــد قــدم مذكــرة الى الجنرال ويفل ينتقد فيهــا اساليب الجيش البريطانى فى محاربة الجماعات العربية واقترح عليــه اسلوبا آخــر ، فبدلا من الدفاع الساكن الــذى لــم يكن كثير الفاعليــة ، والذى كــان يشغل جنودا أكثــر ممــا يلزم ، ويضعف بالتدريج صفاتهم الحربية والذى لــم يكن ينفع مع المهاجمين ، اقترح وينجت تكوين وتدريب فــرق صغيرة متحــركة للدورية ، تعمل غالبا فى الليل وتستند فى عملياتها الى تقارير المخابرات . فتفاجىء العــدو وتشتبك معــه حيثما كــان ، وكــان جزء من اقتراحه على تكوين هذه القوات بشكل مشترك مــن الجنــود البريطانيين واليهود وقد بدأ بتكوين هذه الدوريات المختلطة لحراسة خطوطانابيب نفط العــراق الممتدة الى حيفــا عبــر الجليــل الاســفل ، وبالنظــر الى نجــاح وينجت فى عملياته هذه تلقى الاشــارة فى انشــاء سرايــا الليــل الخــاصة المؤلفــة فى غالبيتهــا من بوليس المستعمرات اليهودى . وكــان وينجت يؤكــد على استعمال الليل كسلاح هجومى ، ويقول بن غوريون (**) . « واستطيع أن أؤكد ان ماعملهوينجب لابنــائنــا كــان لــه أكبــر الاثر فى الحــرب مع العــرب فيما بعد ، وكــان وينجب يــود نقل ثقتــه باليهود الى قيــادة الجيش البريطانى ليبرهن لهــا أن اليهود لــم يكونوا قادرين على الدفاع عن انفسهم فحسب ، بــل انهم سيكونون حلفــاء اوفياء لبريطانيا فى الشرق فى حالة نشوب حرب . ولكننى كنت اخشى انه لــم يجد آذانــا صاغيه لارائــه هذه فى دوائر الجيش البريطانى . ولكن الحــالة الخطيرة لبريطانيا فى صيف عام ١٩٣٨ دفعت البريطانيين الى قبول خطة وينجت بقبول اليهود المحليين لعمليــات الجيش وعلى أى حــال فان هذا لــم يتــم بدون تردد مــن ناحيــة البريطانيين : فلــم يخصص الجيش البريطانى ميزانية لتدريب اليهــود ، فتحملت النفقــات الوكالة اليهــودية . وفى ايلول عــام ١٩٣٨ تقــدم مــائة مــن خيرة ضباط الهاجاناه للتدريب فى مستعمرة عين حارود فى وادى زرعين (مرج ابن عامر) وقد أفــاد اليهــود من معظــم هؤلاء الضباط فيمــا بعــد لحــرب ١٩٤٨ مع العرب وفى تكوين جيش اسرائيلى . . »

تطلبت الاحتياجــات الآمنــة (***) للمستعمرات والتجمعــات اليهودية فى

(*) بن غوريون وبناة اسرائيل ١٩٦٩ — محمد العابدى ص ٨٢ ، ٨٣ .

Een Gurion — Israel years of Challenge — London 1963,

(**) انشاء وتكوين الجيش الاسرائيل — ايجال الون ، ترجمة عثمان سعيد ١٩٧١ .

فلسطين اجراء تخطيط عسكرى وتدابير حربية واسعة ما بين عام ١٩٢٠ — ١٩٣٧ ، وهذه الاحتياجات أدخلت على التخطيط والتنفيذ العسكرى للهاجاناه عناصر جديدة كثيرة ، بما فى ذلك استراتيجية أكثر دقة على مستوى البلاد كلها ، تراعى الاعتبارات المحلية والتخطيط الشامل ، وقدرة اكبر على الحركة ، واستخدام اوسع للمدافع الرشاشة الخفيفة ، وفوق ذلك كله فان هذه الاحتياجات عجلت بانشاء قيادة عليا مدنية سرية تتصرف بتفويض كامل من جانب المؤسسات السياسية الشرعية للمجتمع اليهودى فى فلسطين — وهيئة اركان حرب عامة عسكرية سرية ، تتكون من الفروع المعتادة لمثل هذه الهيئة ويرأسها رئيس لهيئة الاركان .

وخلال ثورة ١٩٣٦ — ١٩٣٩ تطورت الهاجاناه الى حد كبير كقوة للأمن القومى الاسرائيلى بمساعدة حكومة الانتداب حيث انشأت شرطة المستعمرات اليهودية وهى قوة كانت تضم ثلاثة عناصر (*) :

١ — عدد صغير من الوحدات المتنقلة ، تدفع مرتباتها وتزودها بالمهمات حكومة الانتداب للقيام بكافة واجبات الحراسة المحلية .

٢ — عدد أكبر من قوات الشرطة الخاصة ، يسمح لها باستخدام أسلحة القوة المتنقلة للتدريب وفى حالات الطوارىء .

٣ — وحدات متنقلة تقتصر خدمتها على مناطق محددة ، تمولها الحكومة أيضا ، وهى المسئولة فى مناطقها للقيام بدوريات الحراسة للطرق والمحصولات ، وتعزيز حاميات المستعمرات التى تتعرض للهجوم ، ونصب الكمائن للفدائيين العرب أثناء اقترابهم من المناطق اليهودية أو انسحابهم منها .

وتبع ذلك ظهور وينجت بحماسه الصهيونى غير العادى على مسرح فلسطين ، حيث جعل من الهاجاناه قوة عسكرية قادرة تدريبيا وتسليحيا وتنظيما .

الحرب العالمية الثانية :

عملت السلطات البريطانية على تأليف فرقة (البالماخ) وتدريبها وتزويدها بالسلاح بحجة الاسهام فى مجهود الحلفاء الحربى . وشجعت الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية الشباب اليهودى على التطوع فى صفوف الحلفاء لاكتساب الخبرات العسكرية وليكونوا جنودا مدربين لجيش المستقبل . وفى عام ١٩٤٣ تم أنشاء الفيلق اليهودى فى أوربا من قبل الحلفاء ، وما أن حلت نهاية الانتداب البريطانى على

(*) نفس المرجع السابق .

فلسطين ، حتى كان لدى اليهود آلاف الرجال المدربين وكميات وفيرة من السلاح والمعدات سرعان ما انضمت الى الهاجاناه لتكوين الجيش الاسرائيلى .

قرار التقسيم :

بعد صدور قرار تقسيم فلسطين من الجمعية العامة للامم المتحدة فى ١٩٤٧/١١/٢٩ نشبت الاضطرابات فى فلسطين بين عرب فلسطين العزل من السلاح أصحاب البلاد الشرعيين ، وبين اليهود المدججين بالسلاح والمنظمين تنظميا عسكريا جيدا كما مر فى السابق ، وكانت أهم عناصر الأمن القومى الاسرائيلى فى هذه المرحلة هى :

١ — طرد عرب فلسطين من ديارهم وأراضيهم بقوة السلاح ، واتخذوا من المذابح الجماعية وسيلة لذلك ونجحوا فيها .

٢ — الاستيلاء على القسم الاكبر من المدن والمناطق الفلسطينية قبل انتهاء الانتداب فى ١٩٤٨/٥/١٥ ونجحوا فى ذلك أيضا ، اذ أن البريطانيين حين عزموا على أنهاء انتدابهم كان همهم الاول أن ينسحبوا هم وقواتهم من فلسطين بسلام ، وكانت سلامة هذا الانسحاب هى الاعتبار الأول ، ولم يشغلوا أنفسهم من الذى يستولى على المنطقة التى يخلونها .

٣ — زيادة تحصين المستعمرات وأماكن التجمعات اليهودية وتوفير الحماية الكافية لها .

٤ — تجهيز قوات ضاربة قادرة على الحركة السريعة وتتفوق على القوات العربية التى يتوقع دخولها الى فلسطين .

٥ — تأمين امداد السلاح والمعدات من كل أوربا الشرقية والغربية ، وقد قامت الهيئات والمؤسسات الصهيونية فى تلك البلاد بدور هام فى هذا المجال .

ثالثا : الاستراتيجية الاسرائيلية ونظرية الامن

قام الجيش الاسرائيلى رسميا فى السابع والعشرين من يونيو ١٩٤٨ ، وشمل جميع المنظمات العسكرية ذات الاتجاهات المختلفة ، وكان لابد من بلورة استراتيجية محددة لاسرائيل بعد ظهورها كدولة ، تلبى احتياجات امنها القومى وصارت الاستراتيجية الاسرائيلية بعد ظهور الدولة وحتى حرب أكتوبر ١٩٧٣ تقوم على القواعد التالية :

١ — الجيش القوى : ايجاد قوات عسكرية مزودة بأحدث الاسلحة والمعدات . وتدريبها على أعلى مستوى تحت ظروف مشابهة بقدر المستطاع لظروف المعركة الحقيقية . والجيش القوى يخيف الخصم ، ويشكل عامل ردع يجعل العدو يتردد كثيرا قبل دخول ميدان القتال .

٢ — القيام بالهجوم المسبق (أو الضربة الوقائية) :

مباداة العدو بالهجوم وتوجيه الضربة اليه قبل أن يبدأ هجومه المتوقع ، وهذا يعنى شن هجوم شامل وصاعق قبل شهور أو اسابيع أو أيام أو حتى ساعات قليلة ، والمهم هو أن تسبق القوات الاسرائيلية العدو وذلك لضمان قلب المائدة عليه . تكون الضربة المسبقة فى الحالات التالية :

أ — حشد القوات المعادية بصورة فعلية ومنظورة بغرض القيام بعملية هجومية .

ب — تدهور جذرى فى حالة الأمن بصورة عامة ، نتيجة خرق العدو لتعهداته.

كما خططت اسرائيل وأجازت لنفسها أجتياز خطوط وقف اطلاق النار لعملية غزو قصيرة المدى وللبقاء مدة أطول فى الحالات التالية :

أ — ضرب قواعد المقاومة التى تنفذ من قواعد وراء خطوط وقف اطلاق النار عندما لا تتوفر امكانية صدها بوسائل محدودة .

ب — بهدف تقديم العون لحلفاء فى الدول المجاورة .

جـ — فى حالة تغيير خطير للوضع فى بلد مجاور .

د — فى حالة الهجوم على اسرائيل أو فى حالة حشد قوات عربية واستعدادها للهجوم .

٣ — وجود جهاز مخابرات قدير :

لجمع المعلومات وفرزها وتحليلها بسرعة فائقة ، ودقة متناهية . ومتابعة التطورات لاعطاء صورة واضحة ودقيقة . تتيح للقيادة اتخاذ القرارات السليمة فى الوقت المناسب .

٤ — المفاجأة والمباداة :

اتخاذ التدابير اللازمة لضمان مفاجأة العدو ومباداته استراتيجيا ، واذا لم يكن ذلك ممكنا على المستوى الاستراتيجى فعلى المستوى التعبوى (التكتيكى) كما حدث فى حرب الخامس من حزيران ١٩٦٧ .

٥ — الحرب القصيرة والحاسمة :

يجب أن تكون أية حرب قصيرة وحاسمة وذلك لاسباب عسكرية وسياسية . هذا ما حدث فى حربى ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، وهذه قاعدة هامة فى الفكر والاستراتيجية الاسرائيلية .

٦ — نقل المعركة الى أرض العدو :

أصبح هذا المبدأ عقيدة رسمية منذ أصدر بن غوريون بوصفه أول وزير دفاع فى اسرائيل اوامره للقيادة العليا بالعمل فى جميع الحالات على نقل

المعركة الى أرض العدو فور بـدء الاشتباكات ، معتبرا أى هجوم مضاد ينجح داخل اسرائيل حتى لو تم توقيفه وتدميره مخالفا لروح تلك العقيدة .

٧ — انتهاج سياسة معينة فى المكان الدولى :

تكون على مستوى كبير من المرونة والبراعة وتستهدف تحقيق مايلى :

أ — أقامة علاقات وثيقة مع الدول الكبرى ، مع عدم الاعتماد الكلى على دولة واحدة وكذلك تضمن الدعم السياسى من ناحية ، وتحصل على احتياجاتها من الاسلحة المتطورة من ناحية أخرى .

ب — اقامة علاقات وطيدة مع الدول الصغيرة ، وخاصة الدول الناميـة فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتيبية ، للأغراض السياسية والتجارية .

وعلى الرغم من انتهاج هذه السياسة عالميا ، الا أن اسرائيل تركز أهتمامها على العلاقة مع الولايات المتحدة ، وحسب ادعاء آلون يعود ذلك الى سببين أولهما اهتمام الولايات المتحدة بمنطقـة الشرق الاوسط نتيجة حرصها على ضمان مصالحها فيها وثانيهما أمتلاك الولايات المتحدة لتكنولوجيا الاسلحة الأكثر تطورا .

تطبيق الاستراتيجية :

تم أخضاع كافة شئون الحياة فى اسرائيل لمتطلبات الحرب ، واصبح المجتمع الاقتصادى والسياسة تحت رحمة الحاجات الاستراتيجية وتعمل جميعها لتنفيذ هذه الحاجات .

ولتطبيق قاعدة الجيش القوى ، عالجت اسرائيل النقص الديموغرافى بتنظيم جيش احتياط بكفاءة قتالية ممتازة ، وتألفت القوات المسلحة من جيش نظامى صغير من الخدمة الوطنية أو التجنيد الاجبارى ، قـوات الاحتياط والدفـاع الاقليمى عن المستوطنات .

وتطلبت هذه الاستراتيجية فى مجالات الاختيار والتطبيق العملى ابتكار عـدة أساليب ، واتباع اجراءات معينة ، تمت ممارستها أثناء التدريب والمناورات والعمليات الانتقامية داخل حدود الدول العربية المتاخمة . ورافق وجود الجيش القوى الجيـد التدريب أهتمام زائد بالتطور الاجتماعى والاقتصادى والعلمى . وفى العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ اتيح لاسرائيل ممـارسـة الاجراءات والاسـاليب اللازمـة للحاجات الاستراتيجية فى تجربة عملية . ومع أن الجيش الاسرائيلى خلال حملة السويس كان يسير فى ركاب دولتين كبيرتين — انكلترا وفرنسا — الا انه مارس عمليـة الحـرب الخاطفة ، بما فيها من مرونة وسرعة الحركة ، وما يتبعها من عمليـات الخـرق والتطويق . وعندما ظهرت بوادر المؤامرة الثلاثية ، واتضح لمصر خطر هجوم الانجليز والفرنسيين على الاراضى المصرية غرب القناة ، تقرر اخلاء شبه جزيرة سيناء وكان القرار سليما من الناحية الاستراتيجية .

نتيجة لحرب السويس ترسخت عقيدة الحرب الخاطفة لدى القيادة الاسرائيلية وتطلب ذلك التركيز على زيادة فاعلية القوة الجوية والاحتفاظ بتفوق فى الطيران ، وكذلك زيادة الاهتمام بالقوات المدرعة والآلية ، وهى عناصر الحرب الخاطفة ، وبالاضافة الى دور القوات الجوية فى الحرب فقد كان لها ادوار أخرى فى عمليات الردع والانتقام وتغطية جميع القوات الاحتياطية . واعتبارا من عام ١٩٦٠ أخذت التشكيلات المدرعة الاسرائيلية والتشكيلات الآلية تمارس تدريبات فى أماكن جبلية صعبة ، تعتبر فى نظر الفكر العسكرى التقليدى غير صالحة لعمليات الدروع ، وتواصل التدريب على ذلك بتجهيزات هندسية خاصة لتتمكن القوات المدرعة من القتال فى أية أرض مهما كانت صعبة ، وكانت هذه أيضا « احدى مفاجآت حرب حزيران » .

حدثت التجربة الرئيسية للقوات الاسرائيلية فى حرب حزيران (يونيو) حيث خاضت حربا خاطفة حاسمة فى كل من سيناء والضفة الغربية وهضبة الجولان . خاضت اسرائيل هذه الحرب على الجبهتين المصرية والأردنية فىوقت واحد تقريبا ، وتوقف اطلاق النار على الجبهة الاردنية مساء يوم ٧ حزيران بوصول القوات الاسرائيلية نهر الاردن . وتوقف على الجبهة المصرية مساء ٨ حزيران بوصول القوات الاسرائيلية قناة السويس . نقلت القوات الاسرائيلية من الجنوب الى الشمال بسرعة وفاعلية حيث تم أنشاء الجبهة السورية ، وكان التخطيط لذلك قد تم فى زمن السلم حيث كدست المواد والمعدات فى القسم الشمالى من اسرائيل ، وفى أثناء الحرب جرى نقل الرجال لعدد كبير من الوحدات والتشكيلات .

كانت نظرية الأمن القومى الاسرائيلى حتى ما قبل حرب حزيران (يوليو) ١٩٦٧ ترتكز على أساس القدرة على توجيه ضربة وقائية حاسمة ونقل الحرب الى ارض العدو ونظرا لشكل اسرائيل الجغرافى الطويل وضيق المسافة فى وسطها من خط هدنة عام ١٩٤٨ بينها وبين المملكة الاردنية الهاشمية والبحر ، فكانت فى بعض نقاط معينة لا تزيد عن ١٥ كيلو مترا — من مدينتى طولكرم وقلقيلية — فى الضفة الغربية. وعلى هذا الاساس بنى الجيش الاسرائيلى كجيش متحرك وهجومى ، قادر على الانتقال من نقاط تأهبه الى وضعية الهجوم خلال فترة قصيرة وبسرعة فائقة ، وبرهنت هذه النظرية على صحتها فى حرب حزيران ١٩٦٧ .

وبعد حرب حزيران ، ووقوف الجيش الاسرائيلى على قناة السويس فى الجنوب ونهر الاردن فى الشرق ، وهضاب الجولان فى الشمال ، تغيرت ظروف النظرية الاساسية المتعلقة بتحريك الجيش ، اذ أن أى حرب قادمة ستجرى بعيدا عن التجمعات السكانية فى اسرائيل وبذلك تتوفر للجيش مهلة من الوقت ، ومجال للمناورة ، لمجابهة المشكلة العسكرية دون أن تصاب الجبهة الخلفية بأذى . وكانت الجبهة الخلفية دائما وابدا نقطة ضعف دولة اسرائيل فى زمن الحرب ، بسبب الخوف من سقوط كثير من الضحايا بين السكان المدنيين ، وعلى ذلك ظهرت بعد حرب حزيران ١٩٦٧ مرتكزات جديدة لنظرية الامن القومى الاسرائيلى .

نظرية الامـــــن :

اقتنع القادة الاسرائيليون نتيجة لحرب حزيران ان عقيدتهم الاستراتيجية مبنية على أسس صحيحة وسليمة . وشعرت اسرائيل ان التوسع الجديد قد انقذها من شعور الاختناق ، وركز الفكر الاستراتيجي على تأكيد حقيقة ان الاراضى المحتلة لازمة للدفاع عن البلاد ، وظهرت نظرية الامن الاسرائيلية بمرتكزات جديدة معظمها نابع من قواعـــد الاستراتيجية المقررة والمذكورة آنفا ، وصارت المرتكزات الجديدة تتمثـل فيما يلــى :

١ ـــ القـــدرة على الردع :

أن تكونوا اسرائيل أقـــوى دولة فى منطقة الشرق الأوسط أن تـــوازى قوتها قوة الدول العربية مجتمعة ، وبذلك تكون هى اليد فى المنطقـــة ، وتقوم القدرة على الردع على الأسس الآتيـــة :

أ ـــ توجيـــه الضربة الوقائية المسبقة : وذلك بعدم انتظـــار وقوع الضربة الأولى من الجيوش العربية او عدم الســـماح لها بذلك .

وافتراض توفر القـــدرات الكفيلة بكشف النوايـــا العربية مبكرا فى الوقت المناسب اعتمادا على جهـــاز مخابرات ممتاز ، يســـمع دبيب النمـــل فى منطقة الشرق الأوسط ويتعاون مع أجهزة المخابرات الأجنبية المختلفة ويعتمـــد عليها .

ب ـــ الاعتماد على قوة جويـــة متفوقة من أحـــدث وأقوى الطائرات ، لتكون اداة الردع الرئيسية ، تصـــل الى أعماق الدول العربية وتكون ذراعها الطويلة ولذلك جرى تزويدها بطائرات الفانتوم لهذه الغايـــة .

جـ ـــ جيش عصرى متحـــرك مجهز بقوات مدرعة وآلية كبيرة ، وعلى درجة عالية من الكفاءة القتالية ومستوى تدريب رفيع ، لتضمن بـــه تدمـــير أى جيش عربى بصورة خاطفة وسريعة ، واحباط وتدمير أى هجـــوم عربى فى ساعات قليلـــة .

٢ ـــ الحـــدود الآمنة (*) :

وذلك بضـــم مساحات واسعة من الأراضى والميـــاه العربية لتضمن تأمين المجـــال البرى والجوى والبحرى لعمـــل قواتها ، وبذلك يتوفر لها العمـــق الاستراتيجى الذى يوفر لها مزيدا من الأمن ، بابعاد ميادين العمليات الحربية عن قلب اسرائيل . وأماكن تجمع السكان ، ويفســـح لقواتها مجال التعبـــة وحريـــة العمل والمناورة ، ويهدد عمـــق الدول العربية . ومفهوم الحـــدود الآمنة نبع بقوة ظاهرة فى اسرائيل بعد حرب حزيران (يونيو) حيث وصـــلت قواتها الى موانع مائية فى الجنوب والشرق ، وموانع جبلية فى الشمال وتؤمـــن هذه الحدود المزايـــا التالية :

(*) حرب رمضان ـــ الجولة العربية الاسرائيلية الرابعة ، لواء حسن البدرى لواء طـه المجدوب ، عميد أ.ح ضياء الدين زهدى .

أ ـ حرمان الدول العربية من القدرة على القيام بأى تحرك عسكرى ، ويسمح لاسرائيل بحرية العمل الهجومى ضد أية دولة عربية .

ب ـ تأمين مبدأ الاقتصاد فى الجهد ، اذ تحتاج هذه الحدود الى قوات قليلة للدفاع والمراقبة ، وايقاف الهجوم العربى لاطول مدة ممكنة حتى يتاح الوقت لتعبئة الاحتياط وتحريك القوات من العمق الى الاماكن المقررة فى الخطة .

جـ ـ موقف التهديد والمساومة والابتزاز فى حالة قبول الدول العربية لاجراء التسوية .

٣ ـ **المبادأة والاحتفاظ بها فى كافة الظروف والاحوال :** لاجبار الخصم على طلب السلامة والقعود ، فتارة تعتدى على الدول العربية ، واخرى تسقط الطائرات المدنية وتعترضها فى الجو ، وتلوح بالقبضة القوية الجاهزة للضرب لاقل بادرة .

٤ ـ **ضمان مؤازرة عظمى كحليف موثوق بنجدته فى كل وقت :**

وقد تجلى ذلك كغريزة فى الصهيونية العالمية قبل قيام اسرائيل ،بنقل اعتمادها من دولة كبرى الى اخرى ، ابتداء من المانيا القيصرية الى انكلترا ، وتجلى كذلك فى اعتماد اسرائيل على بريطانيا وفرنسا أثناء العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ وفى الوقت الحاضر على الولايات المتحدة وهذا الاعتماد مرتبط بطبيعة نشأة اسرائيل كجسم دخيل فى المنطقة العربية ، تعمل على لفظة حضاريا وقوميا ولا يستطيع مواجهة الامة العربية منفردا .

وفى حرب السويس لم تجرؤ اسرائيل على بدء العمليات الا بعد التأكد من ان كلا من بريطانيا وفرنسا ستشاركان فى الحرب ، كما حصلت ايضا على تأمين مضمون لحماية جوية فرنسية فوق المدن الرئيسية وميدان سيناء ، مع أن الجيش المصرى لم يكن قد استوعب الاسلحة التى حصل عليها من روسيا اواخر عام ١٩٥٥ استيعابا كاملا ، حيث كانت العملية تغييرا جذريا فى تسليح الجيش من غربى الى شرقى ، وما يتطلب هذا من وقت وجهد لاعداد المدربين ومعاهد وكراسات التدريب .

أما حرب حزيران فقد خاضتها اسرائيل دون مشاركة حليف فعلى على الأرض ، بعد أن أعدت للامر عدته من تسليح وتجهيز وتخطيط قبل سنوات من بدء الحرب ، كان الحليف هذه المرة يراقب من بعيد فى حال تحول التيار ضد اسرائيل ليتدخل الى جانبها ، ونظرا لنجاحها الذى لم تكن تتوقعه الى هذه الدرجة فقد اقتنعت لاول مرة انهاتستطيع أن تتحرك للعمل دون مساعدة خارجية ، مما يترك لها الحرية لتتصرف بصورة مستقلة تماما حسب الاساليب التى اعتمدتها وتوافق احتياجاتها .

رابعـــا : حرب أكتوبر وتقويض

نظريـــة الامـــــن

عندما دهمت صفارات الانذار سكان اسرائيل فى الســـاعـــة ١٤٠٠ مــن يوم ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ، أيقن الجميع أنه لايوجد سبب للقلق ، وليس هناك ما يدعو الـــى الخوف فـالجيش الاسرائيلى لم يكن ابدا أقـــوى مما هو عليه ، وقـــد ركزت الدولة على بقائه أقوى جيش فى المنطقة ولم تبخل عليه بالسلاح الحديث والمعدات العصرية، من أحدث ماأنتجته مصـــانع الاصدقاء لذلك اعتقدوا أن وضع اسرائيل الامنى لـــم يكن أفضل مما هـــو عليه .

كان المذهب الذى غرس فى قلب كل جنـــدى فى اسرائيل منذ لحظـــة تجنيده (*) يقضى دائما بأن مهمة الجيس النظامى هى صد العدو فى حـــالة الهجوم وتاخير الى أن تتم تعبئة وحـــدات الاحتياط ودفعها الى المعركة ويعرف كل جندى احتياطى فى اسرائيل أنه منذ اللحظة التى يسمع فيهـــا من الاذاعة اشـــــارة التحـــاقه ، أو فى لحظة استدعـــائه بواسطة شبكة العدائـــين المتشبعة والسريعـــة ، فانه يتحول خـــلال ٢٤ ســـاعة الى مقـــاتل بكل معنى الـــكلمة مـــزود بأجـــود السلاح والعتاد ومستعد للقتال . ان هـــذا الايمان هـــو الذى غرس فى قلوب الاسرائيليون انه ما من جيش عربى ، مهما كان كبيرا وقويا ، يستطيع الانتصار على الجيش الاسرائلى .

لقـــد استخدمت الصـــحافة العالمية أقوى عبـــارات المديح والثناء ، فى وصفها لحروب الجيش الاسرائيلى وعملياته وبطولاته لقد وصف انتصاره السريع فى حـــرب حزيران ١٩٧٦ بأنـــه من أعظم الانتصـــارات العســـكرية فى التـــاريخ الحـــــديث بل ذهب البعض الى القـــول أن حرب حزيران كانت فريدة فى التاريخ العسكرى.

وحتى الساعة ١٤٠٥ من يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، كانت اسرائيل تبدو فى نظر العالم قلعة عسكرية منيعـــة لايمكن الاقتراب منها ، وقوة قادرة لا يمكن هزيمتهـــا ، ولما تبين للاسرائيليين فى الدقائق الاولى أن الحرب قـــد بدأت ، كان الغرور قد وصـــل بالجيش الاسرائيلى قادة وجندا ، الى اليقين بأن هـــذه الحرب هى اليوم الســـابع فقط لحرب حزيران ، وخرج الجنرال دافيد اليعازر رئيس أركان الجيش الاسرائيلى ليقول عن العرب لما بدأوا الحـــرب (« ستسحق عظامهم » .

قضت حرب أكتوبر ١٩٧٣ عـــلى نظرية الامن الاسرائيليـــة بمرتكزاتها الأساسية تقريبا ، وأدعت اسرائيل أنها قبلت التخلى عن بعض مرتكزات أمنها القومى استدرارا لعطف العـــالم ، وتخفيفا للاعباء الاقتصادية ، وادعت أيضا أنهـــا تركت

(*) التقصير — ترجمة مؤسسة الدراسات الفلسطينة ١٩٧٤ .

المبادأة للعرب عن طواعيـة واختيار حتى حتى لا توصم بالعـدوان . فهل يعقـل أن تخالف اسرائيل قواعـد استراتيجيتهـا التى ادامتهـا وحافظت عليهـا منذ قيامها حتى لا توصم بالعدوان ، بينما نشأت عـلى العدوان ، وكرسته باستمرار لاحتلال الاراضى العربية ، وانكار الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى الـذى اغتصبت دياره وأملاكه ، وكذلك انكار الحقوق لكافـة الدول العربيـة ، وأدارت ظهرهـا واصمت اذنهـا لرغبات الاسرة الدولية الممثلة فى قـرارات وتوصيات المنظمـات والهيئات العالمية ،وسجلات هيئة الامم المتحدة ومجلس الامـن الدولى خير شاهد على عـدوانهـا منذ نشأتها .

لقد انهارت قصور الاوهام والافكار والنظريات التى ظهرت نتيجة لنشوة وغرور النصر فى حرب خزيران (يونيو) ١٩٦٧ . فالمستعمرات التى انشئت فى مرتفعـات الجولان لتسهم فى الدفاع عن اسرائيل ، اخليت بسرعة ، كما تم اخلاء شرم الشيخ من السكان المدنيين ، عندما تبين أن المصريين دفعوا بمجموعات من قوات الصاعقة الى هذا القطاع ، وكان المفروض أن شرم الشيخ قد أعد ليكون ذا أهمية استراتيجيـة رئيسية ، لانه يشرف على مدخل البحر باتجاه خليج العقبة ، وفيه ميناء ايلات المنفـذ الرئيسى لاسرائيل الى اسيا وأفريقيا الشرقية . ولكن نظرة بسيطة الى الخريطة تكفى لتبرهن أن البحر الاحمر يمكن اغلاقه كليا من مضيق باب المندب ، وهذا ما حدث عندما نشبت الحرب ، فقد سيطرت عليه القوات البحرية المصرية ، فـرابطت فيه المدمرات المصرية ، وباشرت حق التفتيش واعتراض السفن التجارية ، وكذلك حق الزيارة الى داخل البحر الاحمر ، وبذلك قطع الشريان الحيوى لاسرائيل الذى يربطها بأفريقيـا وآسيا ، والذى تذرعت به كحجة فى حرب السويس ١٩٥٦ وحرب حزيران ١٩٦٧ ، حيث كانت حجتها أن سيطرة مصر على مضايق تيران وشرم الشيخ يقطع هـــذا الشريان الحيوى ، وضمنت قوات الطوارىء الدولية التى رابطت فى شرم الشيخ بعد حرب السويس بقاء هذا الطريق مفتوحا . أما بعد حرب حزيران ١٩٦٧ فقد اخـذت اسرائيل تعلن للملأ عن عزمها البقاء فى شرم الشيخ ، لابقاء السيطرة على مدخل خليج العقبة لتبقى الطريق الى افريقيا وآسيا مفتوحا أمامها،لذلك كان اغلاق مضيق باب المندب من قبل البحرية المصرية ضربة استراتيجية لم ترد على تفكير العدو ، وطوال فتـرة العمليات الحربية فى حرب أكتوبر ، لم تدخل البخر الاحمر سفينة اسرائيلية واحـدة ، ولم تخـرج منه سفينة (*) .

أما نظرية الحدود الآمنة فقد سقطت تحت أقدام القوات العربية فى بضـع ساعات ، وهذا فقط نتيجة قيام جيشين عربيين بخطة واحدة للعمل ، وتغيرت صورة القوة الرادعة للجيش الذى لا يقهر خلال ايام قليلة لانه قاتل لاول مرة وجهـا لوجه .

(*) حرب رمضان — الجولة العربية الاسرائيلية الرابعة ، لواء حسن البدرى ، لواء طه المجدوب ، عميد أ.ح ضياء الدين زهدى .

وخلال الايام الثلاثة الاولى من القتال ، لم تتمكن القيادة الاسرائيلية من ايجاد حلول للمشاكل الاستراتيجية التى واجهتها ، فوزير الدفاع (موشى ديان) كان غير فعال ، وفى حالة ذعر وارتباك ، ولم تكن أفكاره وتعليماته مجدية وبالتالى كانت الحرب تدور دون أن يكون له وجود فيها .

وكانت مواجهة الحرب على جبهتين مشكلة كبرى بالنسبة للقيادة الاسرائيلية وهيئة أركان حرب ، مثل هذا الموقف منع اسرائيل من الوصول الى هدفيها التقليديين ، بحشد قواتها على جبهة واحدة ثم انهاء الحرب بسرعة على أساس خاطف ، ومنذ اليوم الاول للحرب ، أعطى التفكير العسكرى الاسرائيلى الاسبقية للجبهة السورية ، وأخذ يرمى بثقل قوته البرية والجوية على هذه الجبهة للاسباب التالية :

١ — كون الجيش السورى اضعف من الجيش المصرى وقريب جدا من اسرائيل لذلك كان الاسهل على الاسرائيليين تدميره أو هزيمته أولا حسب اصطلاح الوقت والمسافة والقوة .

٢ — الحجم الكبير للقوات السورية المدرعة التى اقتحمت الهضبة يجعل من الصعب ايقافها عند حدود فلسطين السابقة — حسب تصور القيادة الاسرائيلية — مع ان هدف القوات السورية كان الوصول الى تلك الحدود فقط .

٣ — نظرا لكون القوات المصرية قد وطدت أقدامها شرقى القناة ، وأصبح يتعذر على القوات الاسرائيلية اخراجها ، والمسافة بين القناة وحدود فلسطين الاصلية كبيرة ، لذلك قبلت القيادة الاسرائيلية اتباع أسلوب قتال التعويق هناك ، والتنازل عن بعض المساحات ، اذا ما واصلت القوات المصرية تقدمها ، وبنفس الوقت كانت القوات المصرية بحاجة الى بضعة أيام لتعزيز رؤوس الجسور ، ووصلها ببعضها ، ثم عملية بناء وتكامل القوات ، وهو مايتطلبه عبور الموانع المائية .

حققت اسرائيل نجاحا ملحوظا على الجبهة السورية ، ولكنها لم تتمكن من حسم الموقف على هذه الجبهة عندما ابدت القوات السورية مقاومة عنيدة ، وهبت لنجدتها قوات عراقية وأردنية وسعودية ، فصار التقدم الاسرائيلى بطيئا ثم توقف ، وأخذت عملياته الطابع الدفاعى ، وبذلك لم تتمكن اسرائيل من هزيمة الجيش السورى ، أو تحقيق خرق عميق لتطويق العاصمة السورية ، أو الاندفاع نحو جبل الدروز ، وعزل الجبهة السورية عن الاردن ، أو قطع طريق القوات العراقية .

لقد انتصر الجيش الاسرائيلى فى حرب الخامس من حزيران ١٩٦٧ بسبب قدرته على سرعة الحركة ، وتيسرت له شبكة طرق متعددة وجيدة ، فاستطاع بالعمل على الخطوط الداخلية من ضرب كل جبهة على حده وانهائها بسرعة ، ومن ثم الانتقال السريع الى الجبهة الاخرى . والآن قضت الصواريخ المضادة للدروع على سرعة الحركة التعبوية ، كما قضت على سرعة الحركة الاستراتيجية ، اذ كانت خطوط

المواصلات طويلة ممتدة ، ولزمت نقاطها الحساسة قوات الصاعقة كما حدث فى سيناء ، وبذلك فقدت القوات الاسرائيلية سرعة الحركة ، وفوجئت الدبابات الاسرائيلية مفاجأة غير سارة عندما تصدى لها مشاة مصريون منظمون تنظيما جيدا ، ومسلحون بأسلحة مضادة للدروع ، وكذلك برهنت الصواريخ الحديثة المضادة للطائرات مثل سام ٦ وسام ٧ على فاعلية قصوى ، وهكذا تعطلت عقيدة الحرب الخاطفة التى تبناها الجيش الاسرائيلى .

أما فى مجال القدرة على الردع وتوجيه الضربة الوقائية المسبقة ، فقد أقامت اسرائيل جهاز مخابرات جيد المقدرة ، بتعاون مع أجهزة مخابرات أجنبية صديقة لاسرائيل ، وقد عمل هذا الجهاز بكفاءة ودقة لمتابعة التطورات ، وتقديم صورة واضحة للمسئولين طوال الفترة التى سبقت حرب أكتوبر ، ولكنه فشل فى الحصول على حقائق كاملة عن تلك الحرب ، كما فشل فى تقييم القدرة العربية على القتال وكشف النوايا العربية مبكرا فى الوقت المناسب . وكان لتدابير الخدعة المحكمة التى مارستها كل من مصر وسوريا دور كبير فى ذلك فكانت الخدعة احدى مظاهر حرب أكتوبر الجيدة بالنسبة للجانب العربى ، وسارت خطة الخدعة على المستويين الاستراتيجى والتعبوى جنبا الى جنب مع خطة العمليات ، وجرى العمل بها على كافة المستويات ، وقد آتت أكلها فى تضليل العدو وتضليل مخابرات عالمية أخرى عن النوايا ، كما اظهرت حرب أكتوبر أيضا ان المخابرات المصرية والسورية قد خطت خطوات متقدمة الى الامام منذ عام ١٩٦٧ وعززت التعاون بينها وبين الأجهزة الاخرى فى الدولة ، وأجهزة الدول العربية ، ونجحت فى الامن العسكرى الى درجة كبيرة بحرمان العدو من الحصول على المعلومات الدقيقة .

وبتضليل مخابرات العدو والتصميم على التعرض ، تمكن الجانب العربى من الحصول على المبادأة ، وتحقيق المفاجأة على المستويين الاستراتيجى والتعبوى وتحقيق المفاجأة يوفر ميزات عظيمة للذى يضرب أو لا ، نظرا لسرعة الاسلحة الحديثة ومداها وقوة تأثيرها ، مما يجعل الغاء هذه الميزات أمرابالغ الصعوبة واستطاع الجيشان المصرى والسوى خلال اليومين الاولين من الحرب ، احراز كل ميزات الهجوم الاستراتيجى ، دون الحاجة الى القتال على المستوى التعبوى ، وعانى الاسرائيليون كثيرا حتى اليوم التاسع من القتال ، وكانت معظم مبادراتهم عبارة عن ردود فعل على المستوى التعبوى ، مما جعلهم يتكبدون أكبر الخسائر ، ولم يتخلصوا من هذا الكابوس الا بعد أن أجتازوا القناة وأصبحت لهم قوة غربيها .

كان النقاش بعد حرب حزيران ١٩٦٧ يدور فى اسرائيل حول حاجتها الى العمق الاستراتيجى لابعاد الحرب عن حدودها الأصلية ، متخذة ذلك ذريعة لابتلاع الارض العربية ، فقامت بتحصين الحدود الجديدة ، وأنشأت الخطوط الدفاعية مثل خط بارليف على جبهة القناة ، وخط التحصينات على جبهة الجولان . وقد أكد أكثر الخبراء العالميين فى ضوء نتائج حرب أكتوبر أن اسرائيل ارتكبت خطأ جسيما

بعد حرب ١٩٦٧ ، عندما أعتمدت على ما اسمتة الحدود الآمنة ، وعلى الخطوط الدفاعية الثابتة متخلية عن استراتيجيتها الاساسية فى الحركة المرنة السريعة التى بنى جيشها على أساسها .

والحقيقة أن القوات العربية تمكنت من افشال العقيدة القتالية للقوات الاسرائيلية فى حرب أكتوبر وعجزت اسرائيل عن احراز التفوق الذى كانت تحصل عليه فى الجولات السابقة مع العرب ، وصارت المعطيات الجديدة فى الجانب العربى تعمل علي تعطيل الاستراتيجية الاسرائيلية بقواعدها الاساسية ، ففقد الجيش الاسرائيلى ميزاتة الرئيسية فى حرب أكتوبر ، وأولها سرعة الحركة على المستويين الاستراتيجى والتعبوى ، وكذلك فاعلية سلاح الطيران الذى كان العامل الحاسم فى حرب حزيران ١٩٦٧ وطوال الفترة التى سبقت حرب أكتوبر ، وهبطت فاعلية سلاح الدروع الى درجة خطيرة ، وتحكمت الصواريخ الحديثة المضادة للطائرات والدبابات بهذين السلاحين ، وبذلك تجمدت عقيدة (الحرب القصيرة الحاسمة) أو الحرب الخاطفة ، نتيجة لشل الطيران والدروع وهما السلاحان الرئيسيان فى الحرب الخاطفة .

اما الخطوط الدفاعية والتحصينات القوية فى كل من خط بارليف .والجولان فلم تغن شيئا — اذ تمكنت القوات العربية من اقتحامها واكتساحها فى ساعات معدودة — والواضح أن الموانع كالأنهاروالقنوات والبحيرات وسلاسل الجبال ، والخطوط الدفاعية الحصينة لا تقف حائلا أمام تجهيزات الجيوش الحديثة وتصميمها ، وحتى فى الماضى فأن سور الصين والأسوار الرومانية ، وخط ماجينو وسيجفريد ، فشلت جميعا فى أغراضها الدفاعية فى النهاية ، وبالنسبة لخط بارليف ظهرت فكرة تقول ان نتائجحرب أكتوبر يمكن أن تكون مختلفة لو أن القوات التى دافعت عنه كانت أكبر مما وجدت عليه عند بدء الحرب ، وأن الاحتياطى الضرورى كان موجودا خلف الخط مباشرة ، فاذا قبلت هذه الفكرة يصبح من الصعب الحكم على القيمة الحقيقية للخطوط الدفاعية الثابتة وعلى أية حال فأن أى قسم من الجبهة تكون فيه قوة ما فى حالة الدفاع ، ولديها ميزة دفاعات مهياة بعناية ، فأنها بدون شك تتمع بتفوق هائل على عدو مقابل مكشوف .

والحقيقة التى ظهرت من مصادر العدو * أن خط بارليف كان منظومة دفاعية متكاملة تشمل ترتيب القوات والقوات الاحتياطية القريبة والبعيدة (التعبوية والاستراتيجية) وأدوارها ، وكافة التدابير الادارية ، وتحضير المسرح للعمليات من كافة الوجوه ، والتدريب اللازم لممارسة الأدوار المطلوبة من الوحدات والتشكيلات المكلفة بالعمل فى هذا المسرح ، ولكن المفاجأة وارادة القتال الجديدة فى

(*) التقصير ترجمة مؤسسة الدراسات الفلسطينية عام ١٩٧٤ .

الجانب العربى ، وكذلك القدرة القتالية أصابت الاسرائيليين وسببت لهم الارباك والشلل ، فلم يتمكنوا من تنفيذ ما كان مخططا له ومارسوا التدريب عليه .

وبالنسبة للعمل الاستراتيجى الذى تدعى اسرائيل الحاجة اليه لتحقيق مزيد من الامن وابعاد الحرب عن حدودها فلهذا فوائده ومحاذيره ، ومن فوائده اعطاء الوقت لتعبئة القوات الاحتياطية ، وابعاد ميدان القتال عن أراضيها ، والحصول على ميزة المناورة واتخاذ التدابير الملائمة . وكان من المحاذير الرئيسية فى حرب أكتوبر أن قوات الصاعقة المصرية حرمت اسرائيل من معظم الفوائد الآنفة الذكر عندما لزمت محاور تقدم القوات الاسرائيلية الى الأمام ، وطرق اقتراب الدبابات الى المصاطب المهيأة شرقى الساتر الترابى ، وكذلك أرباك مواقع القوات الاحتياطية والقيادات ، وهذا العمل بشكل عام يشكل امتداد أطول لخطوط المواصلات ، ويحتاج وقتا أطول لوصول الاحتياطيات الرئيسية والتعزيزات ، وكذلك مواد الادامة والتموين . ويعتقد كثير من الخبراء العسكريين أن القوات الاسرائيلية كانت ستكون فى وضع أفضل بكثير لو وقعت عليها مثل حرب أكتوبر وهى على حدود عام ١٩٦٧ ، وعندئذ تكون ردود فعلها أسرع واقوى ، ولبقيت لهذه القوات ميزاتها السابقة .

خامسا : اثر ماحدث على الأمن الاسرائيلى

لقد هزت حرب اكتوبر الأمن الاسرائيلى هزا عنيفا ، واتضح أن الجيش الاسرائيلى لم يعد يتمتع بالتفوق الساحق الذى كان يتمتع به سابقا ، وهذه حقيقة لا جدال فيها ، اعترف بها الاسرائيليون وفهموها جيدا ، ولاشك أنها ستدفعهم الى المغالاة فى طلب الامن والتشدد فى كافة ما بينهم وبين العرب من مشاكل ولو أستغرق ذلك سنوات طويلة ليزيدوا طاقتهم العددية عن طريق المهاجرين الجدد لان التفوق العددى للعرب يقض مضاجعهم . ويناقض جميع حساباتهم مهما تفوقوا تكنولوجيا .

ولو عدنا بضع سنوات الى الوراء لنأخذ بعض اقوال دافيد بن غوريون البانى الأول لاسرائيل ، ومخطط استراتيجيتها ، وقائدها فى الخمسينات وأوائل الستينات ، فقد نشرت جريدة جروز الم بوست فى عددها الصادر بتاريخ ١٦ نيسان أبريل ١٩٦٩! تصريحا لبن جوريون قالت انه أفضى به أصلا لصحيفة لوموند الفرنسية جاء فيه (*) أن اسرائيل يجب أن تستوعب عدة ملايين جديدة من المهاجرين ، وان توسع حدودها بحيث تشمل ضفتى الأردن ، كى تستطيع أن تواجه التفوق العددى للدول العربية . . بحيث تستطيع أن ندخل الى اسرائيل اربعا أو خمسة ملايين يهودى جدد، فأن جيشنا بغير ذلك لن يكون ضامنا للنصر، فان التفوق العددى

(*) بن غوريون وبناة اسرائيل — محمود العابدى ١٩٦٩ .

للعرب يجتاح المنطقة ... والعرب مثلنا يتقدمون فى مجالات استيعاب التكتيك الحديث ولن نستطيع أن نقاومهم الى ما لا نهاية ، ما لم تخلق أمــة أعلى نوعية وأكبر عددا .. ان اسرائيل أيضا بحاجة الى زعامة تديرة الأمر غير المتوفر حاليا . أن اسرائيل التى حلمنــا بها لم تخلق بعــد .

وكان أهم ما يشغل بــال بن غوريون فى الأيام المتأخرة من عمره اربعة أمــور هى : المشكلة اليهودية، وقضية العرب ولاسيما الاجئين والصراع الجزئى ، والاختلاف على المعسكرات الدولية وعلاقتها باسرائيل ورأيــة فى المشكلة اليهودية يبين مــدى الخوف وعدم الثقــة بالآخرين ، والانطــواء على عقليــة الغيتو الذى ترعرع فيه ، ثم جعــل من اسرائيل الغتيو الكبير . فقال : أن اسرائيل ليس لها فى العالم غير حليف واحد وفى هو الشعب اليهودى ، اسرائيل هى الدولة الوحيدة فى العالم التى لا أقارب لهــا ، سواء من ناحية الدين أو اللغــة أو الاصل ، كتلك القرابات التى تربط مثلا بين الدول لعربية أو الاسكندنافية أو البونية أو الكاثوليكية أو الانكلوساكسونية ، اننا شعب يعيش فى هذا العالم بمفرده .

وفى ١٩٦٧/٩/١٢ جــرى احتفال بمناسبة مرور تسعين عاما على انشــــاء مستعمرة « بتاح تكفا » . قال دافيد بن غوريون : أن الدولة اليهودية الحقيقية التى تكون ملاذا للشعب اليهودى لم تقــم بعد . وكذلك لم يتحقق جمــع الشتات . ويجب علينـــا أن نهتم باستيعاب ملايين المهاجرين اليهود وزيادة التكاثر الطبيعى من معدل ٢ ـــ ٣ أطفال فى الاسرة الواحدة الى ٤ ـــ ٦ أطفال . وبذلك نستطيع أن نضمــن مستقبلنا ، ورأيه فى عــودة الشعب الفلسطينى ما يلى : « ان عــودة العرب الى يافـــا ليست ظلما فحسب . وانمـــا هى خطيئة كبرى . فهذا الوضع لا يغير الا بالقوة وحــدها » .

اثر الحرب :

لقد ساور الشــك شعور الاسرائيليين باسطورة عــدم امكان التغلب عليهــم وأدركوا أن العرب قادرون على خوض الحرب والقتال بفاعلية مذهلــة كانت الدوائر الاسرائيلية المسئولة تكرر القول أن اسرائيل اصبحت محاطــة بحدود آمنة عسكريا قناة السويس ، نهر الاردن والجولان . وفجــأة اكتشفت الجماهير الاسرائيلية أن هذه الحدود ليست آمنــة كما اعتقدوا . وليست مضمونة . وأظهرت حـــرب اكتوبر أن العرب قادرون على التخطيط والحرب واتخــاذ المبــادأة والقتال ببسالة نادرة والتضحية . وتباهى الاسرائيليون بطيرانهم وقواتهم المدرعــة لكن الحـــرب جعلتهم يتكبدون خسائر فادحة جدا . وكانت حسب احصاءات البنتاغون خلال الحرب ٢٠٠ ـــ ٢٥٠ طائرة من مجموع ٤٩٠ و ١٠٠٠ دبابة من مجموع ١٩٠٠ دون تحقيق نصر عســكرى يبرر هذه الخســارة .

وكانت اسرائيل تدعــى استطاعتها الدفاع عن نفسها دون مساعدة خارجية فوجدت الجماهير الاسرائيلية ان دولتها كانت على شــفا الانكســار لو لم تسعفهــا امريكا بعملية الامداد الضخمة بحرا وجوا انفدت مخزون السلاح فى مستودعــات الجيش الامريكى . واخيرا خلقت أكتوبر شعورا بعدم السلامة فى المجتمع الاسرائيلى .

وخلال الأشهر الاولى التى تلت حرب أكتوبر قامت اسرائيل بدراسة وافيــة وتقييم دقيق لكافــة حوادث تلك الحرب . لتجنب الاخطاء التى ظهرت فيها علــى كافــة المستويات والوصول الى دروس مستفادة . وعقيدة قتالية جديدة وبالتالــى اعــادة النظر وتقييم قواعد استراتيجيتها لتــلائم الظروف الجديدة ويتضح مــن الدراسات التى جــرت أن القواعد الاساسية للاستراتيجية الاسرائيلية ونظرية الامن القومى لم تتغير . ففى مجــال الاستراتيجية جــرى التأكيد على الأسس التالية .

١ ــ القيام بالهجوم المسبق أو الضربة الوقائية لاجهــاض الاستعدادات العربية .

٢ ــ فى حال الاضطرار للقتال على جبهتين ، تركيز اكبر حشــد للقوات كلها على الجبهة الاخطر والانتهاء منها ومن ثــم تحويل حشــد القوات الى الجبهــة الاخــرى .

٣ ــ القيــام بعمليات الخرق العميق بالاعتماد على مرونة الحركة وسرعة الاندفاع .

٤ ــ تأمين التفوق فى القوة الجوية لقطع طــرق مواصلات القوات العربية . ومــن ثــم تدمير القوات المتبقية فى الجبهــة .

ان تأمين المطلبين (جـ ، د) يؤدى الى تطبيق الحرب الخاطفــة اذا تمكنت قوات الدروع من الحصول على غطــاء جــوى وتعاون دائم مع القــوة الجوية . وهــذا يتطلب بالضرورة التغلب على الصواريخ الحديثة المضــادة للطائرات والدبابات .

وبالنسبة للصوريخ المضادة للطائرات من طراز سام/٢ وسام/٣ فقد تمكن الامريكون نتيجة خبرتهم فى حرب فيتنام من التقليل من فاعليــة هذين الصاروخين بالتشويش والتضليل الالكترونى . أما صاروخ سام / ٦ فلم يكن هناك امكانية للتشويش عليه . واستعمل بفاعليــة عالية فى حــرب أكتوبر وأسقط القســم الأكبر من الطــائرات الاسرائيلية . ولا يعرف اذا كانت الدراســات والتجارب بعد الحرب قد توصلت الى وسيلة للتقليل من فاعلية هذا الصاروخ . أمــا الصواريــخ المضــادة للطائرات المحمولة من قبل الافراد فقد زادت فاعليتها نتيجة التحسين والتطوير ورفــع مستوى التدريب .

وبقيت فاعلية الاسلحة المضــادة للدبابات قائمة سواء أكانت أسلحة وحدات أو اسلحة محمولة من قبل الافراد . وبالرغم من أن الاسرائيليين ــ وهم يبحثون عن عقيدة جديدة ــ أعتمدوا أساليب وحركات تعبويــة جديدة للقضــاء على حاملــى الصواريخ من المشــاة . الا أن هذا لم يختبر فى الحرب الفعلية . مهمــا كان الحساب معمولا لردود فعــل الجانب الآخر .

ويتضح مما سبق أن أمكانية الحرب القصيرة الحاسمة لا تزال موضع شك كبير ولم يعد بامكان القوات الاسرائيلية أن تقوم بتكرار عمليات حرب حزيران ١٩٦٧ أو العمل على غرارها ولكن التفكير الاسرائيلي العسكري ابقى أهمية قصوى لعامل الوقت والسرعة . وضرورة أنهاء المعركة بانتصار حاسم . ويدرك القادة الاسرائيليون أن هذا غير مؤكد في ضوء تطور القوات العربية السريعة . واستيعابها للاسلحة الحديثة . واردة القتال الجديدة التي أبرزتها حرب اكتوبر . ولذلك ذكرت الانباء العالمية في الاشهر الاخيرة أن اسرائيل تعمل على تكديس الذخيرة والمعدات لقتال مدته من ثلاثة اسابيع الى أربعة خوفا من ظهور صعوبات في طريق الامداد الامريكي وهذا يعني أيضا أن أي حرب قادمة لن تكون قصيرة وخاطفة بمفهومها المعروف .

ان اثر ما حدث في الحرب جعل الاسرائيليين يشعرون بمزيد من عدم الامن مما أعطى نظرية الامن القومي ابعادا جديدة تتمثل فيما يلي :

١ — المبالغة في زيادة القوة العسكرية من الناحية النوعية والحصول على أحدث المعدات . وترسانات الاسلحة الامريكية المتطورة مفتوحة على مصراعيها والطلبات الاسرائيلية لا تنتهي .

٢ — عمل تنظيمات جديدة في قواتها المسلحة لتلافي النقص الذي ظهر في حرب أكتوبر والتغلب على ميزات القوة الموجودة لدى الجانب العربي .

٣ — التركيز على انتاج الاسلحة النووية والتلويح بها للعرب لتغطية النقص العددي لديها (ان مفاعل ديمونة بالنقب أنشيء أصلا للاغراض العسكرية منذ عام ١٩٥٨ ولا يعقل أنه كان معطلا طوال هذه السنوات الماضية) وان اقتناء اسرائيل لأي نوع من اسلحة التدمير الشامل ستحيطه باعلى درجات السرية . ولن يطلعوا على هذا السر حتى أمريكا . لضمان هول مفاجاة استعمال مثل هذا السلاح ضد العرب عند الحاجة .

٤ — سعي اسرائيل للحصول على صواريخ ارض — أرض بعيدة المدى وكذلك صنعها في اسرائيل يأخذ اهتماما كبيرا في القيادات الاسرائيلية وذلك لضمان ضرب اية عاصمة عربية سواء بالاسلحة التقليدية أو النووية عندما يحين أوان استخدامها .

٥ — تطويل اجراءات أي محاولة للحل السلمي والسير في ذلك بخطى بطيئة جدا وعدم تقديم أي تنازلات الا بكل صعوبة لتحقيق أطول كسب للوقت . وهذا في اعتقاد العدو قد يخلق ظروفا دولية وعربية جديدة يستغلها العدو لصالحه ويبقي سيطرته على أكبر مساحة من الاراضي المحتلة .

٦ — العمـل بكل الوسائل محليا وعالميا لبـث الفرقة بين العرب واذكاء الخلافات بينهم . وكلما اتسعت ثغرة الخلافات كلما عاشت اسرائيل فى بحبوحة . وبقيت المصـالح الاستعمارية لمن يساندونها . وتستعمل اسرائيل أسـاليب شتى فى هذا السبيل بالتعاون والتنسيق مع هيئـات وقـوى خارجية .

٧ — لقد زاد الشعور بالأمن من الارتباط العضوى بين اسرائيل والولايات المتحـدة الامريكية وصارت الاسلحة الامريكية المتطورة تنهـال بكميـات أكبر علـى اسرائيل . وأصبحت طلباتها لا ترفض حتى تحولت فى الآونة الأخيرة الى عمليات اشبـه بالابتزاز .

المقاومة الفلسطينية :

تشكل المقاومة الفلسطينية عنصرا رئيسيا فى تهديد وتقويض نظرية الامن القومى الاسرائيلى . وبالرغـم من التدابير الامنيـة الشديدة والمكثفة داخـل فلسطين والاعتداءات الاسرائيلية المتتابعـة على معاقل المقاومـة داخـل الارض اللبنانيـة فان الخطر الفلسطينى يبقى ماثلا فى اذهـان قـادة اسرائيل ويقض مضاجعهم لانه يمثل صحوة أصحاب البلاد الشرعيين وأصحاب الحـق . وقد كان للعمليـات الجريئة التى نفذتها المقاومة خـلال العامين المنصرمين داخل فلسطين المحتلة أثر كبير علـى سكان اسرائيل والقادمين اليها من المهاجرين . وزاد من شعور الاسرائيليين بعـدم السـلامة .

الاصـــداء العسكرية لحرب أكتوبر

كولونيل / جيمس ف .دنويدى

خلفيـــــة :

أدعــى جيمس ف . دنويدى ، وانا كولونيل متقاعد بالقوات الجوية الامريكية . وقبل تقاعدى فى فبراير ١٩٧٥ عينت فى جماعة تقييم نظم الأسلحة فى مكتب وزيــر الدفاع . واشتركت فتــرة من الزمن بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ فى الشرق الأوسط فى تحليل للدروس العسكرية التى يمكن نعلمها من هــذه الحرب ، واعتمد هذا التحليل عــلى المعـلومــات التى كانت متــاحة حينذاك لجمــاعــة التحليل العســـكرى فى الــولايات المتحدة . وأنــا لم اقــم بــزيــارة المنطقة ولــم أناقش هذه الحرب مبــاشرة مــع أى مــن المشتركين فيهــا . وهذه الورقة تصور تجربتى فى اجراء هذه الدراسة ، بيـــد أن الآراء والافكـــار الواردة فيها هى آرائى وأفكارى الخاصة ، ولا تعكس بأى حــال من الأحوال موقف وزارة الدفاع الامريكية أو القوات المسلحة .

مقدمـــــة :

يتهــم الرجال العسكريون فى كثير من الأحيان بأنهم يستعدون لخوض المعركة الأخيرة فى الحرب الأخيرة . وحرب أكتوبر تمثل فى كثير من مظاهرها هذه المعركة بالنسبة لأمم كثيرة بالاضافة الى المتحاربين اذ انها على الرغم من احتوائها على كثير من المعــارك الفــردية ، فقد كانت من القصر من حيث الزمن الى درجة يمكن معها استعراضها بأكملهــا ، كمــا كانت باديــة بما فيـــه الكفاية لكى تدرس فى شـ ء من التفصـــــيل .

— كانت صداما بين جيوش مدربة مسلحة بنظم الأسلحة المتقدمة .

— كانت نظم الاسلحة والتكتيكات والنظريات المستخدمة ، من المفترض الى حد ما على الاقل أنها ممثلة لخصوم آخرين محتملين .

ومن المحتمل اذن أن يكون لحرب أكتوبر اصــداء عســكرية تتجاوز الســـاحة التى نشــبت فيهـــا .

والتسجيل التاريخى الدقيق لاحداث الحرب أمــر عسير غايــة العسر . والتركيز فى الحرب يكون على التأثير على مجرى الاحداث فى المستقبل اكثر من أن يكون تسجيلا لاحداث الماضى . وهذه التسجيلات عادة ما تضيع أو تدمر ، والأغلب أنها لا تنتشــأ أصلا فهؤلاء الذين يموتون ، يصحبون تجربتهم معهم ، والذكريــات تتشـــوه نتيجة للارهاق والانفعــال ، وفــورة الصراع ، ولا بــد من الدفاع عــن سمعة بعض الرجال أو تجميلهــا ، وكل هذه العــوامل تقف حائلا ضـــد جمــع التسجيلات الدقيقة المفصـــلة .

ومع ذلك ، فان تحليــل الحرب يعتمد على الوصول الى تسجيلات دقيقــة تفصيلية وعلى معلومات من كـلا الجانبين . ونادرا ما يكون هذا ممكنــا بالنسبة للأطراف المتحاربة ، حتى فى حالــة الهزيمة بلا قيــد ولا شرط لأحــد الطرفين ، بــل انهــا اكثر نــدرة للملاحظ « المحايد » بيد أن هذا ليس بكل تأكيــد هو الموقف الذى يواجــه المحلل العســكرى الامريكى لحرب أكتوبــر .

ومع أنه قد يكون من المستحيل ، أو على الأقل سابقا لأوانه أن يقوم المــرء بتحليل علمى كامل لحرب أكتوبر ، فانه يبدو من الممكن التعرف على عديد من الموضوعات الدالــة والمســائل الناجمة عن هذه الحــرب التى يحتمل أن تكون لهــا أصــداء عسكرية فى المستقبل ، وفى هذه الورقة حاولت التركيز على تلك المســائــل ذات الطبيعة العسكرية فى المقام الاول ، وعلى المســائل التى يحتمــل أن يكــون لهــا نتائج عسكرية لغير المتحــاربين المباشرين أنفسهم . وقــد يــكون من قبيــل الادعاء ان أحاول احاطة المستمعين بما حدث خلال الحرب ، ولهذا فقد أحجمت عن أى وصف للأنشطة العســكرية التى أثارت هذه القضايا والمسائل .

مفاجــاة تكتيكيــة :

ان قدرة القوات المسلحة لأمــة من الأمم على تحقيق مزايــا عسكرية من مفاجأة تكتيكية فى وجــه انذار استراتيجى قضية نشأت من حــرب ١٩٧٣ وحــرب ١٩٦٧ فى الشرق الأوسط . ولكنها ليست مقصورة على الشرق الأوسط على كل حال فالتاريخ حافل بأمثلة عديدة ، ليس اقلها الهجوم اليابانى على الاســطول الامريكى فى بيرل هاربور والغزو الالمانى لبروسيا فى الحرب العالمية الثانية . ودرجــة الانــذار الاستراتيجى المتــاحــة والتى كان ينبغى أن تكــون معروفــة فى كل حــالــة هى بالطبع مسألة ذات أهمية تاريخية ، وكثيرا ما طرحت للمناقشة الحادة ، رجوعا الى الماضى . ومع ذلك فقد أثبتت حرب أكتوبر أن المفاجأة التكتيكية الاولى يمكن أن تتم بهجــوم أرضى يشن بالتنسيق مع مناورات عسكرية متكررة على نطاق واسع .

ولقد كانت الميزة العسكرية المكتسبة من هذه المفاجأة ميزة ملحوظــة ، ولكنهــا لم تكن حاسمة . ومن الممكن دراســة الاصــداء الممكنة لهذه المسألة بأن نتأمل — لحظــة — الموقف الذى يواجــه دولــة مــا حين يبدأ العــدو المحتمــل فى اجــراء منــاورات عســكرية موســعة على حدودهــا . ولان تكاليف التعبئة لمــواجهــة التهــديد . والمخــاطرة التى تنشــأ عن عدم الاســتعداد اســتعدادا مناسبا كلاهمــا باهظ التكاليف ، فهناك حافز لتحسين المعلومات التى تحصــل عليها المخابرات كمــا وكيفا . وهذا يقتضى تطوير أساليب فنيــة جديدة (وتحسين الأساليب القديمة) لجمــع المعلومات . ووسائل المراقبة الالكترونية ذات أهمية خاصة . كما تقضى أيضا تركيزا مناظرا على تحسين وسائل أمن المخابرات المضــادة ، وتضليل الجيش المنــاور .

وتقييم معلومات المخابرات للتيقن من نية العدو لا من مجرد قدرته يتطلب درجة عالية من الكفاءة فى فن مرهف . وكفاءة المخابرات العسكرية ليست كافية على كل حال ، اذ يحتاج الامر ايضا الى الثقة من جانب صانعى القرارات — لأمة ما — فى قدرة جهاز المخابرات على التصديق . وضمان الكفاءة والثقة يتطلب نصيبا كبيرا من الوقت والجهد والصبر من القيادة العسكرية والسياسية على السواء.

والمحافظة على قوة متأهبة موثوق بها من المحترفين وكذلك التعبئة المستمرة لجيش مدنى بديلان كل منهما باهظ التكاليف . والتعويل على سلاح محترف واحد ، مثل قوة الطيران لاعاقة الهجوم واتاحة الوقت للتعبئة اثبتت تجربة حرب أكتوبر أنه أقل من المطلوب ، ومن البدائل الممكنة التعويل المتزايد على أجهزة ثابتة أكثر تعقيدا ، تعمل على التوفير النسبى للايدى العاملة . وثمة امكانية أخرى هى الاتجاه نحو استخدام القوات الدولية فى مناطق معزولة السلاح فى محاولة للحد من المخاطر والتكاليف . ومهما يكن من أمر ، فان فاعلية مثل هذه القوات الدولية — فى حالة قيام هجوم فعلى — مسالة مازالت فى حاجة الى برهان . ان اختيار الضربة الوقائية قائم دائما وان كانت الحكمة من هذا الاختيار موضع شك .

استنزاف :

اثبتت حرب أكتوبر أن الصدام بين الاسلحة الحديثة يمكن أن يستهلك الرجال والآلات بمعدل هائل . والخسائر التى تكبدها الجانب العربى وحده فى أسبوعين ونصف فحسب ، كانت نسبة محترمة من تلك التى تكبدتها الولايات المتحدة فى عشرة أعوام من القتال فى فيتنام . وقد خسر كل من الجانبين فى حرب أكتوبر أكثر من ثلث دباباته وطائراته فى تلك المدة الوجيزة . ولابد أن المصاريف التى انفقت على الذخيرة المستهلكة — مثل الصواريخ والقذائف والقنابل والرصاص — كانت كبيرة بدليل أنها أحدثت كل هذه الخسائر .

والمضمون العسكرى الواضح من مثل هذه المعدلات العالية فى الخسائر هو أن تموين عوامل الاستنزاف ينبغى أن يعاد النظر فيه وأن تزيد مقادير الاحتياطى المخزون تبعا لذلك .

بيد أن هذه الاجابة المسرفة فى التبسيط تتجاهل مسائل أكثر ارهاقا مثل :

— هل ينبغى التزويد بمقادير كاملة من نظم الاسلحة أو الذخيرة فى الوقت الذى يجرى فيه تطوير أنواع محسنة منها ؟ .
— هل يمكن أن يتم التزويد بالاستعواضات واعادة التموين بمعدل مناسب ، حتى لو كانت متاحة فى المخازن ؟ .
— ما هى حصص الاطقم المناسبة للاحتفاظ بها فى الاحتياطى ؟ .
— ومادام معدل الاستهلاك عاليا الا يكون أدنى انقطاع نسبى — فى مجرى المنطق الرياضى — مهلكا ؟ .

وربما قدمت تجربة حرب اكتوبر الاجوبة على هذه الاسئلة ، بيد أن المعلومات التفصيلية اللازمة لمثل هذا التحليل ليست متاحة علنا . وقد نذكر جانبا ، أنه قد يتبادر الى الذهن أن خط التموين الجوى الذى أعلن عنه أكثر من اللازم على كلا الجانبين — فى الوقت الذى يجرى فيه تموين بعض المعدات الحيوية أو الذخيرة — لايكاد يؤثر تأثيرا كبيرا على تعويض الجيوش بالمعدل الذى تستهلك به . أما هل يمكن تنظيم تموين بحرى فى الوقت المناسب ليكون فعالا ، حتى لو كانت الكميات متاحة جاهزة على الشاطىء ، فهذا يمكن أن يكون موضع نقاش .

الحرب البرية :

ان التساؤل عن أسباب تحطيم هذا العدد الكبير من الدبابات فمسألة عسيرة الحل ، ولكن من المؤكد أن لها اصداء ملحوظة . فليس من شك أن الصواريخ المضادة للدبابات التى اطلقها الجانب العربى كانت أشد ما تكون فاعلية ، ولا سيما فى الايام الاولى من الحرب . والظاهر ، أن عددا قليلا جدا من الدبابات قد تحطم عن طريق الجو . (ولكن يبدو لسوء الحظ ، من وجهة نظر ضابط فى الطيران — أن هذه هى الحالة أيضا فى الحروب ١٩٦٧) . وربما لاتزال الدبابة — كما يدعى رجال الدبابات — هى أفضل سلاح مضاد للدبابات ، وخاصة عندما يستخدم بمساندة أسلحة أخرى كالمدفعية والمشاة . ولكن من المؤكد أن يبقى هذا صحيحا فى المستقبل . ويبدو من المؤكد أن ثمة تحسينات دالة فى نظم الصواريخ الموجهة التى تنطلق من الارض ومن الجو . وأهم من ذلك أن نظم الصواريخ المضادة للدبابات (وبخاصة الانماط التى تنطلق من الارض) قليلة التكاليف نسبيا اذا قورنت بالدبابات .

ومن المؤكد أن حرب أكتوبر لم تبرهن على نهاية الدبابة بوصفها السلاح البرى المسيطر . ولكن ، ربما سجلت بداية تدهورها فى الاهمية .

ويذهب نموذج مبسط لقتال الدبابات الى أنه اذا اشتبكت دبابتان من طرف مع دبابة من الطرف الآخر ، فان الطرف الاضعف عدديا ، لا يحتمل أن تحطم دبابته احتمالا مضاعفا ، بل انه بالفعل أربعة أضعاف لان كلتا الدبابتين فى الطرف الاقوى يمكن ان تشتبك مع الدبابة الوحيدة ، على حين انها لايمكن أن تشتبك الا مع دبابة واحدة فى الوقت الواحد . وعندما يطبق هذا النموذج — كما يحدث غالبا — على قوات كبيرة متجمعة من الدبابات ، فان القوة الاقل عددا سوف تستنزف أسرع كثيرا من القوة الاكبر عددا . بيد أن نسب الاستنزاف فى حرب اكتوبر لاتؤيد صحة هذا النموذج بل الواقع أن العكس هو الذى حدث . وهذا الاختلاف يمكن أن نعزوه فى اغلب الاحتمال الى تدريب اطقم الدبابات ومهارتهم بأكثر مما يعزى الى أى تفوق اساسى فى نوع من الدبابات على نوع آخر . أما أن تحل درجة التدريب والمهارة محل الاعداد فى المستقبل ، فمسألة دقيقة مشحونة بالمخاطرة .

وهنـــاك عاملان آخران وجدا فى حرب أكتوبر — وان لم يكن لهما غير تأثير محدود الى درجة يمكن معها اهماله على نتيجة المعركة — ولكن يمكن أن يكون لهذين العاملين آثار عسكرية كبرى فى المســتقبل . واحد هذين العاملين هو الصــواريخ التكتيكية أرض — أرض ، والآخر هو ظهور الاجراءات الوقائية الموسعة ضد وسائل الحرب الكيمائية والبيولوجيةوالاشعاعية ، مما يعنى ضمنا توقع استخدام الاسلحــة الهجومية من هذا النمط ، وواضح ان انتشار استخدام مثل هذه الاسلحة — علــى حــدة أو بالتنسيق مع غيرهــا — له اصداء عسكرية ذات دلالة ، بيــد أن طبيعة تأثيرها ليست على مثل هذا الوضوح ، ويخرج المزيد من التعليق عن مجال هــذا البحث .

الحـــرب الجويـــة :

ربما كان أوضح درس نخرج به من حرب اكتوبر هو قيمة المخابىء المغطاة التى تواكبها دفاعات مضادة للطيران العالى والمنخفض لحماية الطائرات الرابضـــة على الارض . وكانت الحاجة الى مثل هذه الحماية درسا استخلص من حرب ١٩٦٧ ، وهو درس حفظ جيدا . وهذه التدابير المضادة (يصاحبها اصلاح سريع لمقدرة ممرات الطائرات) أثبتت فاعليتها .

اما محاولة تأسيس التفوق الجوى على قوة جوية — على قاعدة مغطاة ومحمية — بحملة من الهجمات الجوية الارضية تستخدم فيهــا الاسلحة التقليدية فأن مثل هذه المحاولة مشكوك الآن فى قيمتها ، ولذلك يمــكن أن يتوقــع أن يقــل الحـــافز الى ضربة جوية مسبقة تقوم بهــا أمة مهددة .

وربمـــا كانت هناك نتيجة أكثر اهمية ظهرت من الحرب الجوية وهى التغير الدقيق الذى طرأ على قيمة التفوق الجوى . فلقد كانت القوة الجوية التى تؤسس التفوق الجوى — فى الماضى على ساحة المعركة — كانت تستطيع مهاجمة القــوات الارضية للطرف المعادى وهى فى مناعة تامة من ان تنالها تلك القوات . بيـــد أن الانتشار الواسع لوسائل الدفاع الجوى المنبثة على الارض (الصواريخ والمــدافع على السواء) التى استخدمتها القوات البرية فى حرب أكتوبر عملت علـــى تخفيض فاعلية النشاط الجـــوى الارضى ، حتى حين يستقر التفوق الجوى التقليدى . والواقع أن الاعتماد على المعاونة الجويـــة القريبة بالمعنى المألوف اثبت انه باهظ التكاليف .

ولا يقتضى هذا بالضرورة استبعاد الطائرات بوصفها سلاحا تكتيكيا ، وانما تشير الى الحاجة الى تطوير تكنولوجى كبير فى مجالات الاساليب والذخائر فى ابطال الدفاع والهجوم الارضى . وفى المجالات التى نطلق عليها (التدابير المضادة للاجراءات الالكترونية المضادة) ، كما تشير أيضـــا الى الحاجة الى منهج محسن لنقل المعلومات عن الاهداف التكتيكية للطائرات المهاجمة حيث أن الاسلوب التقليدى المتبع للاتصـــال

والاكتشاف البصرى أثبت أيضا أنه مضيع للوقت حين يستخدم فى مواجهة الدفاع الجوى المكثف المثبت على الارض كما حدث فى حرب اكتوبر .

وثمة موضوع آخر يرتبط بهذا وهو صعوبة الحصول على المعلومات الكافية عن ميدان القتال فقد ثبت فى حرب أكتوبر أن الاساليب التقليدية التى تلجأ الى استخدام الملاحظة الجوية والتصوير باهظة التكاليف فى بيئة الدفاع الجوى المكثف. ومن التوقع أن تسفر هذه الموضوعات عن الاستخدام الموسع جدا فى المستقبل للطائرات التى تخلو من الطيارين وتوجه على البعد من الأرض وهى وسيلة رخيصة نسبيا لاغراض الاستطلاع ، أو بوصفها انواعا من الشراك (الطعم) وأحيانا أخرى لنقل الذخائر .

الحرب البحرية :

كانت الاشتباكات البحرية فى حرب اكتوبر مقصورة تقريبا على اطلاق الصواريخ من القطع الصغيرة من سطح الى سطح آخر . ولاسبيل الى استخلاص الكثير من هذه الاشتباكات بحيث يمكن تطبيقه مباشرة فى القتال بين قطع الاسطول الكبيرة . ولكن ، هناك على كل حال قضية شائكة قد تكون لها أصداء ذات دلالة فى المستقبل فهناك نقطة واحدة كانت فيها زوارق كل من الطرفين مختلفة اختلافا واضحا فى قدرتها على القتال — هى نقطة المدى الذى تصل اليه الصواريخ ، اذ كان أحد الطرفين يتمتع بمدى أوسع كثيرا لصواريخه من الطرف الآخر . ومع ذلك ، فان نسبة الزوارق التى أغرقت أو أصيبت لا تعكس هذه الميزة . والواقع أن النسبة كانت بوضوح فى صالح النظام ذى المدى القصير * . ومن المحتمل أن يرجع تفسير ذلك الى التدريب الافضل لاطقم البحارة ومهارتهم ، مع الاستخدام الذكى للوسائل الالكترونية المضادة .

الخلاصة :

قد يكون من السهل تحليل تجربة حرب ما والتقاط القضايا والمسائل الهامة ذات الاصداء العسكرية حين يتمتع المرء بميزة البصيرة التاريخية ، وخاصة اذا دعمت بحروب لاحقة أخرى . وهكذا ، يمكن توثيق الاصداء العسكرية للحرب العالمية الاولى على نحو علمى جدا ، وكذلك الحال بالنسبة للحرب العالمية الثانية ، وان كان ذلك بصورة أقل ، وبعد ذلك فصاعدا يزداد الامر صعوبة ؛ فمع حرب أكتوبر ومع آخر الصراعات

(*) من المعروف أن القطع البحرية المزودة بالصواريخ قصيرة المدى لاتستطيع التغلب على القطع المزودة بالصواريخ بعيدة المدى .. أنظر المناقشات العسكرية ص٢١١

الكبرى فى العالم يكـاد يكون التحليل محالا . ومع ذلك ، فقـد حـاولت فى هـذه الورقة مناقشة بعض الملاحظات عن حرب اكتوبر — وهى ملاحظات يخيل الى أن لها بعض الدلالة فى الاستعداد العسكرى المقبل لكثير من الامم . ولا أدعى شيئـا من الكمـال أو الاستاذية . واسمحوا لى أن اكـرر أن الافكار والاراء التى عبرت عنها هذه هى افكارى وآرائى الخاصة ، ولاتعكس بحال من الاحوال افكار وآراء وزارة الدفاع الامريكية .

وشكرا لكم على حسن اصغائكم ....

تاثيرات حرب اكتوبر

بقلـم

ادجــار او بالانس

لقد تركت حرب اكتوبر ١٩٧٣ آثارا عميقة ليس على الشرق الأوسط فحسب حيث بددت عددا من الأساطير والأوهام ، وانما أيضا على حلف الأطلنطى حيث أدت الى ظهور اتجاهات جديدة فى الفكر العصرى وهى اتجاهات كانت فى بعض الحالات كامنة منذ الحرب العالمية الثانية ، ذلك لأن بعض النظريات والمفاهيم التى ظلت مقبولة لفترة طويلة بدأت تتعرض للشك فى قيمتها ومن بينها الهدف من انشاء حلف الأطلنطى ذاته، كما أن حرب أكتوبر تركت آثارها ليس على الاستراتيجية العربية والاستراتيجيـة الاسرائيلية والنظريات والتكتيكات العسكرية فحسب ، وانما تركتها أيضا على عوامل أخرى مثل الروح المعنوية واستخدام اسلحة معينة فى ميدان القتال وعلى سـباق التسلح فى الشرق الاوسط وعلى تصعيد استخدام الاجهزة الالكترونية . وسأختصر الحديث عـن سلاح البترول العربى وهو سـلاح لـه أهمية بالغـة نظرا لكونه موضوعا يحتاج تناوله الى شىء من التفصيل .

الاستراتيجية الدوليـة

لقـد كانت الحرب الباردة مستمرة فى عـام ١٩٧٣ وأن كانت قد تخللتها بعض ومضات من امل فى انهائها ، ولم يكن فى ذلك العام دليل كاف على تقـدم سياسـة الوفاق نظرا لأن مشكلة فلسطين كانت نقطة من نقط الخلاف فيما بين القوتين العظميين فقد كانت أمريكا تدعم اسرائيل علنا الى حـد يقترب مـن اعتبارهاولاية تابعة لها ولكن الاتحاد السوفيتى كان ينظر اليها بعين العـداء البـارد ويمنع هجرة اليهود السوفيت الذين تسعى السلطات الاسرائيلية لتهجيرهم الى اسرائيل . والى حـدما كان الاتحاد السوفيتى يؤيد العرب بدليل أنه أعـاد تسليح كـل من مصر وسوريا بدرجة كبيرة عقب حرب ١٩٦٧ ، وفى حين أن عـلاقته مـع سوريا ظلت قوية ، أصبحت علاقته مـع مصر اقـل مودة وخاصة بعد طـرد الخبراء السوفيت منها فى يوليو ١٩٧٢ .

ومن ناحية أخرى لـم تكن هناك محاولات لاخفاء ماتغدقه الحكومات الامريكية المتعاقبة علنا على اسرائيل من المعونات المالية والاقتصادية والعسكرية ، وعلى الرغم من عـدم وجود معاهدة رسمية بين الدولتين (وهـو الشىء الوحيد الذى يبدو انه غير موجود بينهما) فقد نشأت بينهما علاقة حماية خاصة بعـد أن أعلن الرؤسـاء الامريكيون ـ واحـد بعد الآخـر ـ مساندتهم لاسرائيل ورغبتهم فى بقائها .

وفى عـــام ١٩٧٣ لم يكن لدى الاتحاد السوفيتى او الولايات المتحدة رغبة فى اثارة النزاع فى الشرق الاوسط ، وذلك لاسباب مختلفة لدى كـل منهما ، فكلاهما لاتريد اندلاع الحرب فى المنطقة ولاترى أن مشكلة النزاع بين العرب واسرائيل يمكن أن تشعل نيران الحرب العالمية الثالثة .

لقد أحدثت حرب ١٩٧٣ عددا من التغييرات فى الغرب ابرزها أن حلف الاطلنطى أصيب بشرخ كبير لايزال هشا حتى الآن ، وهـــو الحلف الذى انشىء بعـد الحرب العالمية الثانية عند بداية الحرب الباردة فى أوروبا ، وظلت الدول الأعضاء فيه توافق على وجوده ولكنها لم تختبر جدواه حتى ذلك الوقت . لقد شعرت الدول الأعضـــاء بالفزع والغضب الشـديد من موقف امريكا المتسلط تجاهها ومن الوســائل التى استخدمتها أمريكا فى ارسال الأمدادات العسكرية الحيوية على وجـــه السرعة الى اسرائيل ، ومن ثـم بدأت هذه الدول تتساءل عن الغرض من انشاء الحلف ولاتزال تتساءل عن ذلك حتى الآن . كمـــا أن امريكا شعرت بالغضب هى الاخرى لان حلفاءها الذين يتمتعون بالحماية بفضل المظلة النووية الامريكية لم يقدموا المساندة غير المشروطة لسياستها الموالية لاسرائيل ، ودهشت أمريكا لان هذه الدول اتخذت مواقفمستقلة ازاء المشكلة بين العرب واسرائيل ربمـــا بدافع حاجتها الى البترول العربى وغيره من المصالح التجارية وهى مصالح لاتتفق بالضرورة مع المصالح الامريكية . ووجدت أمريكا أن حلفاءها ليســوا توابع مذعنين كما هو الحـــال بين الاتحاد السوفيتى والدول المتحالفـــة معه .

وليس من المبالغة فى شىء أن نقول أن حرب أكتوبر كانت بمثابة صـدمة لحلف الأطلنطى ، فعندما طلبت أمريكا من حلفائها أن يقدموا لطائراتها تسهيلات الهبــوط والتــزود بالوقــود لتمكينها من اقامـــة الجسر الجوى الطويل لنقـل الامدادات والاسلحة والذخائر الحيوية من أمريكا الى اسرائيل ، اعتذرت بعض الدول الحليفة عن عـــدم تقديم هذه التسهيلات فى حين أن بعض الدول الأخرى رفضت رفضــا صريحا ، ولم تتمكن الطائرات الامريكية الا من استخدام مطـــار واحد فى جزر الأزرو بعد أن قدمت أمريكا وعـــدا للبرتغال بتأييدها فى الامم المتحدة بشـــأن قضية احدى المستعمرات ، وبهذا وحـــده أمكن القيـــام بعملية الجسر الجوى . وفى وقت متأخر نقلت الولايات المتحدة كميـــات من العتاد الحربى من مخزون الحلف فى أوربا وأرسلتها بقـــدر كبير من السرية الى اسرائيل دون أن تكلف نفسها بواجب ابـــلاغ الـــدول التى كان هذا المخزون موجودا فى أراضيهـــا بما كانت تفعله ، الأمر الذى آثـــــار سؤالا حول ما اذا كان الهدف من الحلف يأتى من حيث الأهميـــة بعد المصالح الثنائية الامريكية ، واذا كان الأمر كذلك فماذا يمكن أن يحدث اذا شـــنت دول حلف وارسو هجوما على دول أوربا الاعضـــاء فى حلف الأطلنطـــى .

ولأسباب سياسية بحتة لن تستطيع أمريكا اتباع أى من هذين الاسلوبين بعد ذلك ، ولهذا فان المخططين وواضعى الاستراتيجية الامريكية وجدوا لزاما عليهم أن يبحثوا عن الوسائل البديلة التى يمكن استخدامها فى حالة نشوء موقف طارىء مثل الذى نشأ فى حرب أكتوبر . لقد اصيب الجزء الجنوبى من حلف الاطلنطى بشرخ ، وتواجه أمريكا مشكلة اصلاح هذا الشرخ الذى أصاب دول الخط الاول فى الحلف ، كما أنها تشعر بالقلق ازاء حساسية جناح الحلف المواجهة للشرق الأوسط والمعرض لافكار ومثاليات العالم الثالث وهى مثاليات لا تتفق بالضرورة مع مثاليات الغرب أو الشرق . كذلك فأن أمريكا تعانى « مشكلة اسرائيل » وعليها أن تجد وسيلة لسد حاجات هذه الدولة عند الطوارىء لكى ترضى اليهود الامريكيين . ومن المعتقد أن أمريكا اعادت تسليح اسرائيل بأكثر مما كان لديها قبل حرب أكتوبر١٩٧٣ وفضلا عن ذلك فانها خزنت كميات هائلة من الاسلحة والذخائر والمؤن فى اسرائيل، كما أن لديها كميات من هذه المواد فى قواعد غير تابعة لحلف الأطلنطى وعلى ظهر السفن الحربية الامريكية ، ويمكن نقل هذه الكميات الى اسرائيل بسرعة فى المواقف الطارئة . لقد دلت حرب أكتوبر على أن أمريكا تواجه فى بعض الأحيان تعارضا بين مصلحتين استراتيجيتين رئيسيتين هما حلف الأطلنطى واسرائيل ، ويصعب عليها أن تعطى الأولويةلكليهما معا . ولقد أصبح واضحا أن حلف الأطلنطى لا يستطيع أن يتمتع بالثقة أو يضمن لنفسه مقومات البقاء الا اذا اعتمد كلية على البترول العربى ، وهذا هو السبب فى الدعاية الضخمة التى أحاطت دبلوماسية المكوك التى يقوم بها كيسنجر ، كما اندفعت الحكومة الامريكية بفعل حرب أكتوبر الى بذل جهود شاقة لاكتساب موطىء لأقدامها فى الشرق الأوسط لكى تحاول طرد النفوذ السوفيتى من الدول العربية لتأمين الجزء الجنوبى من حلف الأطلنطى وكذلك لكى تضمن تدفق البترول العربى الى الغرب بصرف النظر عن الظروف فى حالة الحرب أو فى حالة السلام .

ولم تؤد حرب أكتوبر الى حمل الروس على تغيير استرتيجيتهم على الاطلاق ولكنها فى الواقع أكدت صواب تفكيرهم الاستراتيجى . فقد وجدوا اسرائيل بمثابة عصا يضربون بها أمريكا وقد كشفت الحرب للاتحاد السوفيتى عن عزم امريكا على الاسراع لمساعدة اسرائيل تحت أية ظروف حتى اذا كان سيثير القلق لدى حلفائها فى حلف الأطلنطى .

الاستراتيجية العربية

كانت الاستراتيجية العربية قبل حرب ١٩٧٣ ضعيفة ومذبذبة وكانت قضية فلسطين عاملا للتفرقة بين الدول العربية بقدر ماهى عامل لتوحيدها وكان الخلاف يتمثل فى عدم وجود استراتيجية موحدة مقبولة من الجميع اذا استثينا الاتفاق العربى العام على فرض خطر البترول عنكافة الدول التى تساعد اسرائيل فى أى نزاع ينشب فى

المستقبل بينها وبينهم وقد اتضحت قوة هذا الخطر بمافيه الكفاية فى عامى ١٩٧٣ و ١٩٧٤ ويبدو الآن أن الهدف الأصلى العربى قد تعدل فأصبح تحرير الأراضى المحتلة وليس هناك الا قليل من الحكومات العربية التى تقبل أن تأخذ على عاتقها شيئا اكثر من هذا فى الوقت الحالى فى حين أنه قبل حرب أكتوبر كان مفهوم الهدف العربى لايقتصر على تحرير الآراضى العربية المحتلة وانما يشمل ضرورة تصفية دولة اسرائيل وثمة اتفاق بين الحكومات العربية على تأييد فكرة انشاء دولة فلسطينية عربية وعودة اللاجيئين الفلسطينين الى وطنهم الا أن هناك أختلافا فيما بينهاعلى وسيلة تحقيق هذا الهدف .

وفى الماضى كانت استراتيجية العرب بوجه عام تعتمد على شن حرب استنزاف ويبدو أن هذه الاستراتيجية مستمرة الآن لأن الدول العربية تمر بمراحل متفاوتة من التنمية الاقتصادية والاجتماعية ولابد لها من أن تواجه اسرائيل التى يمكن القول بأنها وصلت الى المستويات الغربية من حيث التنمية . ويعتبر عامل الوقت بالغ الأهمية بالنسبة للعرب لأن امامهم الكثير الذى ينبغى أن يفعلوه . فهم يحتاجون للوقت لكى يحصلوا على مزيد من الاسلحة . ولكى يستوعبوا هذه الاسلحة لتحقيق التوازن مع الكميات الهائلة من الاسلحة التى تملكها اسرائيل كما يحتاجون للوقت للعمل على تضييق الفجوة التكنولوجية بينهم وبين اسرائيل ويبدو مؤكدا أن الاستراتيجية العربية العامة يمكن تلخيصها فى عبارة « استراتيجية المدى الطويل » وهى تعتمد على الوقت والكثرة البشرية والاسلحة والتكنولوجيا والروح المعنوية . وقد اعطت حرب اكتوبر قوة دفع لهذه الاستراتيجية .

الاستراتيجية الاسرائيلية

وبالنسبة لاسرائيل فان الحرب أحدثت تغييرا تاما فى استراتيجيتها اذ قذفت بها بقوة من موقف الهجوم الى موقف الدفاع فقد كانت تتخذ وضعا عسكريا هجوميا منذ نشأتها . بل ان الأركان العامة الاسرائيلية لم تعبأ بالتفكير فى الوضع الدفاعى . ومن ثم لم يكن هناك فى اسرائيل موقع دفاعى واحد حتى اكتوبر ١٩٧٣ . وفى راى الأركان العامة الاسرائيلية أن هذه السياسة عادت بفائدة كبرى فى ١٩٤٨ — ١٩٥٦ — ١٩٦٧ . وأقنعت الشعب الاسرائيلى بأنها أفضل استراتيجية بل بأنها الاستراتيجية الوحيدة لاسرائيل . وكان الهدف الاسرائيلى والصهيونى فى نفس الوقت هو انشاء دولة يهودية قوية عسكريا محاطة بدول عربية منقسمة على نفسها وضعيفة عسكريا بحيث يمكن لاسرائيل أن تسيطر عليها وأن تعاقبها كل على حده اذا حادت عن الخط المرسوم لها . وذلك بمهاجمتها بحملة عسكرية شديدة التأثير قصير الأمد . وقد اكتسبت اسرائيل تفوقا عسكريا لايتناسب مع قلة عدد سكانها وذلك بفضل المعونات الخارجية (التى أصبحت أمريكا مصدرها الرئيسى فى الفترة الأخيرة) والاسلحة المتطورة التى تحصل عليها دائما قبل أن تحصل الدول العربية على مثيلاتها . فضلا عن التفوق الاسرائيلى فى المهارة

الفنية على العرب الذين خرج الكثير منهم لتـــوه من عزلة الصحراء الى القرن العشرين لأول مرة . وقد سمحت هذه المزايـــا لاسرائيل بانتهاج استراتيجية هجومية كـــادت تحقق هـــدف الصهيونية فى يونيو ١٩٦٧ وما كانت الاستراتيجية الدفاعية الثابتـــة لتستطيع أن تخـــدم أحـــلام الصهيونية التوســـعية .

وفى اطـــار نظريـــة الهجـــوم كان الطيارون وقـــادة الدبابات الاسرائيليـــون يعدون أهم الرجال ويعدون الأبطال ذوى الأدوار الحربية المجيدة . وبالنسبة للجـــو كان طيارو اسراب (الهنتر) وهم صفوة المجتمع الاسرائيلى يشبهون أنفســـهم بالنسور المسيطرة على أجواء الشرق الأوسط وكانوا يتمتعون بتفوق ساحق على الطيارين العـــرب * . وكذلك بالنسبة للقوات البرية اكتسب قادة الدبابات الاسرائيليون شهرة فرسان العصور الوسطى . اذ انهم كانوا يتمتعون بقدرة فائقة على الحـــركة ويحمون أنفسهم بالدروع ولديهم قدرة على الهجوم قل من يستطيع أن يتصدى لهـــا فى أرض المعركة .

ومع كل ذلك اذيق الاسرائيليون طعم الدفاع أضطروا اليه عندما أقتضى الأمر تعزيز خط بارليف ولكنهم رفضوا قبـــول الدفاع كنظرية واجبة الاتباع . واكتفـــوا بأعتباره عنصر ازعاج عسكرى مؤقت وكانوا يتجاهلونه قدر الامكان . ومثلما جـــرى فى الحرب العالمية الأولى عندما حدثت مواجهة بين قوتين هائلتين تتألف معظم عناصرها من قوات المشاة فى حـــرب خنادق ساكنة فى حين وقف الفـــرســـــان فى المؤخـــرة فى انتظار التحرك نحو كسر الجمود الذى طال أمده ؛ حـــدث نفس الشىء بالنســـبة للاسرائيليين وخط بارليف بعد عام ١٩٦٨ ، وظل الاهتمام متركزا على الدبابة بوصفها آلة المعارك . أما الأسلحة الأخرى فكانت تأتى بعدها من حيث الأهمية .

وحدث فى الايام الثلاثة الاولى من حرب أكتوبر على الجبهة المصرية أن قام قادة الدبابات الاسرائيلية ـــ شأنهم شأن الفرسان المدرعين القدماء ـــ بشن الهجوم بسرعة فائقة على المصريين لمحاولة ارهابهم واضطرارهم للفرار . وبدأو الهجوم بالفصائل ثم بالكتائب ثم بالوية كاملة . وكانوا يهاجمون بلا هوادة الا انهم كانوا يفشلون فى كل مرة ويصابون بخســـائر جسيمة ودمر أكثر من ٢٥٠ دبابة اسرائيلية على ايدى المشـــاة المصريين الذين صمدوا فى الصحراء المكشوفة ومعهم الصواريخ والقواذف المضـــادة للدبابات ، وعندئذ ادرك الاسرائيليون بعد أن تكتبدو هذه الخسائر أن وضعهم الهجومى ليس الاعملا انتحاريا . وبالنسبة للجو، حل بالاسرائيليين نفس المصير اذ تمكنت وسائل الدفاع الجوى العربية من اسقاط ما يقرب من أربعين طائرة اسرائيلية فى اقل من ساعتين

---

* هذا ماكانت تعتقده اسرائيل وتروجه دعايتها ، وقد أظهرت نتائج المعارك الجوية فى حرب أكتوبر خلاف ذلك (أنظر بحث اللواء طيار محمود شاكر عبدالمنعم عن دور القوات الجوية فىعمليات أكتوبر ١٩٧٣ ـــ ص ١٠٨) .

مما جعل سلاح الطيران الاسرائيلى يسارع بوقف كافة العمليات فترة من الوقت(لكى يفكر فى استخدام تكتيكات جديدة) . وبعد أن وصلت الى اسرائيل وسائل الكترونية مضادة على وجـــه السرعة من أمريكا على متن طائرات العال الاسرائيلية بدأ الطيارون الاسرائيليون فى تجنب شبكة الدفـــاع الجوى العربية . ومـــرة أخـــرى تبين لهم أن الاستراتيجية الهجومية عمـــل انتحارى فى الجـــو .

ولم يعـــد الجندى الاسرائيلى يتقدم للأمام وهو واثق أن العرب سوف يفرون تلقائيا قبل أن يقترب منهم . وسرعان ما ادرك أن الدفاع أصبح حيويا لبقائه على قيد الحياة . وعلى سبيل المثال فان القـــوة الاسرائيلية التى تسللت الى الضفة الغربية لقناة السويس كانت تتحرك ببطء وحذر على العكس تماما من تصورنا لطابور مدرع يجب أن يزحف مسرعا عبر الصحراء . وفى الليل كانت الدبابات تتكدس فى مجموعات وتبث عـــددا هائلا من الالغـــام حـــول نفسها لكى توفر لنفسها قدرا مـــن الحماية يزيد عما تحتاج اليه فى حقيقة الامر مما كان يعتبر الغـــاء لقدرتها على الحـــركة . وعندما اضطر الاسرائيليون لترك الضفة الغربية ذكر ســـلاح المهندسين المصريين انه رفع اكثر من ثلاثة أرباع مليون لغم اسرائيلى من المنطقة التى احتلها الاسرائيليون فترة وجـــيزة .

وبعـــد حـــرب اكتـــوبر اصبح الاسرائيليون مقتنعين تمامـــا بضرورة التفكير بعقليـــة دفاعيـــة . فانفقـــوا ملايين الدولارات على بنـــاء خطين قويين تقليديين للدفـــاع أولهمـــا فى سينـــاء فى مواجهة المصريين وثانيهما فوق هضبة الجـــولان فى مواجهة السوريين . واصبح الدفاع التقليدى الذى طالمـــا كانت اسرائيل تنظـــر اليـــه بعين الاستعلاء قبل الحـــرب أصبح مقبولا كضرورة عســـكرية لحمـــاية (الحـــدود الاسرائيليـــة) . وأصبح الحديث يدور بعـــد ذلك حـــول (بـــذل التضحيات) لكسب (حدود آمنـــة) . بمعنى حـــدود يسهل الدفاع عنهـــا أكثـــر من اى حـــدود اخـــرى . وعلى الرغم من أن الدفاعات الخطيـــة القوية التقليدية ومن طـــراز قديم وباهظة التكاليف وتمتـــد على مســـافات طويلـــة ، الا انهـــا اصبحت اليـــوم الشغل الشاغل للفكـــر العســـكرى الاسرائيلى لكى تحـــول دون تكرار مافعله العرب فى الحرب الاخيرة . ولذلك فان استراتيجية اسرائيل الآن أصبحت تقـــوم على غـــرار خط ماجينو . بل ان اسرائيل تقف حاليـــا من عـــدة نـــواحى فى نفس الموقف الذى كانت تقف فيـــه فرنســـا فى عـــام ١٩٣٩ .

وعندما اضطـــر الاسرائيليون بعـــد ابرام اتفاقية ســـيناء التى رتب لهـــا كيسنجـــر للانسحاب مـــا يسمى بالخط الاخضر على امتـــداد تسعين ميـــلا اخذوا معهم كل مـــا يمكن نقلـــه مثل الالغـــام والاسلاك ودمروا ما تعذر نقلـــه . وعلى بعـــد اميـــال قليلـــة اعـــادو بنـــاء خط جـــديد يسمى خط سينـــاء وجعلوه اقـــوى من الخط الســـابق اذ انشأوا دشـــما وطوابى مـــن الخرســـانة خلفهـــا دفاعات معـــاونة لتعزيزها . ولاشك أن الدفاع الخطى بهـــذه الصـــورة

يتكلف الكثير من النفقات والمواد والقـوة البشرية . كما أنه يؤثر تأثيرا بالغ السوء على الروح المعنوية . لقد أرغمت اسرائيل نتيجة لحرب أكتوبر على انتهاج استراتيجية دفاعية جديدة تقوم على بناء سلسلة من خطوط الانسحاب ربما تمتد الى داخل اسرائيل ذاتها . لقد أصبح التفكير العسكرى الاسرائيلى الآن شبيها بالتفكير الذى خطط لهجوم الحلفاء فى نورماندى . وكانت اسرائيل فيما مضى تعتمد بدرجة كبيرة على سلاحها الجوى ولكنه تلقى ضربة قاسمة من شبكات الدفاع الجوى العربية . ولذلك فانه توخى الحذر بعد ذلك مما أسهم فى التغيير الذى طرأ على استراتيجية اسرائيل

ونظرا لانه مامن دولة تستطيع أن تهيىء شعبها وقواتها المسلحة للتفكير بعقلية دفاعية وبعقلية هجومية فى وقت واحد ولا بد أن اسرائيل أجرت تعديلا على الاستراتيجية الهجومية التى كانت تنتهجها من قبل ان لم تكن قد عدلت عنها تماما لكى تبدأ فى انتهاج استراتيجية جديدة الأمر الذى يعنى اعادة تقييم الأولويات وهو ما يعنى بالتالى أن المشاة انتزعوا مكان الصدارة من القوات المدرعة

الروح المعنوية العربية

بعد العمليات العسكرية الرائعة التى شهدتها الفتوحات الاسلامية القديمة والحروب الصليبية . تضاءلت مكانة الجندى العربى فى نظر الغرب باستمرار لاسباب متنوعة لادخل له بها . كما أن المعارك التى خاضها ضد الأسرائليين فى السنين الاخيرة لم ترفع من هذه المكانة . وظل الجندى الاسرائيلى طيلة ربع قرن من الزمان يبدو فى نظر العالم كله تقريبا على انه جندى لايقهر فى ميدان القتال اذ استطاع أن يأسر الالوف من الجنود العرب ويسقط عشرات الطائرات العربية ويدمر الدبابات العربية دون مجهود بذكر . وقد أكثرت اسرائيل من دعايتها الى حد أن العرب اصبحوا فى بعض الاحيان يشكون فى قدراتهم العسكرية . الى أن فوجئو فى أكتوبر ١٩٧٣ بالجنود العرب يحطمون القيود ويقهرون الاسرائيليين ويأسرون المئات منهم ويسقطون المئات من طائراتهم ويدمرون المئات من دباباتهم . وخلاصة القول أن الجنود العرب قضوا على اسطورة السوبرمان الاسرائيلى الذى لايقهر .

وكان تأثير حرب اكتوبر على الروح المعنوية العربية سواء لدى المدنيين أو العسكريين اشبه بموجة من الكهرباء سرت فى ابدانهم جميعا وبددت الكثير من الشكوك التى كانت تحيط بهم . ولم يكن فى مقدور أحد حتى أكثر الناس تفاؤلا أن يجرؤ على التنبؤ بهذا الارتفاع الاسطورى فى الروح المعنوية قبل عشرين عاما . وتنطبق على العرب الحكمة التى قالها نابليون وهى أن النسبة بين الروح المعنوية والعتاد الحربى تبلغ ثلاثة الى واحد .

الروح المعنوية الاسرائيلية

ومن ناحية أخرى فان المدنيين والعسكريين على حد سواء فى اسرائيل أصيبوا بصدمة شديدة فى حرب أكتوبر . وسوف يحتاجون الى فترة من الزمن لكى يفيقوا من آثار هذه الصدمة وقد لاتصل اسرائيل فى أى وقت من الاوقات الى قمة الغرور الاعمى التى كانت قد وصلت اليها قبل اكتوبر ١٩٧٣ . فقد بددت هذه الحرب الاوهام والاساطير الاسرائيلية وقضت على حساباتهم الخاطئة وبثت فى نفوس الاسرائيليين قلقا وشكوكا ومخاوف لم يكن لهم عهد بها . واول ماتبدد من خطأ فى الحساب هو أن العرب عاجزون عن شن حرب تقليدية واسطورة ان العرب يفرون دائما من ميدان الحرب وأنه يلزمهم جيلان على الاقل قبل أن يتمكنوا من تضييق الفجوة التكنولوجية بينهم وبين اسرائيل ناهيك عن سدها . فقد شن العرب هجمات ناجحة فى البداية على كلتا الجبهتين . وكان الاسرائيليون هم الذين فروا أمامهم فى أول الأمر . وقام العرب بتشغيل شبكة الدفاع الجوى الالكترونية المعقدة دون مساعدة السوفيت وخاصة على الجبهة المصرية وان لم يكن الامر كذلك تماما على الجبهة السورية .

لقد بثت حرب أكتوبر فى نفوس الاسرائيليين مخاوف جديدة مخاوف لم يعهدوا مثلها من قبل . فقد أصبحوا يخشون أن يعاود العرب الهجوم عليهم . ويخشون أن يجتاح العرب دفاعاتهم مرة أخرى . ويخشون أن يضطر جنودهم للتقهقر مرة أخرى . ويخشون الضرب والدمار . ويخشون نشوب (جولة أخرى) تتعرض فيها المراكز السكانية لقصف الطائرات فتلحق بهم خسائر فادحة فى الارواح . وكذلك بثت الحرب فى نفوسهم شكوكا فى حكمة قادتهم العسكريين والسياسيين وفى عصمتهم من الخطأ وفيما اذا كانت أمريكا ستستطيع أن تزود اسرائيل بالعتاد الحربى فى الحرب وفى صحة الاستراتيجية والسياسات التى تنتهجها بلادهم وفيما اذا كان يمكنهم تحمل آثار حظر البترول العربى وفيما اذا كانت ايران أو أية دولة أخرى ستظل جارا ودودا لهم .

وفضلا عن هذا بثت حرب أكتوبر قلقا جديدا فى نفوس الاسرائيليين الذين اصبحوا الآن يشعرون بالقلق لأن صوت العرب اصبح يحقق النجاح فى منافسته لصوت الصهيونية فى الغرب . ويشعرون بالقلق من اقتصاد الحرب ومن ارتفاع نسب الضرائب التى يدفعونها ومن الازمات الاقتصادية وطول مدة الخدمة العسكرية وانخفاض أرقام الهجرة الى اسرائيل وارتفاع أرقام الهجرة منها وتدهور النشاط السياحى . والقلق من ضرورة اعتمادهم على امريكا ومن انه لم يعد امامهم دولة صديقة أخرى فى العالم يمكنهم الاعتماد

عليهـــا . والقلق ممـــا يمكن أن تنتهى اليـــه الامـــــور فى يـــوم مـــن الايـــام . لقـــد كانت الرقابة الشديدة على وســـــائل الاعـــــلام فى وقت الحـــرب تحجب أســـوأ الاخبار عن الشعب . أو على الاقـــل تخفف مـــن وقعهـــا أو تتأخـــر فى اعلانهـــا . ولاتزال كثير مـــن الحقائق محجوبة عن الشعب الاسرائيلى حتى الآن . وربمـــا ينتابهم الشك . والشك يـــولد القلق . ممـــا يعنى أن الروح المعنــــوية الاسرائيليـــة ليست كمـــا كانت من قبل .

ســـــباق التســـلح

لقـــد انتهت حـــرب أكتـــــوبر بالتعـــادل فلم يتضح فيهـــا مـــن المهـــزوم ومن المنتصر ✻ . ولمـــا كـــان كل من الطرفين يرفض الاعتراف بالهزيمة فانهمـــــا يستعدان لجـــولة أخـــرى ســــــواء اعترفا بهـــذا أم انكراه . وبنـــــاء على ذلك فـــان ســـباق التسلح فى الشرق الاوســـط لايزال مستمرا بـــل ويخطو أسرع من الخطى الســـابقة . ومن حقائق هذه الحـــرب هو انهـــا اسفرت عن خسائر مادية جسيمة لـــم تكن فى الحسبان . تقـــدر بالتقريب بحوالى ٥٠٠ طـــائرة وأكثـــر من ٢٥٠٠ دبابة . أمـــا بالنسبة لتكاليف الخسائر فى الذخائر والصواريخ والقواذف فقـــد وصلت الى معـــدلات لـــم يسبق لهـــا مثيـــل . وقـــد ادى هذا الارتفـــاع فى معـــدل الخسائر الى بث القلق فى نفوس مخططى حلف الاطلنطى التى اعتقـــد أن تقديراتهم كانت تعتمـــد على حسابات الحـــرب العالمية الثانية . والذين سرعان ماشرعـــوا فى اعـــادة تقييـــم مستويات مالديهم من المخزون وخطوط الامـــداد . وقـــد حدث هذا فى وقت انخفض فيـــه الانتـــاج الحـــربى الامريكى بعد انتهـــاء حـــرب فيتنـــام الى حـــوالى اربع طائرات فانتوم وثلاثين دبابة شهريا . وكذلك فان الانتـــاج الحربى السوفيتى انخفض هو الآخـــر . الا أن الاتحـــاد السوفيتى كانت لديـــه كميـــات من الطـــائرات والدبابات والمركبـــات والمدافع المستعملـــة التى كانت تزيد عن احتياجاته بعـــد البرنامج الذى نفذه مؤخـــرا لاعـــادة تجهيز قـــواته المسلحـــة .

✻ (١) « لعل أهم نتيجة استراتيجية للحرب هى تنفيذ الهدف الاساسى للرئيس السادات من شن هذه الحرب وهو انهاء حالة اللاسلم واللاحرب » ، « كانت الحرب صدمة نفسية قاسية للشعب الاسرائيلى فقد أدرك الاسرائيليون أن قواتهم المسلحة يمكن أن تقهر » — كولونيل تريفور ديبوى — من بحثه تحليل عسكرى لحرب أكتوبر ٧٣ ص ٥٨» .

(٢) « وبوجه عام لقد غيرت الدول العربية ميزان الشرق الاوسط بشدة واستعادت الشرق العسكرى العربى » — بريجادير جنرال متقاعد البرت ميرجلين فى بحثه « الدروس العسكرية المستفادة من حرب أكتوبر » — ص ١٢٩ .

(٣) « وكان الانتصار الاستراتيجى من نصيب العرب ، وكان من شأنه تغيير الموقف السياسى فى الشرق الاوسط تغييرا تاما — « جنرال ستيج لونجرين فى بحثه عن الصواريخ المضادة للدبابات والطائرات » — ص ٨٦ .

وكـان رد الفعل الحتمى من جانب الدول التى حاربت فى اكتـوبر ١٩٧٣ ازاء الخسائر الجسيمة التى لحقت بهـا هو الاسراع قـدر الامكـان فى اسـتعواض هذه الخسائر ممـا وسـع خطى سبـاق التسلح اذ بذلت كل الاطـراف جهـودا مستميتة لاستعواض خسـائرها واسـتكمال النقص فى الاسلحـة بـل ولتدبير مخزون للمستقبل كلمـا كـان ممكنـا . وبالنسبة للعـرب يبدو ان سـوريا فقط هى التى استطاعت بمعـونة السوفييت أن تستعوض ماخسرته حتى وصلت الى المستوى الذى كانت عليـه قبل حـرب اكتـوبر . وعلى الرغم من حصول مصر على بعض العتـاد الحربى السوفيتى الا أن ما حصلت عليـه ليس الا نسبـة ضئيلة ممـا كانت قد طلبته من قبـل . ولـم تنجح مصر فى استعواض خسائرها وبالذات فى الدبابات والطائرات والمدافع والصواريخ والذخائر .

ومن ناحية اخرى ليس من المبالغـة فى شىء أن نقـول ان اسرائيل حققت الشىء الكثير فى التصعيد الحـالى لسباق التسلح فى الشرق الاوسط . فالأمـر لايقتصر على ان امريكـا عوضتهـا عن كل ماخسرته فى الحـرب . بل ان امريكا كدست فيهـا مخزونا اضافيا من السلاح . وفضلا عن هذا فان اتفاقيـة سينـاء التى رتب لهـا كيسنجـر تتضمن تعهـدا بتزويد اسرائيل بأسلحـة تصـل قيمتهـا الى اكثـر بكثير من ٢ بليون دولار من بينهـا الطائرة الجديدة ف ـ ١٥ وصواريخ لانس بكميـات يكـاد لايصدقهـا عقل كمكافأة تشجيعيـة كبـرى بالسلاح لاسرائيل .

التصعيد الالكترونى

وكذلك فان حـرب اكتـوبر ادت الى تصعيد الكترونى جـديد اذ كانت بمثـابة ميدان اختبار للصـواريخ المتقدمة الامريكيـة والسـوفيتية وللوسـائل الالكترونيـة المضـادة لهـا . اذ ان اسرائيل حصلت فـورا على ٣٠٠ مستودع للوسـائل الالكترونية المضـادة لربطهـا بأجنحة الطائرات وكانت قـد رفضت اعطاءها لهـا منـذ اغسطس ١٩٧٠ . ولكن هذه الوسـائل لـم تكن متطـورة بمـا يكفى لشـل فاعليـة الصواريخ السوفيتية . فقامت امريكـا بارسـال مستودعـات وسـائل اخرى أكثـر تطورا عندما استمرت الحرب . واستطاعت هذه الوسـائل ان تواجه على قـدم المسـاواة صواريخ سـام التى اسـتخدمها العـرب . واعتقـد ان اسرائيل لديهـا الآن وسـائل الكترونية مضادة اكثـر تقدمـا من هذه الوسائل الاخيرة . بل ان المزيـد منهـا سـوف يصل اليهـا نظـرا لأن تطويرها مستمر ونظـرا لأن المؤسسة العسكرية الامريكية يهمهـا ان تختبـر آخـر واحدث ماأنتجـه فى مواجهة آخـر واحدث ماأنتجه السوفيت من صواريخ سـام التى يعتقـد انهـا وصلت الى سوريا من الاتحاد السوفيتى وفى نفس الوقت فان الطلب على الطائرات التقليدية لـم يطرأ عليـه اى نقصان

وعلى الرغم من ان حرب اكتوبر اظهرت ان الطائرة قد فقدت سيطرتها السابقة على الجو . الا انها لم تفقد فائدتها . كما اثبتت الحرب ان الطائرة الموجهة يمكنها دائما ان تصل الى الهدف ولكن تكاليفها ليست مقبولة فى كل الاحيان .

الاسلحة

لقد كان لميدان القتال الفعلى فى حرب اكتوبر ابرز الآثار على الفكر العسكرى فى كثير من الدول التى ظلت سنوات طويلة تقتنع بالنظريات والمفاهيم التى استخلصت من تجارب الحرب العالمية الثانية . وكان تصور الجيوش السوفيتية الجرارة المتحركة وهى تشق طريقها عبر مئات الاميال فى داخل السهول الاوربية تقابله الحكمة التى شاعت فى الحرب العالمية الثانية وهى التى تقول (ان الدبابة وحدها هى التى تستطيع أن تدمر الدبابة) الامر الذى أدى الى اصابة دوائر حلف الاطلنطى بالقلق لان الاتحاد السوفيتى لديه من الدبابات أكثر بكثير مما لدى الحلف — أما فى حرب أكتوبر — فقد ثبت ان الدبابة شأنها شأن الطائرة فقدت سيادتها السابقة على ميادين القتال . وأن الدبابات — حتى اذا كانت تهاجم بمجموعات — يمكن وقفها بل وتدميرها بواسطة رجال المشاة المسلحين بالصواريخ والقواذف المضادة للدبابات . اذا توفرت لديهم العزيمة اللازمة . وقد ادى ذلك الى ان يعيد حلف الاطلنطى تفكيره وهو مافعلته قوى اخرى خلاف الحلف لأن ثمن الصواريخ المضادة للدبابات يقل كثيرا عن ثمن الدبابات الامر الذى يعنى من الناحية التكتيكية امكانية استخدام اعداد كبيرة من هذه الصواريخ لسد الطريق على المدرعات المتقدمة . بل اننا نستطيع أن نتخيل جندى المشاة وقد اصبح فى هذا الموقف شبيها بحارس وهو يقف على الجسر مدافعا عن روما . وكذلك فان هناك من يفكر الآن فى تسليح قوات الحرب الشعبية التى تتخلف فى أية أراضى يكون العدو قد اجتاحها بالصواريخ المضادة للدبابات لتدمير المدرعات خلف الخطوط وعلى خطوط المواصلات .

الدفاع الخطى

ومن بين الآثار الاخرى التى تولدت عن حرب اكتوبر هو ان الاسرائيليين بدءوا يطبقون نظام الدفاع الخطى التقليدى على نمط يكاد يكون مماثلا للنمط السوفيتى الصارم . وكان المصريون والسوريون قد تمكنوا بفضل الاشراف السوفيتى عليهم من انشاء دفاعات خطية بعمق ثلاثة خنادق ومكشوفة الاجنحة . فى حين ان الاسرائيليين لم يقيموا أية دفاعات على الاطلاق . وادى هذا الى أن العرب كانوا يفكرون دائما بعقلية دفاعية ويميلون الى الاحتماء خلف هذه الدفاعات التى كانت تحد من حركتهم . ويعتبرون

القيام بالدوريات أو التجرؤ على التقدم اماما الى الارض الحرام عملا هجوميا جريئا . وهذا ادى بدوره الى ان الاسرائيليين أصبحوا يتمتعون بميزة الهجوم كما اعطاهم القدرة على اختيار نقطة يركزون فيها قوة هائلة ينطلقون منها كما حدث فى عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ . ومن ناحية اخرى فان الدفاعات الخطية يمكن الالتفاف حولها اذا دعت ضرورة سياسية لذلك كما حدث فى فرنسا فى عام ١٩٤٠ . أما بعد حرب اكتوبر فقد أصبح الاسرائيليون هم الذين يحتمون خلف الدفاعات الخطية كما اصبحوا يقفون فى نفس الموقف الحساس الذى كان العرب يقفون فيه من قبل .

النظرية السوفيتية

لقد أثبتت حرب اكتوبر أن النظرية العسكرية السوفيتية التى تعتمد على حشد القوات والمركبات والمدافع ليست بالضرورة أفضل نظرية بالنسبة لجيوش الشرق الأوسط التى يقل قوام كل منها كثيرا عن قوام الجيش السوفييتى . كما أنها تعانى عوامل مقيدة لا تنطبق على الجيش الروسى مثل أفتقارها الى احتياطى هائل من القوة البشرية المدربة . ويعتبر الشرق الأوسط منطقة محدودة النطاق لا تتسع لتطبيق النظرية السوفيتية التى تعتمد على استخدام الفرق الضخمة ، فان الحشد الكبير يلغى عنصر المرونة وهو عنصر حيوى عند مستويات معينة . وكان عدم توفره يعد عيبا واضحا فى القوات العربية فى الأيام الأخيرة من حرب اكتوبر ، كذلك فان تكتيكات الحشد السوفييتى تقضى على عنصر المبادأة وهو عنصر آخر يحتاج اليه العرب فى قتالهم ضد الاسرائيليين .

ويمكن القول بأن الأسلوب الفنى السوفييتى الذى يعتمد على مركزية الاشراف على آلاف المدافع يعتبر أفضل الاساليب المتبعة فى العالم . ومما لاشك فيه انه ساعد المصريين على أحداث الثغرات فى خط بارليف . ولكن يعيب هذا الأسلوب أنه يقوم على قوس ثابت بزاوية ٩٠° ولا يستطيع أن يتجه الا فى اتجاه واحد . ولذلك لا يتوفر له أى قدر من المرونة . وعندما عبرت القوات الاسرائيلية القناة الى الضفة الغربية لم يتمكن المصريون من تغيير اتجاهات المدافع بسهولة أو بسرعة صوب أهداف أخرى على جناح القوات العابرة أو على مؤخرتها ✻ . ويبدو من الافضل للشرق الاوسط أن يستخدم النظرية البريطانية القائمة على توفير (الدفاع فى كل الاتجاهات) لكل تشكيل ابتداء من مستوى الجيش حتى مستوى الجماعة .

✻ (١) تتميز خطة النيران فى المدفعية المصرية بأنها تغطى طرق الاقتراب المحتملة وكذا مواجهة القوات وعلى الاجناب كما يتم تخطيط النيران لتغطية العمق ولمواجهة أى احتمالات للابرار خلف الخطوط ، ويتم تنفيذ ذلك بواسطة جميع الاعيرة التى تتوفر لها القدرة على الضرب فى قوس دائرى ٣٦٠ .

(٢) تم تنفيذ حشد نيران على القوات الاسرائيلية بالثغرة بتجميع عناصر من مدفعيتى الجيش الثانى والثالث بما فيها بعض المدفعيات الموجودة فى الشرق وتم ذلك كله بسيطرة مركزية من القيادة العامة .

التصعيد النـــووى

اذا تمعنا فى حـــرب اكتوبر لراينا أنها ربما كانت مجرد تصعيد جديد نحـــو أخطر الحروب التى يدخل فيها استخدام الأسلحة النووية التكتيكية فى الشرق الأوسط لا سيما وأن هناك اعتقاد بأن اسرائيل قادرة على صنع الرءوس النووية الصـــغيرة بل بأنها تمتلك مخزونا من هذه الرءوس حتى وان كانت لم تجربها حتى الآن . وقـــد بدات اسرائيل فى تلقى صواريخ (لانس) من أمريكا وهى صواريخ قادرة على حمل الرءوس النووية واذا تجدد القتال بين اسرائيل والعـــرب فى المستقبل ولـــم تتمكن الرءوس ذات القوة التفجيرية العالية (التى أعلنت اسرائيل أنها ستضعها على هـــذه الصواريخ) من تدمير الدشم الخرسانية التى تحتوى صواريخ سام وغيرها من المعدات الالكترونية (وهو الهدف الاساسى الذى يبـــدو أن اسرائيـــل حصلت من أجلـــه على هذه الصواريخ) واستمرت الخسائر الفادحة فى سلاحهم الجوى . فماذا يمكن ان يحدث؟ أن من العسير الاجابة على السؤال وعن مدى ما يمكن أن تتحمله اسرائيل من الخسائر سواء فى الطائرات أو غيرها من العتاد الحـــربى . وعن مدى ما يمكن أن تخسره اسرائيل فى أثناء القتال حتى من الأراضى المحتلة قبل ان تشعر بما يغريهـــا على تصعيد القتال والوصول به الى المرحلة النووية رغم علمها أن الاتحاد السوفييتى قد يضطر للتدخل الى جانب العرب لتصحيح الميزان ولادخال الصـــواريخ النـــووية التكتيكية الى الشرق الأوسط . واذا وضـــعنا فى أعتبارنا هذا المنطق اليائس ، ورأينا القوات البرية العربية تنتصر على الاسرائيليين فى أى قتال فى المستقبل . فهل تصـــل الأمور الى نقطة يجد عندها الاسرائيليون ما يغريهم بأن يفعلوا ما فعله شمشون من قبل فيهدمون المعبد خيرا لهم من تكرار مأساة الماسادا .

تقييم للعمليات التى جرت على الضفة الغـــربية لقنـــاة السويس

يصور الاسرائيليون العمليات العسكرية التى قاموا بها على الضفة الغـــربية لقناة السويس كما لو كانت ملحمة بطوليـــة مجيدة ومثالا رائعا مما يستطيع الجندى الاسرائيلى الذى لا يقهر أن يفعله دون مشقة أو عناء ولكننا اذا نظرنا اليها نظـــرة فاحصة لوجدنا انها خليط غريب من المهارة العسكرية ، والحظ ، وحسن الاستغلال ، والعصيان من جانب جنرال اسرائيلى متعطش للشهرة العسكرية والسياسية ، والخطأ فى الحساب من جانب المصريين وافتقارهم الى المرونة والمبادأة * ويستحسن أن أبدأ التقييم بسرد ملخص لمـــا حدث .

---

* هذا ما تروج له الدعاية الصهيونية ولقد ثبت لاعضاء الندوة عكس ذلك ، فقد ظهرت المرونـــة فى القيادة والسيطرة المصرية على المستويين الاستراتيجى والتعبوى وخاصة بالنسبة للقرارات التى أتخذت للتطوير لتخفيف الضغط على الجبهة السورية ، ولاحتواء قوات اسرائيل غرب القناة ، وكلها ثبتت صحتهـــا .

ـ أنظر القيادة والسيطرة المصرية خلال عمليات أكتوبر ١٩٧٣ ـ لواء عبدالستار أمين ص ٢٣١ .

لقـــد كانت شبكة الدفاع الجوى المصرى تعمل على درجة عالية من الـــكفاءة جعلتها تسقط ما لا يقل عن عشر طائرات اسرائيلية فى أول ساعتين من القتـــال فى حرب أكتوبر ، الأمر الذى جعل قيادة القوات الجوية الاسرائيلية تحذر كافة الطيارين من الاقتراب من هذه الشبكة لاكثر من مسافة ١٥ — ٢٠ كيلو مترا . وقد أثبتت هذه الشبكة — التى أنشئت فى اثناء المراحل الاخيرة من حرب الاستنزاف فىالفترة من ١٩٦٨ الى ١٩٧٠ — أثبتت فاعليتها فى الأيام الأخيرة التى سبقت وقف اطلاق النـــار فى ٧ اغسطس ١٩٧٠ عندما اسقطت ست طائرات اسرائيلية . وقـــد أعدت اسرائيل خطة لمواجهة هذه الشبكة معروفة بأسم « عملية الغزالة » تقضي أن تغير قوة اسرائيلية على الضفة الغربية للقناة لكى تدمر مواقع ومنصات الصواريخ بهدف احداث ثغـــرة فى شبكة الدفاع الجوى يمكن للطائرات الاسرائيلية ان تخترقها للقيام بعملياتها فىمنطقة الضفة الغربية ، واختارت وأعدت اسرائيل ثلاث نقط للعبـــور ، وقد تـــم تجهيـــز ثلاث ثغـــرات فى الساتر الترابى على الضفة الشرقية لقناة السويس فى هذه النقط حتى تتمكن المركبات والمعدات البرمائية الذاتية الحركة من الوصول الى القناة ذاتها ومن بين النقط التى اختاروها للعبور نقطة تواجه مطار الدفرسوار البريطانى القديم.

وكان الجنرال شارون قد وضع الخطة وأعد ترتيباتها عندما كان يراس القيادة الجنوبية الاسرائيلية ، وقد تم استدعاؤه من الاحتياط فى أثناء الحرب ليتولى قيـــادة احدى فرق الاحتياطى . وكان شارون قبل الحرب عضوا فى الكنيست معـــــروفا بالغلظة وضيق الصدر مع رؤسائه الذين كان بعضهم الى عهد قريب مرعوسين له ، واراد شارون تنفيذ خطته فى الأيام الأولى من الحرب ولكن الأركان العامة الاسرائيلية منعته من ذلك لأنها لـــم تكن واثقة من نفسها وقتئذ ، وكانت تريد أن تعمل أولا على وقف تقدم القوات العربية ثم التركيز على الجبهة السورية قبل أن توجه هجماتها الى الجبهة المصرية .

وفى يوم ١١ أكتوبر ١٩٧٣ اطمأن الاسرائيليون الى استقرار وضعهم على الجبهة السورية ، ولذلك اعطوا اولوية للنشاط الجوى على جبهة قنـــاة السويس وبدأوا فى تحريك قواتهم ودباباتهم وعتادهم الحربى صوب الجنوب ، وهناك انتظروا بضعة ايام كانوا فى خلالها يراقبون المصريين وهم ينقلون مـــدرعاتهم ومن بينهـــا جـــزء من احتياطيهم الاستراتيجى الى الضفة الشرقية وبعد أن أنتهت معركة الدبابات التى دارت يوم ١٤ اكتوبر — والتى يقول الاسرائيليون انهم انتصروا فيها — انتهت حساباتهم الى ان المصريين ليست لديهم النية للقيام بأى تحرك آخر صوب الشرق . وبدا الجسر الجوى الأمريكى يوم ١٤ اكتوبر ونقـــل الى اســـرائيل كميـــات هـــائلة من المـــواد العسكرية ، وفى اليوم السابق (١٣ أكتوبر) كان الاسرائيليون قد تلقوا التقارير التى جمعتها طائرتا التجسس الأمريكية (بلاك بيروس ر — ٧) اللتان حلقتا فوق منطقة القناة ، وافادت هذه التقارير أن منطقـــة تمتد حوالى اربعين كيلو مترا وتكاد تخلو من القوات تقع على الضفة الغربية على جانبى الدفرســـوار وتقابلها على الضـــفة

الشرقية منطقة مماثلة الا انها أضيق نطاقا منها وبفعل هذه العوامل وتلك المعلومات كفت الأركان العامة الاسرائيلية عن معارضها لعملية الغزالة ، وأصدرت أمرها في يوم ١٥ أكتوبر الى جنرال شارون وفرقته من الاحتياط المسماة « مجموعة العمليات ٤٥ » والمرابطة في منطقة الطاسة « والمؤلفة من ثلاثة الوية مدرعة ولواء مظليين » بفتح الطريق الترابي الممتد من الطاسة الى القناة عند الدفرسوار ، وبابقائة مفتوحا، ثم الاستيلاء على مساحة من الارض على الضفة الشرقية عرضها أربعة كيلو مترات ثم عبور القناة والاستيلاء على مساحة مماثلة تتخذ كرأس جسر على الضفة الغربية حتى يتسنى لفرقة أخرى (سميت مجموعة العمليات ١٣١) بقيادة جنرال أدان — وهو ضابط عامل — أن تصل الى فرقة شارون ثم تواصل تقدمها .

وفى الساعة ١٧٠٠ دفع شارون بأول لواء مدرع من الطاسة الى ناحية الغرب لتثبيت العناصر المتقدمة من الجيش الثانى المصرى ، وفى نفس الوقت تحرك اللواء الثانى المؤلف من ثلاث كتائب فى الساعة ١٨٠٠ وقام بحركة التفاف واسعة عبر الصحراء تجاه الجنوب فوصل الى شاطىء البحيرات المرة الكبرى دون أن يواجه اية مقاومة ومن هناك اتجه ناحية الشمال ، ثم ناحية الشمال الشرقى بمحاذاة الطريق الى الطاسة وهناك اجرى اتصالا مع لواء المظليين واللواء المدرع الثالث ووحدة مهندسى الكبارى التى كانت فى الانتظار . وواجهت هذه الوحدة فى طريقها بعض المقاومة مما نبه المصريين وجعلهم يبدأون قصفها بالمدفعية . وتحرك اللواء الثانى تجاه الشمال على الطريق المحاذى لضفة القناة لتثبيت الجناح الجنوبى من الجيش الثانى المصرى، فى حين أن اللواء الثالث بالاضافة الى مركز قيادة جنرال شارون اتجها الى الغرب ناحية المكان المختار للعبور حيث بدأت البولدوزرات فى توسيع وتحسين الثغرة فى الساتر الرملى .ووصلت قوة تحمل معها زوارق من المطاط على مركبات نصف مجنزرة كما وصلت بعض المعدات الذاتية الحركة التى تستطيع كل منها أن تنقل مركبة مدرعة .

وفى الساعة ١٠٠ من يوم ١٦ أكتوبر بدأ رجال شارون يعبرون القناة فى زوارق المطاط وسرعان ما اصبح له على الضفة الغربية ما يقرب من مائتى جندى وست عربات مدرعة. وفى الساعة ٦٠٠ بدأت تصل دبابات اللواء الثالث وفى الساعة ٧٣٠ . كانت معظم دبابات اللواء قد نقلت بالمعدات عبر القناة وبذلك وصل عدد الدبابات على الضفة الغربية الى ثلاثين دبابة . وعند وصول الاسرائيليين الى الضفة الغربية بدون مقاومة أطلق المصريون عليهم نيران المدفعية ولذلك ابتعدوا عن حافة الماء الى المنطقة الريفية المجاورة حيث اختبأوا بين الأشجار وفى الحقول فلم تكتشفهم طائرات الاستطلاع المصرية التى حلقت فوق المنطقة فى وقت لاحق فى اليوم نفسه ويدعى شارون الذى سقط من رجاله مائتان فى أثناء نزولهم الى الشاطىء انه دمر أربع مواقع لصواريخ سام وبذلك فتح ثغرة فى شبكة الدفاع الجوى لتدخل منها الطائرات الاسرائيلية .

وتجاهل شارون تجاهلا تاما الأمر الذى صدر اليه من قبل باحتلال جــزء من الاراضى على كلتا الضفتين وقام فى الحال بارسال مجموعة مدرعة صغيرة ناحية الشمال الى مدينة الاسماعيلية، ولكن هذه المجموعة ابيدت عن آخرها ولذلك بدأ فى التحرك جهة الغــرب . وفيما بعد انكر شارون أنه كان يريد ان يصبح اول قائد اسرائيلى يخترق ارض « أفريقيا » ذاتها ولكن هذه العملية كانت ستكسبه قدرا هائلا مــن المجــد العسكرى والسياسى ، وبعــد ذلك ادعى شارون أنه لاسباب سياسية صدرت الاوامر الى جنرال أدان وليس اليه شخصيا بالاستمرار فى التقدم على الضفة الغربية . وفى نفس الوقت فان الجيشين المصريين الثانى والثالث شنا هجمات مضادة اغلقا بهــا « الطريق الضيق » الذى كان رجال شارون قد فتحوه بمحاذاة الطريق من الطاسة ، ومن الجدير بالذكر بصفة خاصة أن موقعا مصريا يعرف لدى الاسرائيليين « بالمزرعة الصينية » تمكن من أغلاق نقطة العبور الاسرائيلى ، وتمكن المصريون من منع وحدة الكبارى الاسرائيلية من الوصول الى القناة ، وطوال اليومين التــاليين ظلت فرقــة جنرال أدان المؤلفة من لواءين مدرعين ولواء ميكانيكى تقاتل فى محاولة لاعــادة فتح طريق الطاسة وأصيبت بعدد من الخسائر فى الافراد فى أثناء هذه العملية .

وظن المصريون أن عملية العبور الاسرائيلى ليست سوى غارة شبيهة بما يقوم به الفدائيون ، وتباطأوا فى نقل أخبارها الى القيادة العامة ، حتى أن الرئيس السادات لم يكن لديه علم بها عندما القى خطابه فى مجلس الشعب * ظهر يوم ١٦ أكتوبر . وقد تعمدت جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل أن تؤجل خطابها فى البرلمان الاسرائيلى الى الساعة ١٦٠٠ وهو الموعد الذى كان محددا للقوات الاسرائيلية أن تنزل فيه على الضفة الغربية لقناة السويس . وعندما بلغ الخبر المشير اسماعيل على فى النهاية قال ان التقرير يتحدث « عن تسلل ثلاث دبابات اسرائيلية » ، وابلغنى فيما بعد بأنه اصدر امره الى كتيبة صاعقة للتعامل معها . ولم ينزعج الرئيس السادات عند سماعه لهذا الخبر لأنه كان يظن أن أدعاء مسز مائير كان حيلة من حيل الحرب النفسية القصد منها أن يفقد رباطة جأشه .

وكان المصريون لا يزالون يعتقدون أن العبور الاسرائيلى لم يكن سوى عملية فدائية ، وفى اليوم التالى الموافق ١٧ أكتوبر ارسلوا لواء المظليين ١٨٢ للتعامل مــع قوات العبور الاسرائيلية ، وفى اثنــاء انتشار أفراد اللواء صدر اليهم الأمر بالاندماج فى خطوط الدفاعات الثابتة الأخرى حتى لا يكشف أمرهم . وفعلوا ذلك برغم احتجاج قائدهم وفى هذا الوقت كان الاسرائيليون قد تمكنوا من احتلال عــدد من الســواتر الرملية على الضفة الغربية وبدأوا يطلقون النيران على مــؤخرة القــوات المصرية الموجودة على الضفة الشرقية . واستمر القتال دائرا طوال اليوم فى ممر الطاسة

---

* فى هذا التوقيت كان الرئيس السادات يلقى خطابه فى مجلس الشعب ، والنصر العسكرى المصرى فى قمته ، ويقدم مبادراته السلمية للعالم لوقف القتال والعمل من اجل سلام عــادل يحل مشكلة الشرق الاوسط .

فى محاولة من جنرال ادان لفتح الطريق . وفى أثناء هذا القتال تمكن الاسرائيليون من دحرجة الكوبرى فى بطء على الطريق وسط قذائف المدفعية ونيران الأسلحة الصغيرة وكانت ضربة حظ مذهلة لهم .

وكان الاسرائيليون قبل ذلك يجرون التجارب على أنشاء الكبارى المصنوعة من عـــدة أجزاء لهذا الغرض بالذات ، وتوصلوا الى صناعة كوبرى يتألف اساسا من الواح مقامة على براميل زيت مملوئة بالبوليريثين ، وكان عبارة عن نموذج أصلى ، ولم يكونوا قد توصلوا بعد الى وسيلة الربط بين هذه الأجزاء عند القائها فى الماء .

وتم تجميع الكوبرى بأكمله بالقرب من الطاسة وعلى بعد عشرين كيلو مترا من القناة ووصل طوله الى مائتى متر ووزنه الى حوالى خمسمائة طن ، ووضعوه فوق عدد من « بكرات » لتسحبه عشـــر دبابات باتون عبر ميدان القتـــال ، تتقدمهـــا ست بولدوزرات ، ليمكن تركيبه فى النقطة المحددة لــــه لتمكين العناصر المتقدمة من فرقة ادان من عبور القناة .

ولم يتنبـــه المصريون تماما الى خطورة الموقف الا فى اليوم التالى الموافـــق ١٨ اكتوبر وفى هذا الوقت كانت اعداد كبيرة من الطائرات الاسرائيلية تقصف القوات البريـــة المصرية عن طريق الثغرة التى حدثت فى شبكة الدفاع الجوى المصرى * ، ولكن ما أن بـــدأ الاسرائيليون هذا القصف حتى بـــدأ المصريون فى القصف المدفعى على رأس الجسر الاسرائيلى الذى كان يتســـع شيئا فشيئا طوال الثلاثة أو أربعـــة أيـــام التالية حتى وصل الى حوالى ٢٥ كيلو متر عرضا و١٨ كيلو متر عمقـــا . ونفذت ذخيرة بعض الدبابات الاسرائيلية لان العربـــات المدنية التى أستولى عليها الجيش الاسرائيلى لم تستطع ان تصـــل اليهم عبر الرمـــال . وهزم الاسرائيليون موقـــع المزرعـــة الصينية ولكنهم لم يحتلوه ، وأقاموا جسرا آخـــر عبـــر القنـــاة مـــكونا من قطعة واحدة ، وبعد اقامة هذا الكوبرى الثانى أصبح لـــدى الاسرائيليين يـــوم ١٩ اكتوبر على الضفة الغربية للقناة أربعة الويـــة مدرعة ولواء ميكانيكى ولواء من المظليين ، وتعرضت هذه الالوية للقصف مـــن جانب المصريين . ودخلت الطـــائرات المصريـــة أيضا الى مسرح الأحداث وقامت فى ذلك اليوم وفى الأيام التالية لــــه بأكثر من ثلاثة آلاف طلعـــة ضـــد الثغرة .

وفى يـــوم ١٩ أكتوبر قام الفريق الشـــاذلى بزيارة الى الجبهة وعـــاد فى وقت متأخر من الليـــل الى القيـــادة العامة لكى يقدم تقريرا عن الموقف الى الرئيس السادات والمشير اسماعيل على، وأوصى أنه حتى يمكن منع العدو من محاصرة الجيش الثالثفمن

---

* لم تحدث ثغرة الدفاع الجوى المصرى طوال فترة الصراع المسلح ، ولكن ماحدث هو انتقـــال كتائب الصواريخ والمدفعية المضادة للطائرات الى مواقع تبادلية فى العمق غربا (أنظـــر بحـــث الفريق محمد على فهمى عن دور الدفاع الجوى المصرى فى حرب اكتوبر ١٩٧٣. ص ٧٨) .

الضرورى سحب الفرقة ٢١ المدرعة وغيرها من العناصر المدرعة والصواريخ من الضفة الشرقية الى الضفة الغربية للمساعدة فى تطويق قوة شارون ، ورفض المشير اسماعيل الموافقة على هذا الرأى قائلا أن هذا السحب سيؤثر تأثيرا سيئا على الروح المعنوية ، حتى لا يحدث انهيار مفاجىء للقوات كما حدث سنة ١٩٦٧ وأيده الرئيس السادات لأنه رأى انه سيفقد الميزة السياسية التى أصبح يتمتع بها اذا انسحبت — مثل هذه القوات الكبيرة من الضفة الشرقية — وبناء على ذلك لم ينفذ رأى الفريق الشاذلى .

وصدرت الأوامر الى جنرال شارون بالابتعاد عن الطرف الغربى لرأس الجسر حيث كان لايزال يحاول التقدم . وفى يوم ٢٠ اكتوبر صدرت اليه الأوامر باحتلال موقع المزرعة الصينية ، فرد قائلا بأن احتلالها ليس شيئا ضروريا ، وعندما طلب قائده الجنرال جونين اعفاؤه من القيادة فورا تخطاه شارون ولجأ مباشرة الى ديان وزير الدفاع فأصدر أمرا معارضا لأمر جنرال جونين .

ونشط السلاح الجوى المصرى وقام بعدد من الغارات الناجحة ضد الكوبريين الاسرائيليين ، وادعى أنه أصاب الكوبرى الاول يوم ١٧ ولكن الاسرائيليين أصلحوه فى أثناء الليل ، فأصابة ثانية يوم ١٨ ولكن الاسرائيليين أصلحوه مرة أخرى فى أثناء الليل أيضا ، وكذلك فان الطائرات المصرية اصابت الكوبريين المتقاربين يوم ١٩ ولكن الاسرائيليين سارعوا باصلاحهما تحت جنح الظلام ، وفى يوم ٢١ شن المصريون هجوما جويا أدى الى اغراق أحد الكوبريين لحظة عبور ست دبابات اسرائيلية عليه مما أدى الى أن هوت جميع هذه الدبابات الى قاع القناة . وكذلك أغارت عشرون طائرة مصرية يوم ٢١ أكتوبر على الكوبريين فعطلتهما عن العمل بضع ساعات . وهكذا أدت الغارات الجوية الى تعطيل عملية الحشد الاسرائيلى على الضفة الغربية وبثت القلق لدى الأركان العامة الاسرائيلية وحالت دون عبور الفرقة الثالثة (المعروفة بمجموعة العمليات ٢٥٢) بقيادة جنرال ماجين والمؤلفة من لواءين مدرعين وثلاثة ألوية ميكانيكية .

وفى ليلة ٢١ اكتوبر سحب المشير اسماعيل بعض عناصر شبكة الدفاع الجوى من منطقة ضفة القناة ، وفى اليوم التالى بدأت فرقة جنرال « آدان » تتحرك ببطء نحو الجنوب عبر ما أصبح مجرد مناطق ادارية بعد ان تم سحب الكثير من القوات المقاتلة وكانت الأوامر قد صدرت الى القادة الاسرائيليين بألا يتعجلوا فى القتال حتى يمكنهم الحد بقدر الامكان من الخسائر فى الافراد فقد كان هناك انطباع بأن امريكا لن تسمح للعرب ببدء الحرب ثم توقف الحرب فجأة عندما تجد أن الاسرائيليين يتقدمون . وعلى الضفة الغربية كان هناك افتقار

للسيطرة والقيادة ، ويبدو أن المستويات العليـــا من القيـــادة المصرية أصيبت بحالة من الشـــلل * .

وتـــم سحب معظم القوات المصرية الى ارض مرتفعة بعيدا عن القناة بمسافة تتراوح بين ٣٠٠٠ ، ٤٠٠٠ مترا ، وراح المصريون يراقبـــون الاسرائيليون دون أن يطلقوا النيران عليهم ، وفى هذا الوقت كان لدى الاسرائيليين على الضفة الغربية ما يقرب من اثنى عشر لواء ، سبعة مدرعة واربعة ميكانيكية ولـــواء من المظليين بالاضافة الى أكثر من ٣٥٠ دبابة وكثير من المدافـــع والمركبات . وفى أوائل نهار ٢٢ أكتوبر صـــدر قرار من مجلس الامن يدعو الى وقف اطلاق النـــار فى مدى اثنى عشر ساعة ، بمعنى أنـــه يصبح سارى المفعول فى الساعة ١٨٥٢ ولكن الاسرائيليين تجاهلوه .

وفى اليوم التالى وعلى الرغم من قرار وقف اطلاق النـــار واصل الاسرائيليون تقدمهم وفى المســـاء وصلوا الى مشـــارف مدينة السويس ، وشنوا عليها هجومـــا صغيرا ولكنهم لم ينجحوا فيه . وفى يوم ٢٤ أكتوبر ادعـــى المصريون أن الاسرائيليين أستولوا على الأدبية بالحيلة والخداع بعد سريان وقف اطـــلاق النار الثانى اذ وافق الاسرائيليون الذين كانوا يتقدمون ويطلقون النيران منذ الفجر على أن يبقـــوا! حيث وصـــلوا وقتذاك — وفى الساعة ١١٣٠ عندما أقترب مراقبـــو الأمم المتحدة استخدمهم الاسرائيليون درعا يحتمون بـــه وانســـلوا حول الخليج من مينـــاء السويس لاحتلال الأدبية ، وبهذا تمكنوا من الادعاء من الناحية الفنية انهم طوقوا الجيش الثالث المصرى . وفى ذلك اليوم وعلى الرغم من وقف اطلاق النار شن الاسرائيليون هجوما كبيرا الى حـــد ما على مدينة السويس الساعة ١٠٠٠ وواصلوه حتى الساعة١٧١٥ . ومـــرة أخـــرى لم ينجحوا فى تحقيق هدفهم ، وقتـــل فى هذه المحاولة كافـــة كبار ضبـــاط الكتيبة المتقدمة وهم ضابط رتبـــة رائد وخمســـة رتبة نقيب ، كذلك وصلت فى نفس اليوم قـــوة اسرائيلية اخرى واتجهت نحو الغرب على الطريق من السويس الـــى القاهرة وواصلت تقدمها على هذا الطريق الى أن اوقفت عند الكيلو ١٠١ (من القاهرة) .

ومرة اخرى منعت اسرائيل وصول المؤن التى ارسلها الصليب الأحمر الدولى الى الجيش الثالث المصرى ، وكانت قد فعلت نفس الشىء فى اليوم الســـابق ، وفى نفس الوقت كانت الطائرات الاسرائيلية تلقى اكوامـــا من المنشورات على المصريين تحثهم على الاستسلام . وفى الساعات الاولى من يوم ٢٥ أكتوبر تدخل الرئيس الامريكـــى نيكسون وأصدر أمرا باعلان التعبئة فى القوات النوويـــة ولا نستطيع أن نجزم بأنه لم يفعل ذلك أساســا الا لكى يخفض من حدة فضية ووترجيت . وتمادى الاسرائيليون

---

* كانت المرونة هى السمة البارزة للقيادة المصرية طوال فترة العمليات — انظـــر تعليـــق اللـــواء عبدالستار أمين على «القيادة والسيطرة المصرية خلال عمليات أكتوبر ٧٣ ص ٢٣١ ») .

فى تجاهل وقف اطلاق النار وشنوا هجوما آخر على مدينة السويس الساعة ٨٠٠ الى الساعة ١٥٥٠ فى يوم ٢٥ اكتوبر ، ولكنهم فشلوا فيه ، وقد استخدموا فى هذا الهجوم مجموعات من الدبابات السوفيتية من قبيل الخداع . ومع ذلك شن الاسرائيليون هجوما جديدا على السويس يوم ٢٨اكتوبر استمر من الساعة ٦٦٠ الى الساعة ١١٣٠، ولكن المدافعين المصريين نجحوا مرة أخرى فى حماية المدينة .

التعقيب

كان أكبر تأثير للعمليات العسكرية الاسرائيلية على الضفة الغربية هو ذلك الذى حدث بالنسبة لهيبة الدولتين المتحاربتين وخاصة فى الخارج ، فقد استخدمتها اسرائيل كهالة أحاطت بها صورة الجندى الاسرائيلى الذى لايقهر «وهى الصورة التى أصيبت بالاهتزاز الشديد بل كادت تختفى تماما فى المراحل الأولى من حرب أكتوبر» وادعى الاسرائيليون أن هذه العمليات تدل على أنهم قادرون على غزو أفريقيا فى أى وقت يشاءون ، وادعوا أن الجندى الاسرائيلى قد يباغت فى البداية ولكنه ما أن يقف على قدميه حتى يستعيد قوته فيفر العرب أمامه كعهده بهم . ومن ناحية أخرى فان وصول الاسرائيليين الى الضفة الغربية كان له أثر سىء هز صورة الجيش المصرى الذى فاجأ العالم بعمله الرائع فى المرحلة الأولى من الحرب . وقد اتخذ الاسرائيليون من هذه العملية وسيلة للدعاية حاولوا استغلالها الى أقصى حد ممكن ، مما سمح لهم بأن يعطوا العالم الذى يرقب الاحداث انطباعا بأنهم يستطيعون عبور قناة السويس فى أى وقت يشاءون وان المصريين لايستطيعون التصدى لهم ، وفى هذا الادعاء اشارة بعيدة الى ان الجنرالات الاسرائيليين يتمتعون بالكفاءة والجراة والقدرة على الحركة وتحقيق النجاح فيما يقومون به فى حين أن المصريين يشينهم عدم الكفاءة كما يشينهم التفكير البطىء وعدم المرونة فى التحرك .

ولاشك أن الاسرائيليين نجحوا فى العبور بضربة حظ ، على الرغم من أنهم يرفضون الاعتراف بذلك ، وعلى سبيل المثال حدث ما كان لا يمكن أن يصدقه عقل ، اذ كيف يعقل أن يتمكنوا من سحب كوبرى طوله ٢٠٠ متر ووزنه ٥٠٠ طن مسافة عشرين كيلو مترا عبر ميدان قتال دون أن تصيبه أية أضرار ولكن هذا هو ماحدث بالفعل . وكان جنرال ديان وجنرال شارون محظوظين واستمرا كذلك فى حين أن الجنرالات المصريين كانوا أقل حظا . ويمكن القول بأن الجنرال شارون المعروف بفطرسته وعصيانه للأوامر وتعطشه للشهرة والدعاية أصبح يعتبر الورقة الرابحة فى اسرائيل لان اختلافه مع رؤسائه ، وتعاليه الصريح على قيادته ، وحديثه الصحفى الذى أدلى به على الضفة الغربية متحديا الأوامر التى صدرت اليه واطماعه السياسية والعسكرية أدت الى حث الأركان العامة الاسرائيلية المتحفظة بأن أعطتها قوة الدفع الضرورية لاصدار الأمر بالعبور ولولا ذلك لما أصبحت عملية الضفة الغربية نجاحا عسكريا . وقد حاولت الأركان العامة —

ردا على موقف وأفعـــال شـارون ــ أن تستخدم جنرالات نظاميين مثل جنرال آدان فى عمليات الاستمرار فى التقدم مع محاولة وقف شارون عن التقدم لكى تحرمه من أن يصبح الجنرال البطل الاسرائيلى الوحيد فى حرب أكتوبر .

وفى بدايـــة الأمر كانت الأركان الاسرائيلية تشـــك كثيرا فى امكان تنفيذ عمليـــة الغزالة ، بـــل اننى أشـــك فى أنهـــا فكرت جديـــا فى تنفيذها بعد أن اهتزت امـــام الهجمات المضـــادة الضارية التى شنها المصريون على طريق الطاســـة ، وكـــانت تشـــك فى أنها تستطيع الاحتفاظ ولو بقـــوة مدرعة صغيرة على الضفة الغربيـــة لأنها كانت تعتبر العملية محفوفة بالمخاطرة الشديدة . ولكـــن الحـــاح شـــارون واستهزاؤه بالأركان العامة جعلهـــا توافق على العملية ولهذا قـــام بها . وعندمـــا بدأت العملية رأت الأركان العامة الاسرائيلية ان من الحكمة عدم مواصلة التقـــدم نظرا للهجمات الجوية المصرية التى تعرض لهـــا الاسرائيليون عـــدة مرات ، وكانت الطائرات الاسرائيلية لاتزال تخشى شبكة الدفاع الجـــوى المصرية على الرغم مـــن اصابتها « بالفجوات » ، ذلك لأن الاسرائيليين لم يكونوا واثقين من أن المصريين قـــد تلقوا من الأتحاد السوفيتى عددا من صواريخ ســـام ومدافع زد ــ اس ــ يو المضادة للطائرات التى تحتمل ان تكون مزودة بنظم متطـــورة من رادارات التوجيه يتعذر على الاسرائيليين مواجهتهـــا بالوسائل المضـــادة الالكترونية .

ويحتمل أن الاسرائيليين كانوا قد وضعوا فى أذهانهم اقامـــة رأس جسر صغيرة لايزيد عمقهـــا عن خمسة كيلو مترات وربما أقـــل من ذلك ولم يتوقعـــوا أن تصـــل فى النهاية الى عمق ١٨ كيلو مترا غربى القناة ، وكان هدفهم الرئيسى هو بث القلق فى نفوس المصريين واصابتهم بالذعـــر لاضطرارهم لسحب قواتهم من الضفة الشرقية وبذلك لا ينقطع خط الامدادات عن الاسرائيليين غرب القناة . وكذلك فان « رأس الجسر » أقيمت فى منطقة ريفية مملوءة بالأحراش والحقول المزروعة وقنـــوات الرى التى تعوق الحركة ، ويمكن القول بأنها كانت أيضا صالحة لجنود المشـــاة ولكنهـــا تستطيع أن تبتلع المركبات ولا تصـــلح لعمليات المدرعـــات . وكـــان الاسرائيليون يفضلون القتـــال فى الارض الصحراوية المكشوفة حيث يشعرون بأنهم يتفوقون على المصريين فى المهـــارة فى استخدام المدرعـــات .

وكانت الأركان العامة الاسرائيلية تريـــد تجنب الخســـائر فى الأرواح أو الحد منها قـــدر الامكان بعد أن روعت من ارتفاع معدلهـــا ــ رغم أنها لم تعلن ســـوى جـــزء منها ــ وكذلك لانها شعرت بالقلق مما يمكن ان يسببه المزيد من هذه الخسائر على الروح المعنوية . وقد أدى هذا الحـــذر المقيد الى أن الأركان العامة أمـــرت ببقـــاء القوات التى عبرت فى منطقة راس الجسر حتى يوم ٢٢ أكتوبر على الرغـــم من أنها كانت قد اتسعت . ولم تتحرك فرقـــة جنرال آدان جنوبـــا صـــوب مدينة السويس الا يـــوم ٢٣ أكتوبر فى أثناء وقف اطـــلاق النـــار ، وكانت تتحرك ببطء

وحذر متناهيين ، وكانت القوات الاسرائيلية ــ كلما توقفت فى اثناء الليل ــ تقــوم بتجميع الدبابات والمركبات باحاطة نفسها بحقل كثيف واســع من الالغــام الحامية . ويقول ســلاح المهندسين المصريين بعد انسحاب الاسرائيليين من الضفة الغربية انه رفــع أكثر من ثلاثة أرباع مليون لغــم كانوا قد بثوهــا هناك ومعظمها من الالغام الامريكية المضــادة للدبابات والمزودة بفتائل حديثة . ولولا الكميات الهائلة من المعونات الامريكية التى مكنت الاسرائيليين من القيام بأكثر من ألف طلعة طيران يوميــا عبر الثغرة مثل الطائرات الحديثة والوسائل المضادة الالكترونية لمواجهة الصواريخ السوفيتية. والدبابات والمدافع الجديدة والاعداد الكبيرة من الصواريخ والكميات الهائلة مــن الذخيرة ولولا كل هذا لما تمت عمليــة الغزالة . واخيرا فان التجاهل الصارخ من جانب اسرائيل للاتفــاق على وقف اطلاق النــار اكثر من مرة مكنها من التقــدم والاستيلاء على أراضى كان يستحيل الاستيلاء عليها فى ساحة القتال .

الا اننا اذا نظرنا الى المصريين فاننى اعتقد انهم لا يستطيعون القاء المسئولية كلهــا على سوء الحظ لانهم ارتكبوا عددا من الاخطــاء وأضاعوا عددا من الفرص وأخطأوا فى عدد من الحسابات . وكان مــرد الخطــأ المصرى الاكبر الى أن مصر اعتمدت أكثر من اللازم على النفــوذ السوفيتى الذى تــرك أثره على التكتيكــات والتحركات والى أنها اعتقدت أكثر من اللازم فى النظريات العســكرية السوفيتيــة التى تقــوم على الحشــد والنمطيــة ، لأن النمطيــة تلغى المرونــة ،ونظــرا لعــدم توفــر القــدر المطلوب مــن المــرونة لــدى القيــادة العليــا المصرية لــم يتمكن الجيش المصرى من الاسراع بالتصرف والتعــامل مــع التهــديد الأسرائيلــى لأخمــاده قبــل أن يســتفل أمــره * لقــد حــدث أن رجــال المدفعيــة المصرية كانوا يرون الاسرائيليين يتحركون ببطء ودون مقــاومة فى بعض الأحيــان ناحية الجنوب بمحاذاة الضفة الغربية لقناة السويس ، ولكنهم كانوا مضطرين للسكوت انتظارا للأوامر الّتى لم تصــل اليهم مطلقا ** وفضلا عن هذا فان عنصر المبــادأة الفردية من جانب قــادة الوحدات الصغيرة لم يكن متوفرا رغم أنــه عظيــم الفائدة فى مثل هذه الظروف الطارئة ، وهكذا لم تصــل الأوامر ولم يتقدم أحد لتحمل المسئولية . ومن المعروف أن الكتلة الخاملة تستلزم شيئا من الوقت والطاقــة لكى

---

* ثبت فى الندوة أن المصريين كان لديهم أسلوبهم الخاص فى القيادة والسيطرة ، والذى تم تطويرة عقب حرب ٦٧ وخلال حرب الاستنزاف ، ولم يبق الاسلوب الروسى المتبع دون تطوير ـ أنظر القيادة والسيطرة المصرية خلال عمليات أكتوبر ٧٣ ـ لواءعبدالستار أمين ص ٢٣١ .

** كانت تتوفر لدى قادة المدفعية المصريين على جميع المستويات تعليمــات مستديمة منذ حــرب الاستنزاف بفتح النيران فورا دون الحصول على تصديق الرئاسة الأعلى ، بمجرد اكتشــاف نية العدو للتأثير على القوات غرب القناة ، ولقــدظهرت روح المبادأة لدى رجال المدفعية خــلال عمليات أكتوبر ٧٣ بشكل يخالف تماما انطباع البــاحث .

تتحرك من جديد وتولد قوة دفع لنفسها . وبالمثل أخطأ المصريون الحساب فى تقديرهم بان اسرائيل لا تستطيع أن تحشد للجبهة المصرية اكثر من عشرة الوية أو احد عشر لواء ، الا انها استطاعت أن تحشد لها سبعة عشر لواء ✻ .

لقد أبرزت هذه العمليات شجاعة وصلابة صغار الضباط وصف الضباط والجنود المصريين الذين صمد كثير منهم فى جيوب مقاومة صغيرة فى المناطق التى أدعى الاسرائيليون انهم احتلوها . وأصيب الاسرائيليون بخيبة أمل عندما فشلوا فى اقتحام مدينة السويس ولكنهم أصيبوا بخيبة أمل كبرى عندما رفض الجيش الثالث المصرى أن يلقى سلاحه ويستسلم برغم أنه كان يعانى نقصا فى الذخيرة والماء والمئونة ورغم ما تعرض له من المشاق والهجمات والقصف ومنشورات الدعاية الاسرائيلية .وغير ذلك من أساليب الحرب النفسية .

لقد وصف المشير الراحل اسماعيل على هذه المرحلة من حرب أكتوبر بأنها « المعركة التليفزيونية » ، وفى رأيى أنه وصف دقيق وان كنت أفضل استخدام وصف « معركة الدعاية » لان العالم ركز اهتمامه عليها بعد أن توخى الامريكيون والاسرائيليون قدرا كبيرا من العناية والحرص فى توجيهها ، فقد كان الاسرائيليون يريدون استرجاع صورة الجندى الذى لا يقهر ، اما الأمريكيون فكانوا يريدون أن يبرهنوا على تفوق أسلحتهم على الاسلحة السوفيتية لقد كانت معركة حافلة بكثير من الأباطيل التى حاول البعض أن يؤكدها ، وهى أباطيل يمكن أن تولد كثيرا من الآمال الزائفة ويمكن أن تستخلص منها كثيرا من الدروس الخاطئة .

الخلاصة :

لقد كانت حرب أكتوبر نقطة تحول فى تاريخ الشرق الأوسط اذا نظرنا اليه قبلها وبعدها ، اذ أن اشياء كثيرة فى المجالين العسكرى والاستراتيجى لن تعود ابدا الى ماكانت عليه قبل هذه الحرب التى كانت سببا فى اعادة تقييم الاستراتيجيات القومية والدولية وكذلك التكتيكات فى كثير من دول العالم ، كما انها شهدت بعث المقاتل العربى فى ميدان قتالى حديث كما شهدت طفرة فى ثقته بنفسه وفى روحه المعنوية ، وبينت مدى التحسن الذى طرأ على قدراته وبينت أن الفجوة التكنولوجية بين العرب واسرائيل أمكن تضييقها ، كما أنها بددت اسطورة الجندى الاسرائيلى الذى لا يقهر . وبالنسبة للاسرائيليين فان هذه الحرب بثت فى نفوسهم كثيرا من المخاوف والشكوك .

✻ كان متيسرا لدى القيادة المصرية تقدير كامل وسليم عن القوات الاسرائيلية وطاقتها فى الحشد على الجبهة المصرية ، وقد ثبتت صحة تقارير المخابرات المصرية عندما أعلنت المصادر الاسرائيلية عن حجم قواتها التى اشتركت فى القتال شرق وغرب القناة .

التركة النوويــة لحرب أكتوبر ٧٣
فى الشرق الأوســط

دكتور روبرت ج برانجــر

دكتور ديل ر . تاهتنين

عوامل التصعيد النووى فى الشرق الأوسط :

زادت حرب أكتوبر من اهمية خمسة تطورات تثير القلق حــول احتمــالات التصعيد النـــووى فى الشرق الأوسطوهى :

١ ــ ازدياد القدرات التدميرية فى الحرب فى الشرق الأوسط :

منذ حرب يونيو ٦٧ بـــدأت خطورة هذا العامل وتزايدت فى الفتـــرة من ١٩٧٠ حتى ١٩٧٣ مع تطوير التسليح الجــوى ، ثم أوضحت حرب أكتوبر تصعيدا مؤثرا فى القدرات التدميرية لأنواع أكثر تطورا من أسلحة القوات البرية والجوية ، واذا كان بعض المعلقين العسكريين يرون أن تكاليف الحرب وخسائرها قد تحد من تجدد الصراع المســلح فى الشرق الأوسط فاننا قد قرأنــا تحليــلا آخــر لكل من رئيس الأركان المصرى والاسرائيلى يتوقع جولة خامسة أكثر تدميرا عن الأخيرة ســواء بالنسبة للمعدات أو خسائر القوى البشريـــة .

ويؤيــد هذا التحليل الأخير سباق التسليح واستمرار تكديس احتياطيــات الاسلحة والمعدات فى منطقة الشرق الأوسط .

٢ ــ التقدم الواضح فى الاسلحة المعقدة والمتطورة تكنولوجيــا :

تميزت حرب أكتوبر باستخدام الاسلحة المتطورة من انتــاج الدولتين العظميين الموردتين اســاسا للســلاح فى المنطقة وهمــا الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ممــا أتــاح لكل من الدولتين العظميين مجــالا خصبا لجمع المعلومات . هذا ويتوقع رئيســا الأركــان المصرى والاسرائيلى تطويرا أكثر تعقيدا للاسلحة فى الجولة القادمة ويشمل استخــدام الصواريخ أرض / أرض ذات الرءوس التقليدية . كذلك فاننا لابد أن نتذكر أن القوات العربية والاسرائيلية تمــلك وستمتلك قريبا اسلحة ومعدات سوفيتية وأمريكيــة لم تستخدم فى الحـــرب الفيتنامية ولهــا وزنها فى المواجهة بين حلفى وارسو ولأطلنطــى مثل صواريخ بيرشـــنج .

٣ ــ ازدياد تعرض المدنيين فى الجانبين :

رغم أن المدنيين العرب هم الذين تعرضوا للقصف فى الجــولات الســابقة الا ان القوات العربية تمتلك مثل هذه القدرة الاستراتيجية ولعل ذلك الصاروخ

السورى أرض / أرض الذى أصـــاب مستعمرة اسرائيلية كان نذيرا بمـــــا سيحدث فى الجولة القادمة كمـــا حذر الرئيس السادات من أن أيـــة هجمات جويـــة اسرائيلية على مــدن قناة السويس ستقابلها ضربات مصرية ضـــد العمق الاسرائيلى . كما آثار رئيس الاركان الاسرائيلى مردخاى جور تساؤلاته عن وقايـــة المدنيين عند تبادل الصواريخ أرض / أرض المؤكد اطلاقها تقريبـــا فى الجولة الخامســـة .

٤ ــ طبيعة العلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى :

اذا كان تأثير الوفاق خــلال حرب أكتوبر قد وضح فى اجراءات وقف اطلاق النـــار بين مصر واسرائيل الا أن هــذه الحرب قــد شهدت تحذيرا روســـيا باستخدام القوات التقليدية وتعبئة وقائية جزئية للقوات النوويـــة فى أمريكا . اذا كان التوازن النووى بين القوتين العظميين هــو عنصر ردع فى علاقاتهما المباشرة الا أنه فى مناطق مثل الشرق الأوسط قد لاتملك احدى القوتين أو كلاهما سيطرة مباشرة على استخدام الكميات الهائلة من الاسلحة المتطورة القادرة على التغيير المفاجــىء لمجرى المعركـــة .

٥ ــ احتمالات فشـــل جهود الســـلام :

لم يشهد التاريخ الحديث للشرق الأوسط مثيـــلا لمحادثات السلام المكثفـــة فى العامين الأخيرين والتى شاركت فيها أعلى المستويات السياسية فى الولايات المتحدة واسرائيل ودول المواجهة العربية ، ولقد حققت هذه الدبلوماسية حتى الآن النجاح ، أما اذا تعرضت فى المستقبل للفشـــل فان مواقف اليأس والتطرف قـــد لاتلتزم بالحفـــاظ على السلام الدولى كهدف وســـوف تتحكم فى مواقف الاطراف مطالبها أو اعتبارات أمنها ، فبينما يخشى العرب امكان ضـــم اسرائيل لاجزاء من الارض المحتلة ، تعتقد اسرائيل أنها لا تستطيع شراء أمنهـــا عـــن طريق عملية حفظ السلام الدولى خاصة وأنها تتوقع عمـــلا حربيـــا آخـــر بعد النجاح النسبى للقوات العربية فى حرب أكتوبر .

الاخطار النووية فى الجولة القادمة فى الشرق الاوسط :

بفضل العوامل الخمســة السابقة وتأثيرها فى التوازن العســـكرى بين العـــرب واسرائيل يمكننـــا القول ان حرب أكتوبر وعواقبها قد زادت من الاخطار النوويـــة المحتملة فى الجولة الخامسة ، واننـــا نعتبـــر أن حرب اكتوبر قد أعطت قـــوة دافعة لأكثر الاتجاهات خطورة فى معادلة الصراع العسكرى بين العرب واسرائيل مما قـــد يؤثر فى الحفاظ على السلام العالمى . وهناك اعتبارات ثلاثـــة تتعلق بالتركة النووية الخطيرة لحرب أكتوبر وهـــى :

١ ـــ القوى الكاملة فى الشرق الأوسط والتى تدفـــع الى الحرب النوويـــة .
٢ ـــ نظـــم الاطلاق ذات القدرة النوويـــة والتى انشئت فى الشرق الأوسط خـــلال أو كنتيجـــة لحرب أكتوبـــر .
٣ ـــ طبيعة الاحداث التى يمكن أن تجلب الحرب النووية للشرق الاوسط .

الدوافع الماثلة فى الشرق الأوسط تجـــاه الحرب النوويـــة :

حذر فريد شارلز ايكلين مدير وكالة الرقابة على التسلح ونزع الســـــلاح الامريكية من أن التسليح النووى سوف ينبثق من التطلعات القومية الى الاستخدام السلمى للطاقة النووية . واذا كانت 'التكنولوجيا النووية ـــ فى حد ذاتهـــا ـــ ليست القوة الدافعة لانتشار الاسلحة النووية فان اغـــراض استخدام الطـــاقة النوويـــة قد تمتـــد الى الناحية العسكرية مع توفير القاعدة اللازمة لتطوير الاستخدامـــات السلمية والعســـكرية للطاقة النووية ومع رغبـــة الدولة فى بنـــاء قدرة نووية ذاتية وقد يعزى قرار بنـــاء الاسلحة النوويـــة الى الرغبة فى امتلاك قـــوة عسكرية حديثة تتلائم مع قدرات الدول العظمى وان لم يكن هناك تهديد ذرى مباشر (كحالة فرنسا) او قد يكون مرد هذا القرار الى الشعور بخطر عاجل من القوى النوويـــة الأخرى كموقف التوازن النووى بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى (وبما يفسر برنامج القـــوى الاستراتيجية للصين) . أما الهند فموقفها مزيج بين الدافعين . وهنـــاك نـــوع ثالث من الدول ذات الصراعات التقليدية مع الآخرين والتى تطور قدرتهـــا النووية كعنصر ردع أو للاستخدام الفعلى طبقـــا لتطورات الحرب عند فشل الوسائل الأخرى المتاحـــة ، كحالة الولايات المتحدة فى الحرب العالمية الثانية ، وشأن دول منطقة الشرق الأوسط فى الوقت الحالى . وأعتقد أن أيـــة قـــدرة نوويـــة فى هـــذه المنطقة سوف تبدأ فى شـــكل استخدامات سلمية للطاقـــة الذريـــة ، ولقد وضعت مصر والعراق واسرائيل وايران برامج للابحاث النووية وللاستخدام السلمى للطاقة الذرية . وربما يمكن فى المستقبل القريب أن تضاف هذه الدول ضمن مجموعـــــة القوى العســـكرية ذات الطاقة النوويـــة الكاملة . واذا كانت صعوبة توفير كميـــات كافية من البلوتونيوم تحد من تطوير الاسلحة النووية فى الشرق الأوسط فان تكنولوجيا تركيز اليورانيوم باستخدام اشعة الليزر قد حققت تقدما واضحـــا فى اسرائيـــل . ويرتبط القرار الاستراتيجى بالاستخدام العسكرى للطاقة الذرية بتوفر القدرات التكنولوجية الضرورية لبناء الاسلحة النووية وبالاسباب السياسية والعسكريـــة الكافية لتمضى قدما فى برنامج التسليح النووى مثل ضرورات الردع أو النتائـــج الحاسمة المحققة بفعل استخدام السلاح النووى .

وفى الشرق الاوسط نجد كلا من اسرائيل والدول العربية تسعى فى جـــدية لامتلاك القـــدرة النووية لعـــدة أســـباب أكثـــرها أهميـــة وجـــود حـــرب حقيقيـــة بين طرفى الصراع .

وفى السنوات القليلة الماضية رجحت بعض المصــادر العامة المسئولة أن اسرائيل قــد لحقت سرا بالنادى الذرى . ومن المعلوم أن لــدى اسرائيل منذ عــام ١٩٥٥ مفاعل « ناحال سوريك » للابحــاث النووية ، وهو أمريكى الطراز ، ومفاعل ديمونا الفرنسى الذى يناسب انتاج البلتنيوم الانشطارى ويشابه المفاعل الامريكى عنــد نهر سافانا فى كارولينا الجنوبية الذى كان مصدر جزء كبير من مخزون البلتنيوم الامريكى. وهكذا فان القدرة التكنولوجية لاسرائيل تشمل امكانية انتاج البلتونيوم ، وهكذا فان توفر الخبرة العلمية وتطور تكتيك تركيز نظير اليورانيوم ٢٢٥ باستخدام أشعة الليزر (بجهود العــالم الاسرائيلى اسايه نبينزاهل) رغم الاعباء الاقتصادية الباهظــة فى هذا المجال ؛ وبالتقاء هذه القدرات التكنولوجية مع اهتمام وزارة الدفاع الاسرائيلية بهذه الجهود تتحقق الرابطة الضرورية لتحــول التكنولوجيا النوويــة الى التطبيقات الدفاعية . ولقد ذكر بعض الكتــاب مثــل هيدريك سميث فى ١٨ يونيو ١٩٧٠ (فى النيويورك تايمز) ووليام بيكر فى ٥ اكتــوبر ١٩٧١ (فى نفس المجلــة) أن اسرائيل تمتلك قنبلة ذريــة أو مكوناتها جاهزة للتجميع كما أعلن الرئيس الاسرائيلى أفرايم كاتزير فى اجتمــاع للمراسلين العلميين عقــد فى القدس ١ ديسمبر ٧٤ أن اسرائيل تملك طاقة نووية » ثم اضاف « ان لدينا حاسبات صغيرة ومعــدات عسكرية وقــد طورنا أنواعا مختلفة من الاســلحة » .

وفى ٣١ يوليو ٧٥ ذكر بيكر المساعــد السابق لوزير الدفاع الامريكى للشئون العــامة ــ أن اسرائيل تمتلك نحــو (١٠) رءوس نــووية من عيــار ممــاثل لقنبلة هيروشيما وناجازاكى ثم ذكــرت النيوزويك فى ٢٥ سبتمبر ١٩٧٥ أن المحللين الامريكيين يقدرون ان اسرائيل تنتج ســنويا ٢ ــ ٣ رءوس نووية من عيــار عشرة آلاف رطل رغــم عــدم تأكيــد اسرائيل لهــذه التقديرات . أمــا جيمس شلزنجر فقد اكــد فى ٢١ سبتمبر ٧٥ فى حديث تليفزيونى أن أبحاث وتطوير الاسلحة النووية يمكن أن تكــون قــد احرزت تقدما كبيرا فى اسرائيل ، وعــاد ايكليه فى ٥ اغسطس ٧٥ (فى التلفزيون) ليذكر أن اسرائيل يمكن أن تمتلك امكانية التســلح الذرى سرا رغم رقعتها الجغرافية الصغيرة .

وبينما لاتشترط الولايات المتحدة فى الوقت الحالى ضرورة التوقيع على اتفاقية منع التكاثر النووى « قبل بدء مفاوضاتها من أجــل التعاون النووى مع دول الشرق الأوسط » فان الحكومة الامريكية لاعتبارات سياسية تكتفى بوضع أقصى اجــراءات أمن مشددة بالنسبة للمحطات النووية المنتظر اقامتها فى مصر واسرائيل .

وبالنسبة للقدرة النووية للدول العربية فان مصر والعراق فقط تملكان مفاعلات نووية . ولاتوجد شواهد عن أية اعمال متعلقة بالتسليح النووى فى ذلك المفــاعل السوفيتى جنوب بغداد ، الذى افتتح عــام ٦٨ ، والذى يستطيع انتاج كميات صغيرة من البلوتونيوم ، كما أن العراق قــد صدقت على اتفاقية منع التكاثر النووى وتخضع

لاجراءات التفتيش بواسطة الوكالة الدولية للطاقة الذرية . اما مفاعل انشاص المصرى فأصغر كثيرا من مفاعل ديمونا الاسرائيلى (٢٤/٢ ميجاوات على التوالى) ، وعلى ذلك فقدرته الكاملة على انتاج الاسلحة النووية ضئيلة للغاية ، ولقد وقعت مصر على اتفاقية لمنع التكاثر النووى ولم تصدق عليها حتى تفعل اسرائيل ذلك . ومصر — شأن اسرائيل — لاتخضع تماما لقياسات الأمن التى تضعهــا الوكالة الدولية للطاقة الذرية . واذا رغب العرب — فى العقد القادم — فى أمتلاك القدرة الذرية فلابد لهم من طلب القنابل الذرية من احدى القوى النووية الحالية ، أو ضمان امداد مستمر بالمواد الانشطارية ، واذا كانت القوى النووية العالمية مترددة فى وضع الاسلحة الــذرية بين يدى دول غيرنووية فان الاحتمال الارجح هو شراء العرب لمحطات نووية تستخدم فى الاغراض السلمية ، دون ضمان أو امكانية تطويرها لخدمة التسليح الذرى .وطالما استمر الصراع العربى الاسرائيلى فان بعض الدول العربية سوف تحاول امتــلاك القدرة النووية لتجرد اسرائيل من ميزة حالية واضحة فى هذا المجال . وقد اكد كل من الطرفين أنه لن يكون البادىء بأدخال الاسلحة النووية الى الشرق الاوسط رغم ان كل طرف يضع احتمال استخدامها فى صراع مسلح يبدأ تقليديا وبينما يعتقد كثير من العرب ان اسرائيل تكدس هذه الاسلحة ، فان هناك اعتقــادا فى اسرائيل — لم تواجهــة الولايات المتحدة بأى اجراء — بأن موسكو اعطت مصر رءوسا نوويــة لصــواريخ « سكود » خــلال حرب أكتوبر وانه حتى لو كانت تحت سيطرة سوفيتية فان مبدأ ادخــال اسلحة نوويــة الى الشرق الاوسط قــد تحقق وعلى أيــة حال فان اهم نتائج حرب أكتوبر فى هذا المجال هو ان تعهد كل طرف بالا يكون البادىء بادخــال الاسلحة النوويــة الى الشرق الاوسط يعــد ذا موضوع .

عواقب حرب أكتوبر فى الشرق الأوســط

والنظم القادرة على استخدام الاسلحة النوويــة

شهدت حرب أكتوبر استخداما واسع النطــاق لشتى أنــواع الصواريخ ، مثل الصواريخ ارض / جــو العربية التى واجهت الطيران الاسرائيلى وأحــدثت بــه تأثيرا واضحــا وخاصة الاستخدام الفعــال لنظم صواريخ ســام . كمــا استعملت بنجاح الصواريخ م د ، والقنابل الموجهة والصواريخ جو / أرض والصواريخ البحرية سطح/سطح . وأطلقت بعض الصواريــخ أرض / أرض التى ظن بعض الخبراء الاسرائيليون والامريكيون أن الروس قد زودوا العرب بنسبــة محدودة من الرءوس النووية لهــا خــلال حرب أكتوبر ، وهو مالا نعتقدة وان كنا لا نغفــل اهمية مثل هذا الظن فى التحضير للعمليات . واذا كانت حرب أكتوبر قد شــهدت استخداما تقليديا لمختلف الصواريخ الموجهة ، فان كلا من القيادة المصرية والاسرائيلية تتوقــع دورا هامــا للصواريخ أرض / أرض فى الجولة القادمة ، ويبدو أن اسرائيل قد تلقت وعــدا بتزويدها بصواريــخ أرض / أرض جديدة يمكن أن تزود برءوس نووية كثمن للســلام المؤقت مع مصر ، منها بيرشنج وهو الامر الذى جعل الرئيس

السادات يحذر من أن امتـلاك اسرائيل لمثل هذا السلاح سيدفع العرب لامتـلاك صواريـخ مماثلة . وكـذا ففى دول المواجـهة يوجد فعـلا أو سيوجد قريبـا عدد من الصواريخ ارض / أرض من انتاج احدى القوتين العظميين والتى صممت بحيث يمكنهـا حمـل رءوس نوويـة .

ولقد ذكرت « أفييشن ويك » فى ٦ أكتوبر ١٩٧٥ أن اسرائيل تتوقع بعد بضعة أسابيع أن يصل اليها بطريق الجو الكتيبة الاولى من (١٠٩) صاروخ لانس الامريكى ذى المدى ١١٠ كم والمصمم لحمل الرءوس النووية كغرض أولى .

ولقد منع الكونجرس البنتاجون من انتاج راس تقليدية لهذا الصـاروخ مالـم يثبت تلاؤم تأثيرهـا مع اقتصاديات الحرب ؛ ومع ذلك فقد صنعت المؤسسة المنتجة للصـاروخ LTV بضعة رؤس تقليدية من جانبها وبتشجيع الجيش الامريكـى وان كان هناك شـك فى مدى فاعليتها . كذلك فان الصـاروخ بيرشنج ، الـذى تسعى اسرائيل الى امتلاكـه بعد اتفاق الفصل الثانى للقوات من سـيناء قد صـمم أساسا كسلاح نووى ولم تنتج لـه رءوس تقليدية ، وان اكدت الولايات المتحـدة أنها ستمد اسرائيل بالصـاروخ مزودا برءوس تقليدية الأمـر الذى آثـار اعتراضات لهـا وزنهـا فى الولايات المتحدة ومن وزارة الدفاع الامريكية . كمـا صرح رئيس الوزراء الاسرائيلى أن قواته تستطيع أن تبقى دون صواريخ بيرشنج ولكـن الوقـع السيكولوجى للطلب الاسرائيلى والتأكيد الامريكى حـول استبعاد الرءوس النووية قد أحدث تأثيره فى الشرق الأوسط ، كمـا أن رد الفعـل العربى الذى صـدر حول تعهد سرى أمريكى بامداد اسرائيل بصواريخ بيرشنج ضمن اتفاقية سيناء لم يكـن ممـا يسعد اسرائيل التى تمكنها صواريخ بيرشنج بمداهـا الذى يتراوح بين ١٦٠ ، ٨٤٠ كم من ضرب الاهداف العربية الحيوية بالرءوس التقليدية وربما برءوس نووية.

وبالنسبة للامكانيات العربية من الصواريخ الحديثة ارض / أرض التى قـد تـزود برءوس نووية ، نجـد صواريخ فروج ٧ (السلسلة من ٢ الى ٧ بمدى ٤ — ٥٠ ميل بحرى) وسكود أ ، ب (بمدى ٨٠ — ٢٨٠ كم) . ولقد صممت هذه الأنواع — مثل الصواريخ الامريكية — لاستخدامها أصـلا برءوس نوويـة وخاصة فى أوربا . وفى الواقع الحالى نجد أن هذه الصواريخ وكـذا لانس وبيرشنج مستخدمة باطرزه نوويـة فى حلف وارسـو وحلف الأطلنطـى .

ورغم ان اسرائيل قد طلبت صواريخ لانس وبيرشنج قبل جولة المباحثـات الأخيرة فان الوعـد الامريكى بتزويد اسرائيل بها ارتبط باتفاقية سيناء الأخيرة كنـوع من تكامل المعونـة العسـكرية الضخمة مع العمل الدبلوماسى . وباعتبار هـذه الأنواع من الصواريخ برءوسها الحالية من ضمن الاسلحة النوويـة فاننا نجزم أن حرب أكتوبر أبرزت احتمالات التصعيد النووى فى الجولة القادمة . ومع أن هـذا التصعيد يجب ان يؤدى الى تكثيف جهـود السـلام ، الا أنه قد زاد من قلق العرب

من احتمال أن يصبحوا ثانية أدنى عسكريا من اسرائيل . واذا تعللت اسرائيل بضرورة شعورها بالأمن حتى تتفاوض أفلا يؤثر ذلك على رغبة العرب أصلا فى التفاوض ؟ وهل يكون اتفاق سيناء بداية لسباق تسلح نووى يفترض استخدام الاسلحة النووية فى الجولة القادمة ؟

الحالات الممكنة لاستخدام الاسلحة النووية فى الشرق الأوسط

حتى يصبح تقدير هذه الحالات موضوعيا يجب أولا تحديد عدة فروض واقعية تحدد أين يمكن استخدام الاسلحة النووية ، وثانيا لابد من المقارنة بالصراعات العسكرية الحديثة بين القوى التى تماثل دول الشرق الاوسط، وبأعمال القتال التقليدية مع تصور استخدام الاسلحة النووية فيها لو كانت متوفرة، وثالثا لامناص من وضع تجارب الشرق الأوسط فى الاعتبار .

وسوف تعتمد على اسوأ الافتراضات فى « السيناريوهات » أو التصويرات التالية ،: ولا شك ان الاسلحة النووية ستستخدم بدهاء وربما بغرض التدمير الشامل والمفاجىء للعدو . وعلى أية حال فالاكثر احتمالا ان استخدام الاسلحة النووية فى الشرق الأوسط مرتبط بالحاجة الماسة الى تأثيرات اكثر فاعلية مما تسمح به الاسلحة التقليدية وبحدوث تطورات طارئة خطيرة وبعد هيروشيما ونجازاكى، فان اى استخدام جديد للحرب النووية لابد أن يبرر أمام الرأى العام الوطنى والدولى .

سيناريو البقاء :

تخشى اسرائيل من تكرار المجزرة التى اودت بحياة ٦ مليون من يهود أوربا خلال الحرب العالمية الثانية ، كما تعانى من عقدة الماسادا فى الفكر الاسرائيلى والتى ترفض الاستسلام الى آخر مدافع ، وهذه الخشية وتلك العقدة تجد صدى فى الدوائر السياسية ولدى الراى العام . ومع ذلك فهناك قدر معين من الثقة بالنفس وليدة الانتصارات العسكرية السابقة وبدا فى تحدى اسحاق رابين — احد ابناء جيل السابر — الموقف الولايات المتحدة خلال مباحثات كيسنجر عام ١٩٧٥ ، وشعوره بأن اسرائيل أقوى عسكريا من العرب . ومع ان اسرائيل قد حققت أهم انتصاراتها فى حرب ٦٧ ، فمن وجهة نظر الامن لم تكن الصفقة رابحة تماما فقد جسمت الأراضى المحتلة عام ١٩٦٧ من قلق العرب حول أمنهم وشعروا بالخطر على بقائهم ، خاصة مع بدء غارات العمق بطائرات الفانتوم عام ١٩٧٠ ضد مصر . وكانت حرب ٧٣ تعبيرا حتميا عن جهود العرب لاكتساب الثقة عسكريا فى أنفسهم . واذا لم يكن صراع البقاء واضحا فى الظروف الحالية ، ينظر طرفا الصراع الى الجولة القادمة باعتبارها تجربة أخيرة وقد ينفذ صبر

العرب اذا لم يستعيدوا أراضيهم بجهود السلام كما سيزداد قلق اسرائيل من ردود الفعل المحتملة من جانب أعدائهم . ولذا قد تصبح الجولة الخامسة خطيرة للغاية بسبب اعتبارات الامن للطرفين ، الى جانب ما قد يؤدى اليه حظر جديد للبترول . وتحت هذه الظروف قد تستخدم الاسلحة النووية أو غيرها من الاسلحة غير التقليدية لمواجهة تهديدات فعلية أو وهمية للبقاء الوطنى ، دون اصغاء لاصوات التعقل فى الداخل والخارج . ولاشك أن قيام جولة خامسة يعد افلاسا من جانب القوى العظمى يهدد السلام العالمى . ويمكن أن تبدأ الحرب النووية فى أى وقت فى الجولة الخامسة فى الشرق الأوسط اذ أن العدو سيكون مجازا على أبواب العواصم ، ولن يمضى وقت طويل قبل ان تتهدد المدن الرئيسية والتجمعات السكانية الكبيرة بالتدمير ، أما متى يصبح « البقاء » هو القضية الأساسية « ويبدأ سيناريو البقاء » فهو أمر تقديرى بالنسبة للدوائر العليا التى تصنع القرار .

سيناريو المنع :

يجب أن ننوه أن بعض الاسلحة النووية التكتيكية فى أوروبا مثل لانس وبيرشنج وسكود وفروج يمكن أن تستخدم اما لتدمير حشود العدو المقتربة من خط الجبهة أو لضرب اهداف العمق مثل محطات السكك الحديدية أو المطارات . وسواء استخدمت بأطرزة ذات مدى قصير أو طويل فانها تهدف الى ابطاء أو وقف هجوم تقليدى متفوق ، مفاجىء أو قد حقق اختراقا عميقا بغرض استعادة الموقف العسكرى أو تعديله . وقد شهدت حروب الشرق الاوسط كلا من عنصرى الهجمات المفاجئة ، والاختراقات السريعة . ومع صفر المسافات وتوقع ازدياد حشود الدبابات والمعدات الاخرى فى جولة جديدة . يبدو ضروريا لكل طرف أن يمتلك سلاحا ما نعا ومؤثرا . واذا كانت حرب أكتوبر قد شهدت خسائر سريعة وضخمة فى القوى البشرية والمعدات فان الجولة القادمة بكل ما سوف يستخدم فيها من امكانيات متطورة ومعقدة ستؤدى الى استنزاف أسوأ . وحتى اذا استطاعت القوتان العظيمتان تكرار جسريهما الجويين — وهو أمر مشكوك فيه — فان معدلات الاستعواض لن تفى بالغرض المطلوب مما يشكك فى جدوى الاسلحة التقليدية ويزيد من فاعلية الاسلحة غير التقليدية فى الجولة القادمة .

وفى الحقيقة لقد تميزت الجولات الاربع فى الشرق الاوسط بتحقيق نوع الهجوم المفاجىء أو الاختراق ، أو كليهما ، وبالتأثير الحاسم لهذين العنصرين فى نتائج كل جولة ، أما فى الجولة التالية فقد تحدث صدمات تكتيكية أخرى هامة الا أن ردود الفعل المغالى فيها بسبب عوامل اليأس والقلق قد تفسر بعض تحركات العدو التكتيكية وتتعامل معها على أنها تهديد استراتيجى .

سيناريو الضربة المسبقة :

قد تشن الحرب الوقائية من جانب اسرائيل أو الدول العربية عندما تتوقع أجهزة المخابرات أن الخصم سيبدأ القتال تاركا فرصة محدودة لصده بالاسلحة التقليدية

مما يتطلب ضربة مسبقة لمنع أو اضعاف الهجوم المنتظر . وقد يتولد شعور بالنقص يعزى الى الخوف من عدم اكتمال تجهيزات الحرب وتوفر معداتها ، أو الى قصور الامدادات عن تلبية احتياجات حرب طويلة متى بدأت ، أو بسبب شعور الاحباط نتيجة الحاجة الى جهود أبعد تأثيرا من أجل تسوية سلمية نهائية .

وبينما حققت اسرائيل بنجاح الضربة المسبقة بقواتها الجوية فى يونيو ٦٧ ، فقد ثار الجدل فى اسرائيل بعد حرب اكتوبر ٧٣ عن سبب مفاجأة قيادتها بالهجوم المصرى السورى دون تحذير مبكر للقوات الاسرائيلية . وعلى أية حال فان الاستخدام المسبق للأسلحة النووية لن يجاب فقط الادانة العالمية ، بل ربما أدى الى تدخل حاسم من جانب احدى أو كلا القوتين العظيمتين ، فاذا كانت اسرائيل صاحبة الضربة النووية المسبقة ضد العرب فان الاتحاد السوفيتى قد يتخذ اجراء عنيفا ضد اسرائيل ، كما ان الولايات المتحدة — حسب طبيعة الاجراء السوفيتى — سوف تتحرك ضد الروس ، وبالمثل اذا كانت المبادأة النووية من جانب العرب ضد اسرائيل فان الولايات المتحدة ستتخذ خطوات مضادة للعرب تؤدى الى رد فعل سوفيتى من نوع ما .

ومن المؤكد ان الضربة النووية المسبقة هى اخطر استخدام للاسلحة غير التقليدية فى منطقة الشرق الاوسط ولها انعكاساتها المدمرة على المنطقة والعالم بأسره .

ولسوء الحظ فان الضربة المسبقة والمفاجأة أمران مألوفان تماما فى الصراع العربى الاسرائيلى .

تعليق :

بينما تسعى اسرائيل لامتلاك قدرة ردع نووى ، فان مصر تركز جهودها من اجل استخدام الذرة فى الاغراض السلمية ، وقد أوضح الرئيس السادات فى اثناء زيارته للولايات المتحدة فى اواخر اكتوبر ٧٥ النقاط الآتية :

١ — حرص مصر على اقامة سلام عادل فى الشرق الاوسط .

٢ — طلب عدم ادخال صواريخ بيرشنج الى الشرق الاوسط حتى لايتصاعد سباق التسليح بين طرفى الصراع .

٣ — حرص مصر على ابعاد الاسلحة النووية عن مسرح عمليات الشرق الاوسط .

تحليل العمل العسكرى غرب القناة

لواء متقاعد / عدلى حسن سعيد

و لـــواء بحرى/فاروق الشـــيخ

المقـــدمـــة

١ ــ بدات حرب أكتوبر ٧٣ وكانت مفاجأة لاسرائيل والدول العظمى من حيث النوايا والاساليب والاتجاهات وادت الى تطورات سريعة أخلت بالموقف السيـــاسى والعسكرى فى المنطقة . ولاشك أن الحروب المحليـــة تتحكم فيها عوامل محلية واخرى خارجية تؤثر على مجريات الامور فيها وفقـــا لمقتضيات الوفاق الدولى والاتزان المطلوب فى المسرح .

٢ ــ ان هذه الحرب التى تعتبر أحدث الحروب المحدودة وأعنفها استخدمت فيهـــا الاسلحة والمعدات المتطورة وطبقت فيها كثيرا من الاساليب المستحدثة ، ممـــا جعلها جديرة بالدراسة والتحليل فى العالم اجمع .

٣ ــ ان مرحلة القتـــال غرب القناة تعتبر من المراحل الجديرة بالدراسة العميقة اذ واجهت فيها القوات تطورات سريعة غير نمطية وغموض فى كثير من المعلومات وتدخلات غير متوقعة ، وما اكتنف هذه المرحلة من ضباب المعركة التى سادها .

الموقف السياسى والعسكرى المعاصر للقتال غرب القناة

١ — كان لنجاح القوات المصرية فى اقتحام قناة السويس وخط بارليف بالرغم من كل الصعوبات واستيلائها على رءوس كبارى على الضفة الشرقية للقناة وتدميرها لهذا الحجم الكبير من مدرعات العدو الاثر الكبير فى زلزلة سمعة جيش الدفاع الاسرائيلى الذى كان يشاد به فى اسرائيل وفى العالم اجمع بأنه « الجيش الذى لايقهر » .

وليس أدل على ذلك من أن جكومة اسرائيل طلبت من الولايات المتحدة الامريكية بعد بدء العمليات مهلة لمدة يومين لتصفية القوات المسلحة المصرية حتى لايكرر المصريون محاولتهم باستخدام القوة العسكرية مرة اخرى .

٢ — وبالفعل قامت اسرائيل بعدة هجمات مضادة عنيفة فى أكثر من اتجاه ولكنها فشلت جميعها نتيجة لنجاح قواتنا شرق القناة .

وكان هدف اسرائيل هو تدمير القوات المصرية التى تمكنت من العبور وانشاء رؤوس كبارى على الضفة الشرقية لقناة السويس واستعادة الاوضاع الى ماكانت عليه صباح يوم ٦ اكتوبر ٧٣ وذلك بأعمال الاختراق والتطويق والتدمير .

٣ — ومرت المهلة بدون نتيجة وطلبت حكومة اسرائيل مدها يوما ثالثا وانتهى الامر فى اليوم الثالث لان يقف وزير الدفاع الاسرائيلى فى المؤتمر الصحفى المشهور مساء يوم ٩ اكتوبر ليقول « .... ان هالة التفوق التى بنت عليها اسرائيل مبدأها السياسى العسكرى بأنها أقوى من العرب وانهم اذا تجاسروا وشنوا أى حرب فانها ستدمرهم . ان هذه الهالة اصبحت غير موجودة الآن .. واصبح لزاما على ان أصارح شعبنا بذلك بأية طريقة ... » .

لقد فشلت جميع هجمات وضربات العدو المضادة وبتر ذراعه الطويل (سلاحه الجوى) وتكبد خسائر جسيمة فى الافراد والمعدات وهو الذى لم يتعود الخسائر من قبل .

٤ — وحدثت حالة من الارتباك واختل التوازن على كل المستويات السياسية والعسكرية وفقدت القوات المسلحة ثقتها فى قيادتها وفقد الشعب بالتالى ثقته فى جيشه الذى لا يقهر . وانتهى الموقف الى قرب الانهيار لولا مسارعة الولايات المتحدة الامريكية لنجدة اسرائيل .

٥ — أى أن اسرائيل فى هذه الجولة فشلت فى تنفيذ الحرب الوقائية التى تعتنقها كأساس . وأعلن قادتها بعد الحرب ان ذلك الامتناع كان لاعتبارات سياسية وهذه مغالطة كبيرة .

كما فشلت أيضا فى التحول الى الهجوم الاستراتيجى بالرغم من قرار الحكومة يوم ٧ اكتوبر ١٩٧٣ بذلك اعتمادا على الخطة (يد برزيل) اى اليد

الحديدية التى كانت مخططة الى أدق التفاصيل وكان التدريب عليها والتلقين بها كاملا حتى مستوى الكتائب وهنا نشير الى الخريطة المستولى عليها فى أحـــد الدبابات التى دمرناها يوم ٨ أكتوبر ٧٣ .

ولقد كانت هذه الخطة تهدف الى تدمير القوات المصرية والتحول الى الهجوم الاستراتيجى واحتلال خط غرب القناة فى عمق ٣٠ كم وبذلك تتغير النتيجـــة العسكرية والسياسية للحرب .

ولست فى حاجة الى أن أقرر أن الهدف الاستراتيجى من العمليات المضادة الاسرائيلية لم يتحقق كما لم تتمكن اسرائيل من تنفيذ خطتها (اليد الحديديـــة) بتصفية رؤوس الكبارى وتحقق هدف أقل تواضعا وهو استعادة الموقف علـــى القناة .

٦ — وكان لزاما على اسرائيل وبعد مضى عشرة أيام انهزامية على الجبهة المصرية كادت تؤدى الى انهيارها أن تفكر فى عمل مالاعادة التوازن السياسى والعسكرى بهـــــدف :

أ — تحويل تيار الحرب لتأخذ اسرائيل الهجوم وتحقق توازن مـــا فى الموقف السياسى والعسكرى .

ب — تغطية آثار النصر العسكرى لمصر فى عملية اقتحام القناة واحتلال رءوس الكبـــارى .

ج — رفع الروح المعنوية بين القوات الاسرائيلية التى تعرضت للهزيمة لأول مرة .

د — رفع روح الشعب الاسرائيلى المنهارة واستعادة ثقته فى جيشـــه وفـــى المؤسسة العسكرية الاسرائيلية .

٧ — وكانت اسرائيل تخشى دائما أن تتورط فى مغامرة عسكرية غرب القناة وقـــد تحف بها مخاطر عديدة لاحتمال ان تعانى قواتها من الامتداد البعيد بأكثر من طاقة الجيش الاسرائيلى ومن الدخول فى الكثافة السكانية المصرية .

ولكنها فى الظروف التى كانت تواجهها فى هذا التوقيت وخشيـــــة الانهزام الكامل وما سيترتب عليه من انهيار الجيش والنظام الاسرائيلى كله ... وفـــى مواجهة كل ذلك قبلت تحمل الثمن على أساس ان المجتمع الدولى وبالذات الدول العظمـــى قد سبق وضمن بقاءها وان وقف اطلاق النار وشيك الحدوث خلال ايام وفيه الامان لقواتهـــا .

٨ — وكانت المفاوضات والمشاورات التى تدور وتتئذ فى المحافل الدولية لايقـــاف النيران حافزا اضافيا لان تسرع اسرائيل باتخاذ عمل عسكرى غرب القناة بعد فشلها فى أن تقذف بالمصريين عبر القناة مرة أخرى .

٩ — ولتحقيق ذلك تحددت الاهداف الاستراتيجية الآتية لجيش الدفاع الاسرائيلى :

أ — اخلال الاتزان الاستراتيجى للقوات المسلحة المصرية وحصر وتدمير التجميع الرئيسى لها (رءوس الكبارى شرق القناة) ثم استعادة الاوضــاع لما كانت عليه صباح يوم ٦ أكتوبر .

ب — الاستيلاء على مناطق ذات اهمية سياسية عسكرية (مدن القنـــاة الاسماعيلية ، السويس) والتمسك بهــا .

الموقف العسكرى حتى وقف اطلاق النار

١ — ولاشك أن هناك عوامل خارجية ومحلية ساعدت اسرائيل فى الاختراق والعبور غرب القناة أود أن أبرز أهمها لتأثيرها المباشر :

أ — كمية ونوعية الدعم الامريكى وسرعته فى توصيل الامدادات العسكرية المطلوبة .

ب — المعلومات الدقيقية والحديثة أولا بأول للاوضاع العسكرية المصرية التى وفرها لها الاستطلاع الامريكى .

جـ — احجام وتأخر الاتحاد السوفيتى عن الاسراع فى أمداد مصر باحتياجاتها من الاسلحة والمعدات اللازمة لاستعواض خسائرها وعدم مساندتها بالمعلومات المتوفرة لديه من وسائل استطلاعه .

د — طبيعة الارض فى منطقة الدفرسوار وماتوفره من اخفاء ووقاية جيدة علاوة على التحصينات الهندسية والحفر العديدة التى انشأتها القوات المصرية فى المنطقة كأماكن تبادلية والتى استغلها العدو .

هـ — بطء ونقص المعلومات التى كانت متوفرة لدى القيادات المحلية عن حجم ونوعية قوات العدو .

٢ — واعتبارا من يوم ١٠ اكتوبر بدأ الدعم العسكرى الامريكى يفد الى اسرائيل كما قام الجسر الجوى الامريكى بنقل الامدادات العسكرية الضرورية لاسرائيل لاستعواض خسائرها وتدعيمها بالاسلحة والمعدات المتطورة الحديثة اللازمة للتعامل مع القوات المسلحة المصرية . (بلغت الحمولة المنقولة جوا أكثر من ٢٧ ألف طن) كما قامت طلعات طائرات التجسس الامريكية فوق مسرح القتال فى نفس الوقت بتوفير المعلومات الدقيقة التفصيلية عن قواتنا ونواياها .

٣ — بعد أن استعوض العدو خسائره ونقل مجهوده الرئيسى ضد جبهة القناة اعتبارا من مساء يوم ١٤ أكتوبر اعاد تجميع قواته المدرعة وحشدها فى اتجاه قطاع محدود من الجبهة ضد أحد اللواءات المشاة والتى كانت تحارب وتصد هجمات العدو المضادة بنجاح لمدة عشرة أيام متوالية على الجانب الايمن للجيش الثانى وبتركيز شديد من الطيران والمدفعية والوحدات المدرعة وبعد قتال عنيف لفترة طويلة تكبد فيها خسائر فادحة فى الافراد والمعدات تمكن العدو من اختراق هذا اللواء والوصول الى قناة السويس وعبورها فى مواجهة ضيقة خلال الليل .

٤ — وكانت المعلومات التى تصل للقيادات المصرية فى المراحل الاولى من العملية عن القوات المعادية التى عبرت والتى تعمل فى غرب القناة غير دقيقة نتيجة

للضباب الذى اكتنف جو القتال وكانت تقدر العدو بأقل من حقيقته وبالتالى فان الاحتياطيات التى وجهت ضده لتدميره كانت أضعف من أن تؤدى هذه المهمة .

٥ — وأدت الظروف السابق ذكرها علاوة على تاثر السلاح الجوى بعد تدمير بعض عناصر الصواريخ الموجهة المضادة للطائرات بالمدفعية بعيدة المدى والدبابات الى عبور عناصر مدرعة من القوات الاسرائيلية الى غرب القناة فى وجه مقاومة عنيفة وبلغ الجهد الجوى اليومى للقوات الجوية المصرية خلال الفترة من ١٥ — ١٨ أكتوبر حوالى ٣٣٠ طلعة فى اليوم وخلال الفترة من ١٩ — ٢٢ أكتوبر حوالى ٢٥٠ طلعة فى اليوم وخسر العدو خلال هذه الفترة اكثر من ٦٦ طائرة .

٦ — وصدر قرار وقف اطلاق النار الاول يوم ٢٢ أكتوبر ٧٣ والذى وافقت عليه اسرائيل بينما كانت قواتها فى موقف عسكرى غير مناسب وداخل جيب لايزيد عن ٧٠ كيلو متر مربع .

٧ — واستغل العدو وقف اطلاق النيران يوم ٢٢ أكتوبر فى الانتشار جنوبا ووصلت بعض قوات العدو الى مشارف مدينة السويس وفشلت فى دخولها رغم تكرار المحاولات .

وكان صمودها ضد حصاره نقطة تحول حاسمة فى مصير العمليات غرب القناة بعد عجزه عن الاتجاه شمالا للاسماعيلية فى مواجهة عناصر الجيش الثانى الميدانى وكان أن صب ضد المدينة رد فعله الحاقد بأكثف كمية من النيران حتى وصلت نسبة التدمير فى منازلها ٦٥ — ٨٥ ٪ وهى أعلى من الدمار الذى حاق بمدينة وارسو فى الحرب العالمية الثانية .

٨ — وبعد وقف اطلاق النار الفعلى يوم ٢٨ أكتوبر استغلت القوات المصرية الموقف بحرمانه من تثبيت دفاعاته أو تحصينها هندسيا وفى تشديد الخناق على العدو فى تعاون وثيق بين جميع قواتها واستنزفت قواته واصبح بقاؤه فى المنطقة يزيد من معدل خسائره فى الافراد والمعدات وقد تم خلال هذه الفترة حوالى ١٥٠٠ اشتباك بالنيران اشتملت على حوالى ٤٣٥ عملية عسكرية نشطة .

٩ — وتم اعداد خطة تدمير قوات العدو المحاصرة غرب القناة وكانت تقضى باستخدام خمسة فرق منها فرقتان مدرعتان والباقى فرق ميكانيكية لتوجيه ضربات لتجزئة الجيب الى اقسام منعزلة ثم تدميرها جزءا فجزءا وكانت نسبة التفوق فى قواتنا لقوات العدو فى ٣ : ١ على الاقل . وكانت الخطة تشمل اغلاق عنق الجيب الضيق فى الدفرسوار .

تحليل العمل العسكرى غرب القناة

١ — من المقرر والمسلم به عسكريا أن وجود ثغرات فى جبهة الحرب الصحراوية والتى يتم التقدم فيها كقاعدة على محاور رئيسية ليس خطأ من حيث المبدأ . ومن الطبيعى ان القوات التى تتعرض خطوطها تتعامل معه بحصر وتدمير القوات المخترقة على الخط المناسب وفى التوقيت الملائم .

٢ — ومع القرار المصرى بالاستمرار فى التمسك برءوس الكبارى شرق القناة فلم يكن هناك لمواجهة أعمال العدو غرب القناة سوى حلين الاول منها توجيه جزء من احتياطيات الجيش لتدمير العدو الذى عبر . وهذا الحل يعيبه خطورة تفتيت هذه الاحتياطيات فى مواجهة عدو يستخدم مجموعات صغيرة فى قتال غير نمطى وبطريقة أقرب الى حرب عصابات بالدبابات وبحيث تتجنب الدخول فى معارك مع القوات الاكبر منها وتختبىء فى المناطق الزراعية والمواقع الدفاعية المهجورة مستغلة الوقاية التى توفرها لها .

أما الحل الثانى والذى اتخذته القيادة المصرية فهو قبول الاختراق وحصر القوات المعادية التى عبرت واحتوائها بين الخط الدفاعى الاول للقوات شرق القناة والخط الدفاعى الثانى غربها ثم تدميرها باستخدام جزء من احتياطى القيادة العامة بالتعاون مع احتياطيات الجيوش وبذلك ترك أمر تصفية الوجود الاسرائيلى فى الجيب غرب القناة للقيادة العامة .

٣ — ومن الثابت والمقرر أيضا فى جغرافية مصر العسكرية أن الهدف الاستراتيجى الاول لمن يهجم عبر قناة السويس من الشرق هو مدينة الاسماعيلية وتليها فى الاهمية مدن السويس وبور سعيد بأعتبارهما تتحكمان فى مداخل القناة .

ولكن التحليل يوضح أن بورسعيد اكثر بعدا واقل أهمية للمهاجم كما أن السويس ليس وراها الا فراغ صحراوى غير مغمور .

٤ — وقد سبق أن حاولت اسرائيل بعد مفاجأة العبور التسلل مرة فى منطقة كبريت عند العنق بين البحيرات المرة الصغرى والكبرى فووجهت بمقاومة عنيدة انتهت بهذا الحصار الطويل والصمود الاسطورى للقوة المصرية الصغيرة والتى لم تتمكن اسرائيل من تصفيتها .

ثم حاولت نفس الشىء فى منطقة الفردان فى القطاع بين بحيرة التمساح جنوبا ومضيق القنطرة شمالا بهدف الاختراق لاحتلال مدينة الاسماعيلية والقنطرة غرب ثم حصار مدينة بورسعيد وقد فشلت فى ذلك أيضا بالرغم من التركيز الجوى الشديد الذى لم ينقطع طوال ساعات النهار من أيام القتال وبطريقة وحشية وبلا تمييز .

٥ — لقد كان قبولنا لوقف اطلاق النار مبنيا على ما توفره لنا أوضاع العدو غير المتوازنة غرب القناة من مميزات عسكرية . فبعد وقف اطلاق النار الثانى اخذت

القوات المصرية تشدد الضغط على العدو وتعرضت قواته داخل الجيب لحرب استنزاف أكثر ضراوة مما تعرضت لها القوات الاسرائيلية شرق القناة . وتحولت هذه القوات من سلاح الضغط علينا الى رهينة فى أيدينا .

تقييم العمــل العسكرى غرب القناة

١ ــ مما سبق يتضح أن الاهداف السياسية والعسكرية والاهداف والمهام الاستراتيجية التى كانت تحاول اسرائيل تحقيقها من عملهــا العســكرى غرب القناة لم يؤد الى النتائج المطلوبة وليس بأدل على هذا من ذكر الآتى :

أ ــ لم تتمكن القوات الاسرائيلية من تدمير الاحتياطيات التعبوية والاستراتيجية المصرية غرب القناة بل ظلت تلك الاحتياطيات تحاصر القوات الاسرائيلية وتمنع انتشارها مع الاستنزاف المستمر لها .

ب ــ لم تتمكن اسرائيل من اجبار القيادة المصرية ــ طبقا لتصورها للارباك والشلل الذى سيصيبها ــ علــى سحب قواتها من روءس الكبــارى فى شرق القنــــاة .

جـ ــ لم تتمكن القوات الاسرائيلية من الاستيلاء على أى من المدن الرئيسية فى القناة (الاسماعيلية أو السويس) .

د ــ لم تتمكن القوات الاسرائيلية من حصار أو تدمير او تهديد التجميع الرئيسى لاى من الجيشين .

هـ ــ واخيرا لم تتمكن اسرائيل خلال قتال عنيف دام لمدة ثلاثة وعشرين يومــا من استعادة أى جزء حيوى من قناة السويس سوى ٦ كيلو مترات من الشاطىء الشرقى فى منطقة الدفرزوار .

٢ ــ انه لولا الدعم والمعاونة الامريكية لما تمكنت اسرائيل من تحقيق هذا النجاح التكتيكى حيث أنها لم تكن قادرة على ذلك بدون استعواض ما خسرته والحصول على اسلحة ومعدات متطورة تتغلب على المفاجأة الفنية والتكتيكية للاسلحة التى استخدمناها كما أن ما وفرته لها المصادر الامريكية من معلومات عن الجبهـــة المصرية وعمقهـــا كان الركيزة التى بنت عليها التخطيط للعملية .

٣ ــ وان نظرة واحدة الى خريطة توزيع القوات للجانبين المصرى والاسرائيلى على ضفتى القناة كتلك التى نشرتها وكالات الانباء عند اتفاق الفصل بين القوات توضح على الفور أن الوجود العسكرى الاسرائيلى غرب القناة هو جيب منفصـــل عن الجســم الرئيسى فى سيناء الا من حبل سرى ضعيف لا يربطه به الا بقدر مــا يسهل قطعة عنه ثم هو جيب محصور داخل قبضة القوات المصرية التى تطوقه بعمق تام .

ومن الناحية الاستراتيجية فانه ليس الا مأزق عسكرى ووضع غير سليم وغير متوازن استراتيجيا يضع قوات العدو رهينة فى يد القوات المصرية أى أنـــه يضع رأس العدو فى فم الاســـد .

٤ — ونتيجة لاحتياج اسرائيل لتدعيم قواتها داخل الجيب بعد وقف اطلاق النار فقد اضطرت للأحتفاظ بدرجة تعبئة عالية لقواتها المسلحة ولمدة طويلة وذلك ضد جميع نظــرياتها العســـكرية وبذلك اضرت باقتصادها القومى الذى كان يئن بأمراضـــه السابقـــة .

٥ — وبقيت رءوس الكبارى المصرية صــامدة فى الشـــرق كما تــكبدت اسرائيل فى عملياتها التكتيكية غرب القناة خسائر كبيرة وانتهت الى مصيدة تحيط بها القوات المصرية المســـتعدة لتدميرها محتفظة بثقل الضـــغط عليها .

ولعل أحسن مثل هو ما ورد على لسان المراسل أورى دان فى جريدة معاريف يوم ٧٤/٩/٢٥ بأن الخسائر فى فرقة شارون فقط كانت ٥٠٠ قتيل ، ١٥٠٠ جريح وهو ما يماثل ١٠ آلاف قتيل و ٣٠ الف جريح فى القوات المصرية نسبة الى تعداد السكان .

٦ — واذا راجعنا النتائج الحقيقية لهذه الفترة نجد أنها أدت الى عكس ما هدف اليه العدو اذ ان كثرة الخسائر أدت الى معاناة الشعب الاسرائيلى وأن ما استولى عليه العدو باحتلاله الجيب غرب القناة لم يؤدى الا الى انسحابه منه كما أن قوات رأس كوبرى الجيش الثالث شرق القناة لم تنسحب غربا ولم تكن تواجه مشكلة ادارية بسبب قطع خطوط المواصلات الادارية عنها بسبب حجم المخزون والمكدس له فيها ولتحقيقها الالتحام بمدينة السويس .

٧ — أن طريقة تقييم أى عمل عسكرى هو بمدى تحقيقه لاهدافه الاستراتيجيــــة وبالثمن الذى تكبدته القوات القائمة بالتنفيذ والحرب تشمل عدة معارك تدور رحاها بين القوات المتصارعة وتختلف نتيجة كل معركة فيها طبقا للاستخدام الماهر للقوات والتطبيق الامثل لمبادىء الصراع المسلح لكلا الطرفين . والتاريخ العسكرى يعطينا الكثير من الامثلة على ذلك .

ولايعتبر النجاح التكتيكى فى معركة واحدة خلال المعارك الكثيرة التى دارت فى حرب اكتوبر المعيار لاستخلاص نتيجة هذه الحرب ولكن يجب قياس القيمة بالمحصلة النهائية لمدى تحقيق الطرفين لاهدافهما الاستراتيجية .

٨ — والنتيجة النهائية ان ما كان مفروضا أن يكون هجوما استراتيجيا لاسرائيل قـــد تمخض عن عمليـــة تكتيكيـــة استغلتها اسرائيل سياسيا ومعنويا ولكن لـــم تكن لهـــا قيمـــة عسكرية .

٩ — ومن وجهة النظر الاستراتيجية فان من المحقق أنه رغم النجاح التكتيكى والميدانى الذى حققته القوات الاسرائيلية الا ان حجم العملية لم يكن بالقدر الذى يغير من مجرى الحرب أو يقرر مصيرها .

الخلاصــــة :

١ — ان النصر الذى حققه شعبنا الاصيــل وقياداتنا السياسية والعسكرية فى حرب أكتوبر لم يأت مصادفة او عن طريق الحظ . ولكنه ثمرة جهد وعرق ودماء بما سبقها وصاحبها وتلاها من عمل سياسى مكثف وتخطيط دقيق .

ولم ولن يخــل أى انجــاز ناجح سجله التاريخ من بعض هنات أو شـــابه بعض الشوائب ولكن لم يقلل الخطأ من روعة الانجـــاز وأن ما يعول عليه هو المحصلة النهائية لما تحققه الحرب وليس مسار كل مرحلة منها على حدة .

٢ — ان الانجازات الباهرة للقوات المصرية خلال حرب أكتوبر ٧٣ لاشك أنها قد أدت الى نوع من التوازن فى الموقف فى المنطقة كان مفقودا قبلها وساعدت على تهيئة الظروف المناسبة لموقف افضــل .

الباب الثالث

المناقشــات العسكرية

الجلســة الاولى

صباح ٣٠ أكتوبر ١٩٧٥

المقرر : اللواء محمد حسن غنيم

الامين : اللواء احمد عبد الغفار حجازى

١ ـــ سؤال موجه من اللواء عباس عوض الله الى الكولونيل جيمس دينويدى :

اشرت الى المباغتة على أنها المفاجاة التكتيكية ، اذن فما معنى اصطــلاح المفاجأة الاستراتيجية فى هذه الحــرب .

كولونيــل دينويدى :

بالنسبة للشرق الاوسط الفرق بين المفاجاة التكتيكية والمفاجأةالاستراتيجية ليس كبيرا مثلما هو الحال فى أوربا . فالامور التى تتعلق بالمكان والمناورات وزيادة عدد القوات والنشاط الجوى كل هذه امور ذات دلالة استراتيجية وهــى مؤشرات للانذار الاستراتيجى بوقــوع هجــوم مباشر أو فورى .

٢ ـــ سؤال موجه من اللواء بحرى أشرف رفعت من أعضاء الندوة الى الكولونيــل جيمس دنويدى :

هناك نقطتان :

الاولى :

اشــار البحث الى أن العمليات البحرية دارت بين القطع الصغيرة فقط ، ولكن قد ينطبق هذا على اسرائيل وحدها أما مصر فقد استعملت القطعالبحرية الكبيرة والمدمرات والغواصات بالاضافة الى القطع الصغيرة .

الثانيــة :

من المعروف أن الصواريخ القصيرة المدى التى أرجع المحــاضر اتقــان استخدامهــا الى التدريب والمهارة لاتستطيعالتغلب على القطع المزودة بصواريخ بعيدة المدى . يضــاف الى ذلك أن المصريين استخدموا نفس الصواريخ قصيرة المدى التى كانت مستعملة منذ ١٩٦٧ . ولذلك فلا يمكن القــول بأن تدريبهــم ومهارتهم قد نالها أى انتقاص على مــدى ٥ أو ٦ ســنوات .

كولونيـــل دينويدى :

ان السؤال قد أصاب نقطة فى الصميم ، واريد أن أوضح أننى استقيت كل معلوماتى للاسف من الجانب الاسرائيلى ، ولهذا حاولت تجنب المناقشـــات الخاصة بالبحرية ، ورغم ذلك فاننى أعتقد أن المزايا التكتيكية لسلاح وتفوقه على سلاح آخر ليست كافية لمقارنة فاعلية استخدام الاسلحة ، والتاريخ ملىء بالامثلة على ذلك .

٣ – سؤال موجه من اللواء بحرى أشرف رفعت الى الميجور ادجار او بالانس :

يرى بعض المحللين أن البحرية المصرية كانت تستخدم نظرية استراتيجية ، فى حين أن البحرية الاسرائيلية كانت تستخدم نظرية تكتيكية ، فمـــا هـــو رايكم فى الفرق بين النظريتين ؟ .

الميجور ادجـــار أو بالانس :

اننى لم ادخل فى تفاصيل الاستراتيجية البحرية . الا اننى اتفق معهم فى الراى بأن البحرية الاسرائيلية كانت تستخدم النظرية التكتيكية فى حين ان البحريـــة العربية قامت بدور استراتيجى .

لقد ادعت اسرائيل انها حققت بعض الانتصـــارات فى سوريا فى حين ان الحصار الذى فرضته البحرية المصرية كان اضخم .

٤ – سؤال موجه من كولونيل ديبوى الى ادجار أوبالانس :

قال أنه يتفق مع صديقه ادجـــار أوبالانس فى بعض ما قاله ولكنه يعارضه بشدة فى اكثر ما قيل ، ولما كان المجال لايسمح بالنقاش المستفيض فســـوف يعلق تعليقين :

الاول :

انه فهم أن اسلوب الدفاع الدائرى يعتبر نظرية صائبـــة بالنسبـــة للجيش البريطانى ولكنه يعتبر فاشـــلا بالنسبة لاسرائيل .

والثانى :

أنه يعتقد بوجود اختلاف بينه وبين المستر أوبالانس فى تفسير ما هـــو المقصود بكلمة الدفاع الخطى . وقال أن مستر أوبالانس أساء بشكل خطيـــر فهم الاسلوب الاسرائيلى فى الدفاع والهجوم خاصة فيما يتعلق بقـــوات الدفاع المتحرك . ثم أضاف أنه يحث أصدقاءه العـــرب على اعادة تقييم ذلك الاسلوب قبل أن يؤمنـــوا بمـــا قاله المســتر بالانس .

ثم وجه سؤاله الى المستر او بالانس بأن يوضح ما هو الذى اخفته الحكومة الاسرائيلية عن شعبها خـــلال الحـــرب .

المجور ادجار أوبالانس :

قال انه بالنسبة لاستراتيجية اسرائيل فى الدفاع والهجوم فربما كان لدى الكولونيـــل ديبوى معلومات أحدث مما لديه هو . وأضاف أن النقطة التى يــود الاشارة اليها هى انه قبل عام ١٩٧٣ كان الاسلوب الاسرائيلى الوحيد هـــو الاسلوب الهجومى . ولكن حــرب اكتوبر اجبرت اسرائيل على اتباع الاسلوب الدفاعى . وقال أنه يعتقد أن اسرائيل تريد الاستمرار فى أن تعيش فى حالة النشوة التى كانت تعيش فيها من قبل حين كانت دباباتها تذرع الصحراء وتخترق الحواجز وأضاف أنه مؤمن بأن على اسرائيل أن تغير من ذلك الاسلوب . وقال انه لايدرى ان كان لدى اسرائيل الآن أى أسلوب دفاعى آخر سوى الاسلوب الخطى الذى اقاموه فى مرتفعات الجولان وفى سيناء . وقال انه لايعلم أن كانوا قد فكروا فى اتباع اسلوب الدفاع الدائرى كما هو معروف فى الجيش البريطانى غير أن الاحساس الذى خرج به ان دفاعاتهم هى دفاعات ثابتة وليست متحركة .

٥ — تعقيب من اللواء حسن البدرى :

قال انه يشكر الكولونيل ديبوى على تعليقه بأن على العرب ان يعيدوا تقييم مفاهيم الدفاع ليتبينوا مزايا وعيوب الاساليب المختلفة فى العالم . وقال انه يــود أن يضيف أن العرب قد اختبروا بالفعل كافة النظم الدفاعية وجربوها فى الميدان سواء أكانت نظم الولايات المتحدة أو انجلترا أو فرنســا أو المانيــا أو الاتحاد السوفيتى وبذلك عرفوا مزايا وعيوب كل منها ثم اختاروا الافضل منها والذى يتلاءم مع ظروف مصر الخاصة .

الجلســة الثانيــة

صباح يوم ٣٠ اكتوبر ١٩٧٥

المقرر : اللــواء محمد حسن غنيــم

الامين : اللــواء أحمد عبد الغفار حجازى

١ ــ أوضح اللواء محمد حسن غنيم أنه بروح العلم العسكرى وتكنولوجيا العصر الذى روعى فى الاعداد لحرب أكتوبر ١٩٧٣ يفتتح الجلسة الثانية لمناقشة الابحاث العسكرية .

٢ ــ سؤال من اللواء حسن الجريدلى الى الكولونيل تريفور ديبوى :

جاء فى التحليل العسكرى الذى قدمه الكولونيل ديبوى أنه قد وصل الى استنتاج قصير الاجل من نتائج الحرب وهو انه لا يرى احتمال أن يحقق العرب نجاحا عسكريا حاسما على الاسرائيلين فى مدى العشر سنوات أو العشرين سنة القادمة وانه على يقين من النوعية الاسرائيلية مقرونة بتوفير تلك الدولة الصغيرة لأعداد كبيرة من المقاتلين ستجعلها تحتفظ بالتفوق العسكرى لاعوام عديدة قادمة.

السؤال :

يرجى توضيح الأسس والاعتبارات التى توصل بها الكولونيل ديبوى الى هذا الاستنتاج ؟

٣ ــ سؤال موجه من العقيد أ ح / أحمد فؤاد هويدى الى الكولونيل تريفور ديبوى :

ورد فى بعض بحوث الندوة أن الجسر الجوى الامريكى كان عملية انقاذ لاسرائيل مكنتها من الاستمرار فى القتال . بينما أوضح البحث المقدم من الكولونيل ديبوى أن الدعم الامريكى كان دعما معنويا فقط وأنه لم يبدأ الا فى ١٤ أكتوبر . كما لم يكن له أثر على نتيجة اشتباك واحد حتى تاريخ ٢٥ أكتوبر حيث لم يكن الاسرائيليون قد استنفذوا فعلا الاحتياطى الموجود لديهم من قبل الحرب .

كولونيل ديبوى :

قال انه يود ــ قبل الاجابة على الاسئلة النوعية المتخصصة ــ ان يشير الى أنه كان من الصعوبة بمكان استخلاص حقائق موضوعية عن الحرب حيث كانت المعلومات تأتى من جانب واحد هو اسرائيل . وأضاف أن ذلك قد يكون راجعا الى تفوق الدعاية الاسرائيلية او الى العلاقات التاريخية الحديثة بين اسرائيل ودول الغرب . واوضح أنه قد حصل من مصر أيضا على بعض المعلومات المقيدة بسبب دواعى الامن وأنه حاول فى ضوء ذلك استخلاص الحقائق الموضوعية بقدر مكان دون أى اعتبار لما يجب أو ما لايجب من هو العدو ومن هو الصديق وانما استخلاص الحقائق كمورخ .

وبالنسبة للســـؤال الاول :

قال انه يريد أن يذكر الحاضرين بما قالـــه من أنه اذا لم يوجـد الســلام فيسينتصر العرب ولن تبقى اسرائيل مثلما حدث للصليبيين . غير أن القضــاء على الصليبيين لم يتم فى سنتين او ثلاثة بل استغرق مائة عـــام . واضـــاف انه واثق من أن السلام سيتحقق وستستطيع الحضارتين أن تعيشا جنبا الى جنب وأوضح انه لا يتحدثعن اشخاص معينين جنودا وقادة أو عن جندى اسرائيلى يهزم جنديا عربيا بل يتحدث عن الفرق المسلحة فى مجموعها . فقد كان لاسرائيل التفوق على العـــرب بنسبة ٥٠ الى ٨٠ ٪ وقد انتصرت فى حربين سابقتين مثلما كان حال الألمان خلال الحرب العالمية الثانية ومع ذلك هزمهم الحلفاء . وبالطبع يمكن للعـــرب أن يهزموا اسرائيل رغم هذا التفوق واضاف انهم فى الغـــرب قبلوا تلك الحقيقة فى الحرب العالمية وتفهموها وانه لا حظ أن المشير الراحل احمد اسماعيل كان متقبلا لحقيقة تفوق اسرائيل فى القوات الجـوية وفى التعبئة وكان هدفه التقليل من فجوة الكفاءة بين العـــرب واسرائيل . وقد فعل ذلك بنجـــاح .

اما بالنسبة للســؤال الثانى :

قال أنه لا يعتقد أن موضوع الامدادات الامريكية اذا ما قورنت بالامدادات السوفيتية يمكن اثباته بسهولة بل سيبقى دائما خاضعا لتقييم وجهات النظــر واضاف انه يعتقد أن الامدادات الامريكية كان لها تأثير فى بعض الحالات المحدودة حين كان الاسرائيليون يعانون من نقص أو ضعف فى بعض المعدات مثل اجهزة القياس الالكترونية وصـــواريخ تاو على سبيـــل المثال . واوضح انه سيكون فى غاية الاندهاش اذا ما ثبت أن حجم المعونات الأمريكية التى قدمت لاسرائيل عبر الجسر الجـــوى كانت تفوق المعونات الســـوفيتية التى قدمت الى الدول العربية غير أنه لا يستطيع اثبات ذلك واشار الى أنه يؤيد مـــا قاله الكولونيل دينويدى فى الصباح من أن الامدادات الحقيقية والفعلية من الاســـلحة كانت تأتى عن طريق البحر . ولذلك فان الامدادات السوفيتية الى الدول العـــربية عن طريق البحر فاقت الامدادات الامريكية الى اسرائيل عبر هـــذا الطـــريق واضاف انه توجد نقطة اخرى ليس بوسعه اثباتها وهىأن اسرائيل كانت قد قررت عبور القناة قبل أن تكون واثقة من آية امدادات أمريكية اليها على نطاق واسع اللهم ســـوى تلك الامدادات البسيطة التى كانت تنقلها بواسطة طائراتها التابعة لشركة العـــال .

٤ — تعليق اللواء حسن الجريدلى ردا على اجابة الكولونيل ديبوى .

سيداتي وسادتي :

مما لاشك فيه ان تلك العبارة الصغيرة التى وردت فى تحليل الكولونيل ديبوى وهى « عدم احتمال ان يحقق العرب نجاحا عسكريا حاسما على الاسرائيليين فى مدى العشر سنوات أو العشرين سنة القادمة » لا يمكن أن تمر دون ان تسترعى الانتباه وتستدعى التوقف لخطورتها فهى استنتاج ضخم يجب أن يأخذ حقه من التحليل والدراسة .

ولاشك أن هذا الاستنتاج لايمكن الوصول اليه بمجرد استعراض لبعض العوامل العامة أو التاريخ القديم ولكن يجب أن يكون قائما على احصائيات دقيقة ورؤيا واضحة لخطط المستقبل للعشر سنوات أو العشرين سنة القادمة للطرفين الاسرائيلى والعربى حيث أنه استنتاج مباشر محدد .

ولا أعتقد أن أيا من الطرفين قد باح أو يبوح بهذه التفصيلات أو بخططه للمستقبل سواء داخل بلاده أو خارجها لسريتها الفائقة .

ولذلك فلا يمكن التسليم بصحة هذا الاستنتاج بهذه الصورة العامة التى لم تبن على الاسس أو الاحصاءات أو خطط المستقبل الدقيقة الواضحة ..

ومع ذلك فسوف أحلل العوامل المختلفة التى قد تكون أدت الى هذا الاستنتاج

أولا : قد يتصور الكولونيل ديبوى انه مازالت نوعية الفرد الاسرائيلى متفوقة على نوعية الفرد المصرى وان هذا التفوق سيستمر لأعوام عديدة قادمة — لقد كان هذا التصور مقبولا لدى الكثيرين بعد معركة يونيو ١٩٦٧ وحيث كانت اسرائيل تركز على هذه النقطة ونجحت فى اقناع العديد من دول العالم بها بل اقنعت نفسها وشعبها بذلك أيضا الى أن جاءت حرب اكتوبر ٧٣ وكان من ابرز مظاهرها ظهور نوعية الفرد المصرى بمعدنه الصحيح على كافة المستويات ... واثبت السياسى المصرى والمخطط والقائد والمقاتل المصرى بل الشعب المصرى كله كفاءته وقدراته كحقيقة واقعة ملموسة . واتضح فى هذه الندوة بجلاء تام أن الفرد المصرى كان عاملا أساسيا فى احراز النصر .

وكان هذا فى عام ٧٣ — وباسترداد الفرد المصرى بعد الحرب لثقته فى نفسه وفى فكره وفى تقديراته وفى استيعابه لكل دروس الحرب وبمسايرته التطور العلمى الحديث وبروحه المعنوية العالية بدا خطوة اخرى فى التقدم وفى زيادة كفاءته ولايمكن لاى قوة أن تفرض عليه التوقف أو التخلف .

لذلك فان النوعية المصرية بتزايدها وباضافة الكم العددى الكفء لها أصبحت هى الكفة الراجحة فى هذا المجال .

ثانيا : كما قد يكون دار فى الذهن أيضا أن اسرائيل قد استعوضت خسائرها فى الحرب وأصبحت أقوى نسبيا فى الوقت الحالى عما كانت فى أى وقت مضى وان ذلك مرجعه الى أن مصدر السلاح لها شبه مفتوح وشبه مضمون بعكس موقف مصر التى لم تستعوض كل خسائرها فى الحرب بعد .

أن هذه النقطة بالذات قد استوعبتها مصر تماما وخرجت بها كدرس كبير مستفاد من الحرب قررت بناء عليه تنويع مصادر السلاح وهذا ما سيثبت المستقبل القريب مدى وزنه وفاعليته .

ومع ذلك فلا يخفى علينا جميعا أن مصر حينما قررت ان تدخل الحرب عام ٧٣ دخلتها واسرائيل متفوقة عليها فى السلاح — ولكننا قدرنا حساباتنا تماما وامكننا التغلب على هذا الفارق بالتخطيط السليم والاعداد الجيد والتدريب الشاق والروح المعنوية العالية ولم يكن ابدا السلاح هو المنتصر بل الفرد الذى خلف السلاح .

وقد يتبادر هنا أيضا ان الحصول على السلاح واستيعابه سيستغرق وقتا وان الصناعة العسكرية الاسرائيلية المحلية قد بدات وقطعت شوطا بينما الصناعات العسكرية العربية لم تبدأ بعد ...

وهنا أقول أنه من جهة استيعاب السلاح فنحن قادرون على استيعابه فى فترات اقل مما يتصور الكثير لعوامل عدة ذاتية ولا يماننا بأن هذه القضية قضية مصير لنا .

أما بالنسبة للصناعات العسكرية العربية فاننا حقيقة قد تأخرنا فيها بعض الوقت ولكننا خطونا أولى الخطوات وسنبدأ من حيث انتهى الاخرون .

ثالثا : وقد يقال ان اسرائيل قد استوعبت دروس حرب اكتوبر ٧٣ تماما بالذات أسباب النجاح المصرى فى هذه الحرب وخاصة المفاجأة وانها لن تسمح بتكرار ماحدث . وببساطة شديدة اعتقد أن المخطط المصرى الذى ابتكر من ذاته وفكره ما مهد الطريق الى النصر لقادر على الابتكار والخلق المستمر كلما تقدمت به الايام .

وبصفة عامة فانى اعتقد ان جميع مقومات النجاح التى فرضها المقاتل والمخطط المصرى فى حرب اكتوبر ٧٣ مازالت قائمة بل وتزيد يوما بعد يوم والحقيقة اننى كنت اتوقع أن يطرح سؤال آخر وهو « هل من المحتمل انتحقق اسرائيل نجاحا عسكريا فى أى صراع فى هذه المنطقة خلال العشر سنوات القادمة أو لاعوام عديدة قادمة . » .

واخيرا أرجو أن اكون مخطئا فى ان يكون البعض قد تشبع بالنظريات والدعايات الاسرائيلية وصدقها واقتنع بها ومنها نظرية الردع المعنوى والتجويف النفسى فهذا

أسلوب معروف من زمن بعيد ولقد قالوا عنا بعد معركة يونيو ٦٧ أنه لن تقوم لنا قائمة قبل حلول جيل جديد أو قبل مرور خمسة عشر عاما على الاقل ولقد اثبتت الايام كسر هذا القول وتعريته اذ قمنا بعد ست سنوات فقط بمعركة بمبادرة منا وانتصرنا فيها . . .

فهل من المعقول ان نصدق ان نفس الادعاء الذى قيل عنا بعد معركة ٦٧ ان يقال عنا بعد انتصارنا عام ٧٣ ؟

اترك لكم الاجابة على هذا السؤال وشكرا . . .

٥ ـ تعقيب العقيد أ . ح / أحمد فؤاد هويدى على الجسر الامريكى :

اولا :

١ ـ أرجو أولا أن تكونوا جميعا متفقين معى فى الراى حول حقيقة أن اقامة جسر جوى لنقل اكثر من ٢٢٠٠٠ طنا من الاسلحة والمعدات من الولايات المتحدة الى اسرائيل هو عمل من اعمال الطوارىء وان اجراء ١٤٣٢ طلعة طائرة نقل فى عملية نقل جوى عاجلة هو عمل مكلف للغاية ولا يتخذ للدعاية أو لرفع الروح المعنوية فهناك وسائل دعائية ومعنوية أخرى كثيرة اقل تكلفة واكثر تأثيرا لاستعراض وتأكيد دعم الولايات المتحدة لاسرائيل فى هذه الحرب .

٢ ـ ومن ناحية أخرى فاذا كان الهدف منها هو طمأنة القيادة العليا الاسرائيلية الى ان مزيدا من احتياطى الاسلحة والذخائر والمعدات فى الطريق اليها حتى تستخدم بحرية الاحتياطى المتوفر لديها ـ كما فكر الكولونيل «ديبوى» فى بحثه ـ فانه كان يكفى ان تعلم اسرائيل ببدأ الجسر البحرى الذى وصلت اولى سفنه الى موانيها فى ٢ نوفمبر ٧٣ تحمل ٣٣٢١٠ طنا من الاسلحة والمعدات ، كان فى اخطار اسرائيل بذلك مايكفى لان تطمئن وتستمر فى القتال اعتمادا على الاحتياطى المتوفر لديها ولو ان ذلك على افتراض صحته يعتبر تأثيرا على سير الحرب .

٣ ـ وبالاضافة الى ذلك فانها ولاشك عملية انقاذ ضخمة تلك التى وصفها وزير الجيش الامريكى امام اللجنة العسكرية لمجلس النواب فى ١٤ فبراير ٧٤ بقوله « أنه بنشوب القتال قام الجيش بامداد اسرائيل بكميات كبيرة من معدات القتال الهامة وبكميات كبيرة من الذخيرة واضاف أن هذه الامدادات نقلت من مخازن الطوارىء ومن القوات العاملة فى أوروبا ومن الوحدات المقاتلة فى الولايات المتحدة الامر الذى أثر على قدرات واستعدادات الولايات المتحدة العسكرية » .

ثانيــا :

٤ — ثـم دعـــونا نستعرض بعـــد ذلك الحقائق التى تربط الجسر الجوى الامريكى بســير العمليــات خلال الحـــرب :

أ — لست فى حــاجة الى ابراز الموقف فى مسرح العمليــات وتطوره المعروف لنــا جميعــا . ففى أيــام ٦ ، ٧ ، ٨ كــان الهجــوم المصرى قــد اجتــاح خط بارليف والاحتياطيات المدرعــة الاسرائيلية التى تقـــوم بالهجمــات والضربات المضـــادة يتـم تدميرها الموجــة تلو الاخــرى والطائرات الاسرائيليــة تسقط بمعدلات عاليــة بواسطة الدفـــاع الجوى المصرى بالصواريخ والمقاتلات فى محاولاتها الفاشلة لخلق موقف جــوى مناسب .

فماذا كانت الصـــورة فى واشنطن ؟ يقـــول الاخـــوة كالب KALP فى كتابهمـــا « كيسنجـــر » ورقمـــه فى كتالـــوج مكتبـــة الكونجرس ٧٤/٥٨٩٢ فى الفصل السابع عشر — (وزير الخارجية فى الحرب) أنه منـــذ الصباح المبكـــر يـــوم ٨ أكتـــوبر اخطـــر مستر كيسنجـــر السفير الاسرائيلى دينتز ردا على طلب مسبق بالموافقة على الســماح لعـــدد من الطائرات الاسرائيلية بالقدوم الى القواعد الامريكية لنقـــل المعـــدات بشرط أن يخفـــوا العلامـــات الاسرائيلية على ذيـــول الطـــائرات .

وخلال نفس اليوم ١٠/٨ تمت اتصالات مستمرة بين السفير الاسرائيلى ووزيـــر الخـــارجية الامريـــكى الح خـــلالهـــا الســـفير الاسرائيلى على بـــدء ارســـال مزيـــد من طائرات الفانتوم الى اسرائيل معـــربا عن أن الخسائر فى الطائرات تتوالى بمعدلات أعلى ممـــا كان متوقعا .

ولكن الساعة ١٧٠٠ من نفس اليـــوم شهدت اتصالا تليفونيا عاجلا من السفير الاسرائيلى يقـــول فيـــه أنه أنهى لتوه مكالمة تليفونية مـــع رئيســـة الوزراء مسز مائير وأنهـــا تناشـــد الحكومة الامريكيـــة ان نضـــع اسـبقية أولى ليس فقط للطـــائرات والدبابات التى طلبتهـــا ولكنهـــا أيضـــا تضيف قائمـــة طلبـــات جـــديدة فرضتهـــا ظـــروف القتـــال الحـــادة وخسائر اسرائيل البالغـــة — ثـم وصـــل السفير الاسرائيلى الى البيت الابيض الساعة ١٨٤٠ ليخبر وزير الخـــارجية الامريكى بان اسرائيل تحتاج طائرات ودبابات وأنهـــا تحتاجهم فورا . الـــم يكن ذلك هو النتيجـــة المباشرة لفشـــل القـــوات الاسرائيليـــة وتكبدها من الخســـائر ماعجز الاحتياطى المتوفر لديهـــا من الاسلحة والمعـــدات عن تعويضـه على الارض وفى الجـــو .

ب — ويستمر الكاتبان فى استعراض تطورات الخسائر الاسرائيلية والضغوط التى تعرضت لهـا الحـكومة الامريكية بتهديدات اسرائيل باللجـوء الى استخـدام نفوذهـا فى الكونجرس وبين الرأى العـام الامريكى لاجبـار الرئيس الامريكى على الاستجابة العاجلة وذلك فى الفتـرة مـن ٨ حتى ١٢ أكتوبر وهى الفترة التى اتخذ الرئيس الامريكى خلالها قـرارات متوالية بدأت بقـرار استخدام الطائرات المدنيـة الامريكية لنقل مطالب اسرائيل الى خارج الولايات المتحـدة ثـم تقوم اسرائيل بنقلهـا اليهـا وانتهت تحت ضغط الخسـائر الاسرائيلية باتخـاذ قـرار عاجـل بأن يتـم النقـل فورا بطائرات القـوات الجـوية الامريكية رأسا الى اسرائيـل .

ج — ويؤكـد ما سبق التقرير الرسمى لمراقب عـام الدولة الى الكونجرس الامريكى حـول الجسر الجـوى الى اسرائيل خلال الحـرب والذى قـدم الى الكونجرس فى ١٦ ابرايل ١٩٧٥ وتضمن ما نصـه : (فى ١٢ أكتوبر ٧٣ وقبل اتخـاذ قـرار حـول وسيلة نقـل المعدات جـوا الى اسرائيل ارسلت رئيسة وزرائهـا رسـالة عاجلة الـى الرئيس نيكسون تطلب معـونة عاجلة وأبرزت أن احتياطيات اسرائيل تتدهور وأن مصير اسرائيل فى شـك خطـير . واضاف التقـرير . وفى هذا اليـوم أمـر الرئيس الامريكى ببـدأ النقـل الجـوى فـورا بواسطة طائرات نقل القـوات الجـوية الامريكية الى اسرائيل) .

د — ونستخلص من هذه الحقائق :

(١) أن طائرات اسرائيلية بدأت فى نقـل احتياجات اسرائيل العـاجلة قبـل يـوم ١٢ أكتـوبر . وبالتحديد غادرت قـاعدة نورفولك الجويـة فى فرجينيا أول طائرة جامبـو اسرائيلية تحمل (صواريخ لتسليح الطائرات) الى اسرائيل يوم ٩ اكتوبر ٧٣ .

(٢) أن عجز الامكانيات الاسرائيليـة قـد وضح منـذ اليـوم الثـانى للحـرب وان الالحـاح الاسرائيلى على الحكومة الامريكية تصاعد الى درجـة الاستغاثة اعتبارا من يوم ١٠/٨ .

(٣) أن الجسر الجـوى الامريكى بـدأ اعتبـارا من يوم ١٠/١٣ بصفة عاجلة فى استعواض خسائر اسرائيل فى المعدات التى عجزت عن تعويضها من احتياطياتها المحليـة ولمواجهـة الموقف العسـكرى الذى كان يعـرض مصير اسرائيل للخطر .

ثالثــــا :

٥ — وننتقل الى تأثير الجسر الجوى الامريكى على سير العمليات وبالتحديد ماذكــره الكولونيل ديبوى عن عــدم وصـــول الاسلحــة المضــادة للدبابات والدبابات الى اسرائيل فى هذه الفتــرة الحــرجة من الحرب بالنسبة لاسرائيل ومالم يذكره من الاسلحة والمعدات الاخرى التى شملها الجسر :

أ — يحـــدد تقرير مراقب عـــام الدولة الى الكونجرس والسابق الاشــارة اليــه بعض الاسلحـــة والمعــدات والذخائر التى شملتهـا عمليـــة الجسر الجــوى فيمــا يلى :

(دبابات م ٦٠ ، م ٤٨ ، مدافع ١٥٥مم ، ١٧٥مم ، مواسير مدافع وذخائر مدفعية عيـــار ١٧٥ ، ١٥٥ ، ١٠٥ مم ، أجهــزة اشــارية واجنحـــة طائرات ، هليــكوبترات ، رادارات ، بطــاريات هــوك ، معـــدات نظـــام الدفاع الجــوى فولكان / شـــاباريل ، قنابل م/د روك آى ، صواريخ جــو / أرض مافريك وشرايك ، قنابل وول آى ومعـــدات اعـــاقة سلبية) وتضمن التقرير حمولات غير مميزة لمعـــدات اخــرى لــم يفصح عنهــا .

ب — وقـــد تأكـــد أثنـــاء العمليـــات ومن واقع قتـــال قواتنا المدرعـــة استخدام اسرائيل للصواريخ م/د (TOW) اعتبارا من ١٤ أكتـــوبر ٧٣ . وقـــد أكـــد اســـتخدام اسرائيل لهذا الصـــاروخ فى عمليـــات أكتـــوبر ماذكـــر فى تقـــرير اللجنة الفـــرعية الخـــاصة المنبثقـــة عن لجنـــة الخدمات المسلحـــة التابعـــة لمجلس النـــواب الامريكى فى ١٢ ديسمبر ٧٣ عندما ذكـــر التقرير أنـــه (خـــلال اجتماع اللجنـــة قبل اسبوع من بـــدء الرحلة سئل ضابط وزارة الدفاع الذى كـــان يقـــوم بتلقين اللجنـــة عن اداء الصاروخ (TOW) فى هذه الحرب فأجـــاب بأن التقارير أفادت بـــأن اداءه كـــان جيدا تماما) .

جـ — وفى نفس الوقت فان ماحمله الجسر الجـــوى من معـــدات واسلحـــة جـــوية استخدام على الجبهة المصرية خلال القتـــال فقـــد استخدمت مســـتودعات الاعـــاقة الحديثة AL Q112 يوم ٢٠ اكتوبر كمـــا اســـتخدمت الصـــواريخ مـــا فريك أعتبارا من الصـــباح المبكـــر ليـــوم ٢٢ اكتوبر بعد تدريب عاجل اجراه جبراء شركة هيوز الامريكية على أثر وصـــول هـــذه الاســـلحة والمعـــدات يوم ١٨ أكتوبر الى السرب ٦٩ فانتـــوم بقاعدة رامات دافيد .

د — <u>ونستخلص من هذه الحقائق مايلى :</u>

(١) ان الجسر الجـــوى الامريكى شـــمل عـــلاوة على الطائرات فانتوم

وسكاى هوك التى وصلت الى اسرائيل ، أسلحة م/د وصواريخ ودبابات ومدافع الى جانب المعدات الالكترونية وقطع الغيار .

(٢) ان هذه المعدات مثلت عملية انقاذ لاسرائيل مكنتها من الاستمرار فى القتال وتجنب الانهيار العسكرى .

(٣) ان عمليات القوات الاسرائيلية قد تأثرت بهذا الدعم اعتبارا من بدء وصول الجسر الجوى فى ١٣ أكتوبر ٧٣ .

رابعا :

٦ — واخيرا ماذا تقول المصادر الاسرائيلية :

أ — لقد ذكرت رئيسة الوزراء الاسرائيلية مسز مائير يوم ٢٣ اكتوبر فى تصريح لها ان الولايات المتحدة امدت اسرائيل عبر الجسر الجوى خلال ١٢ يوما بما قيمته ٨٢٥ مليون دولار من المعدات العسكرية من جميع الانواع .

ب — وفى نفس اليوم اعلن بنيامين بليد قائد السلاح الجوى الاسرائيلى أن قوة السلاح الجوى حاليا يماثل تقريبا القوة التى كانت تملكها اسرائيل عشية حرب يوم الغفران وقد تم استعواض الخسائر .

السيد / الرئيس :

ايها السادة :

هذه هى حقائق الجسر الجوى الامريكى الى اسرائيل خلال حرب اكتوبر من واقع الوثائق وكلمات المسئولين الامريكيين والاسرائيليين .
وشكرا .

٦ — المقرر :

عقب على ما قيل من وجود فجوة حضارية بين مصر واسرائيل بأن نسب المتعلمين الى عدد السكان انما هى نسب خادعه لأن عدد تلاميذ المرحلة الابتدائية فى مصر هو ٤ مليون تلميذ أى تقريبا ضعف سكان اسرائيل وأن تلاميذ المرحلة الاعدادية والثانوية يبلغون ٢ مليون طالب أى نفس سكان اسرائيل تقريبا وأن عدد طلاب الجامعات هو نصف مليون يتخرج منهم سنويا ٨٠ الف طالب . ويحصل على شهادة الدكتوراه سنويا الف طالب ويعنى هذا أنه فى خلال عشر سنوات يمكن لمصر تجنيد جيش من العلماء مساو لعدد سكان اسرائيل تقريبا .

٧ — سؤال موجه من اللواء أبو غزاله الى جنرال الجيش لوفجرن

أ — أوضحت حرب أكتوبر أن نجاح الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات ربما تمثل بداية انتهاء عصر الدبابة كسلاح مسيطر فهل لو سلحت الدبابة بمقذوف موجه بالاضافة الى المدفع تحل المشكلة ؟ أم أن هناك حل آخر .

ب — ما هو الرأى فى دخول صواريخ ارض/ارض الى الشرق الاوسط وما تأثير ذلك على الطرفين فى أى حرب مقبلة .

جنرال الجيش ستيج لوفجرن :

قال أنه يود ان يكرر ما سبق أن اوضحه فى بحثه حول دبابة الغد التى يجب أن تكون أكثر تحصينا ضد الاسلحة المضادة . وأن المستقبل سوف يرى تصميم انواع مختلفة من الدبابات تفصل فيها خزانات الوقود والذخيرة عن غرفة القيادة . وأن ذلك بدوره سوف يؤدى الى ابتكار أنواع أثقل من المقذوفات والعبوات ومن الصواريخ . كما اضاف بأن الصواريخ الخفيفة تعتبر بشكل او بآخر من ضمن الاسلحة الجوية حيث انها تتكون من قاذف ومن الفرد الذى يصوب والموجود فى مكان آخر. والاهداف هنا ليست محددة بدقة بالغة كما هو الحال بالنسبة للدبابات مثلا سواء اكانت الدبابة مزودة بمدفع أو بصاروخ . وأضاف بأنه يعتقد أنه فى حالة التبارز بين عربة مزودة بصاروخ وبين دبابة مزودة بمدفع فان المدفع ستكون له الغلبة رغم أن العربة المزودة بصاروخ تعتبر أيضا من الاسلحة الدقيقة التصويب الا أن المدفع يعتبر أكثر دقة وتصويبا .

وأشار الى انه ليس رجل دبابات بل هو رجل مدفعية ومن المحتمل أن يكون ذلك قد أثر على آرائه .

ثم أوضح أيضا أنه لاتوجد حتى الآن دبابة مزودة بصاروخ ثم ذكر أن الحاضرين بلا شك يعلمون عن المشروع الامريكى فى هذا الشأن والذى تم صرف النظر عنه .

وقد اضاف بأنه كان يجب أن يشير فى بحثه الى أن الاسلحة الخفيفة المضادة للدبابات هى اسلحة ذات آثار استراتيجية لو استعملت فى الميدان الاوربى . واذا تمكن حلف الاطلنطى من تقويتها فلا شك أن الاتحاد السوفيتى سوف يطور من اسلحته ايضا بعد النجاح الذى حققته تلك الاسلحة فى الحرب (حرب أكتوبر) .

امـــا بشأن الصواريخ سطح / سطح ، أوضح انـــه يعتقـــد أن المقصـــود بالسؤال هو ما تطالب اسرائيل بـــه للحصول على الصاروخ (لانس) . واحـــد الاجابات على ذلك السؤال هى ان صاروخ «لانس» يعتبـــر احـــد القذائف البعيدة المـــدى التى تصيب انظمـــة الدفاعات الجـــوية للعـــدو . ثـــم نبـــه الاذهـــان الى ما سبق ان اوضحـــه من انـــه لايجب اهمـــــال الدفاع الجـــوى الحـــديث بـــل أخذه دائمـــا فى الاعتبار والتغلب عليـــه . واشار بعـــد ذلك الى مارددتـــه الصحف الامريكية من أن هدف اسرائيل من الحصول على صاروخ «لانس» هـــو لتحقيق ذلك الغـــرض فقط . أمـــا اذا كـــان لاسرائيل هدف آخـــر من الحصول على ذلك الصاروخ فان ذلك يقـــود الى دراســـة اسلوب الردع لتلك الصواريخ وعلى الاخص صاروخ «بيرشنج» . ان ذلك النـــوع من الصواريخ يمكنـــه بلا شك ان يضرب فى اعمـــاق الدول العـــربية المجاورة . ويشير الاسرائيليون الى وجود صواريخ سوفيتية بعيـــدة المدى فى مصر وسوريا مصوبة بالفعل اليهم والى عمقهم.

وفى رايه ان سبب الحاح اسرائيل للحصول على ذلك النـــوع من الصواريخ هو لتكون مستعدة للدفاع عن نفسهـــا اذا ما واجهت حـــالة اليأس فى أى حـــرب مقبلـــة .

٨ ــ المقـــرر :

اشـــار الى ورود بعض عبارات ذكرت فى اليـــوم الاول للندوة واليـــوم ايضـــا على لســـان بعض الباحثين الذين يفضل عدم ذكـــر اسمائهم . واحـــدى هذه العبارات كانت حـــول نظرية خط بارليف وانهـــا مبنيـــة على نظـــرية الدفاع الخطى وأن الخط على الرغم من توفـــر عنصر المفاجـــأة استطاع ابطـــاء الهجـــوم المصرى بالقـــدر الكـــافى الذى يسمح للاحتياطى الاسرائيلى المحلى ثم للاحتياطى المعبأ بعد ذلك من تعطيل الهجوم المصرى ووقف تقدمه .

امـــا العبارة الثانية فقـــد اوضحت انـــه مهمـــا قال الاسرائيليون عن هذا الخط قبل الحرب ، فانه كان لاعراض الحرب النفسية وخداع النفس . ذلك أن الخط لم يكن خطـــا كثيف التحصـــينات فهـــو خط مكـــون من نقط ملاحظـــة محمية تعتبر جزءا من دفاع آخـــر قائم على صعوبات عبور القناة وعلى مرونة وخفة حركة المدرعـــات . ويمكن مقارنة هـــذا الخط بخطوط التحصينات فى الحربين العالميتين . وأن الربط بين الدفاع الخطى والمتحرك كان مؤثرا للغاية . ولذلك فقد طلب اللواء طـــه المجدوب التعليق على تلك العبارات .

٩ ــ قــام اللــواء طــه المجدو ب بتقييم نظــرية خط بارليف وتطبيقها كنظــام دفاعى متكامل :

تقــديم

لقــد جــاء ذكــر خط بارليف كثيرا فى هذه الندوة ولكن دون ان تتحــدد حقيقة نظريته تحــديدا وافيا رغم أن هذا الخط يعتبر عاملا اساسيا فى تخطيط وتنفيذحرب أكتوبر للجانبين لذلك فان القــول بأن خط بارليف كان خطا رقيقا من نقط الملاحظة المحميــة ، انمــا يخالف كل المشــاهدات والحقــائق التى واجهتهــا قواتنا والتى لمسهــا كل الزائرين لهــذا الخط المنيــع بــل انــه يخالف التطور التاريخى لفكــرة خط بارليف ذاتهــا والتى نشأت فى اعقــاب حــرب يونيــه ١٩٦٧ لتحقق هدفا سياسيا محــددا .

ففى ذلك الوقت دار حوار طويل فى اسرائيل حــول افضــل الاســاليب العسكرية لتحقيق الهــدف السياسى للدولــة والخــاص بالاحتفاظ بالارض المحتلة .. فى ضــوء الواقع الاستراتيجى الجــديد فى جبهــة ســيناء ، وبالتالى ضرورة تكييف الاوضاع الدفاعية فى هذه الجبهــة بحيث تحقق هذا الهــدف .

ولقــد شكلت نظرية خط بارليف حجر الزاوية الذى قــام عليــه النظــام الدفاعى الاسرائيلى فى سينــاء . ولذلك فان تقييمهــا يجب الا يستند على قيمتهــا العسكرية فقط بــل كذلك على الظــروف السياسية والنفسية التى عاشتهــا اسرائيل فى اعقــاب يونيــه ١٩٦٧ .

لذلك اريد الآن ان اطرح على حضراتــكم حقائق وابعــاد نظــرية خط بارليف وحقيقة هــذا الخط وقــدارته الفعليــة

القناة والحدود الآمنة :

فقد كان الوجود العسكرى الاسرائيلى على الضفة الشرقية لقناة السويس يمثل تطبيقا ضروريا لنظرية « الحدود الآمنة » ، حيث كانت القناة تشــكل المانع الطبيعى القوى الذى يحقق هذه الحدود على الجبهة المصرية وبالتالى فقد فرض ذلك التزاما عسكريا محددا على الجيش الاسرائيلى هو رفض أى نجاح للقوات المصرية بعبــور قناة السويس أو الحصول على موطىء قدم فى سيناء .. ومن هنا فان نظــرية خط بارليف قد اكتسبت مضمونا استراتيجيا حيويا يعطيها أهمية خاصة . ذلك لان سقوط الخط ذاته كان يعنى أنهيارا أساسيا فى نظرية الأمن الاسرائيلى وحدودها الآمنة .

الهدف النفسى :

ومن ناحية أخــرى يمكن القــول أن نظــرية خط بارليف قــد تضمنت هدفا نفسيا هاما هو أن تجعل من قناة السويس سدا منيعا يحول بين جيش مصــر وارضــها فى سيناء حتى تفرض على المقاتل المصرى شــعورا بالعجز وتبث فى وجدانه احساســا

باليأس غير أن هذا الجانب النفسى من فلسفة خط بارليف قد فشـــل فى تحقيق هدفه تماما اذ أمكن للمقاتل المصرى بشجاعة نادرة أن يكتسح هـــذا الخط ودفاعاته خلال الساعات الأولى من اليوم الأول للقتـــال .

الصراع الفكرى :

وقد اتفقت الآراء فى اسرائيل على أن الوجود العسكرى على خـــط القناة كان ضرورة استراتيجية وان أختلف قادتها فى الأسلوب الذى يحقق هذا الوجـــود .

— فقد تبنى البعض فكرة اقامة خط رقيق من نقط الملاحظة والانذار — وعارض البعض الآخر فكرة أقامة التحصينات واستبدالها بأستخدام الدبابات كقوة نيران متحـــركة للحفـــاظ عـــلى الروح الهجـــومية للجيش الاسرائيلى .

— بينما تمسك آخرون بضرورة أقامة استحكامات قوية ومحصنة قادرة على تحمل نيران المدفعية المصرية .

ولـــا كان بارليف هو رئيس الاركان العامة وقتئذ فقد انتصرت نظريته ونفذت فـــكرته وأصبح الخط ليس مجرد ثمرة عمل عســـكرى بحت بل رمزا لقـــوة اسرائيل ومنعتها أمام العالم ومثالا عمليا لامر واقع حاولت اسرائيل فرضه على العرب حتى أنه عندما ترك بارليف خدمـــة الجيش كتبوا قائلين لقد ذهب بارليف ولكن بقى الخط معبرين بذلك عن ايمان راسخ بفلسفة التوسع التى أنشىء خط بارليف لتكريســـها .

شـــكل الخط :

— لقـــد مر أنشاء الخط بعدة مراحل بدأت بأنشاء شبكة من التحصينات ونقط الملاحظة التى توفر الحماية من نيران المدفعية وتعمل كمراكز للانذار الالكترونى وقواعد للدوريات المدرعة . وانتهت فى أعقاب وقف اطلاق النيران فى اغسطس ٧٠ بأن تحولت هذه التحصينات الى منشآت هندسية ضخمة مزودة بكل وسائل القتال والاقامة .. حتى بدت من الخارج وكأنهـــا قلاع القرون الوسطى .

— وحينما أكتمل هذا النظام الدفاعى الكثيف كانت تكاليفه قـــد بلغت أكثر من ٣٠٠ مليـــون دولار فمـــاذا كان يتضمن :

١ — حائطا ترابيا على امتداد القناة أرتفع حتى ٢٥ متر وبلغ عرض قاعدته ٢٠٠ م كما تمت ازاحته غربا حتى لامس تماما حافة القناة دون أن يترك موطئا لقـــدم على الضفة الشرقية .

٢ — اقيم فى جوف هذا الحائط وفوق قمته سلسلة من المواقع المحصنة والتى بذل فى بنائها جهدا خارقا وتجمعت فيها كافة الخبرات المكتسبة من مســـارح الحرب

المعاصرة فى التحصينات والموانع بعد أن أضيفت اليها الخبرة المكتسبة من حرب الاستنزاف التى شنتها مصر .

٣ — أنشئت هذه المواقع على طوال المواجهة الصالحة من القناة والتى تبلغ حوالى ١١٠ كم وبلغ عددها ٢٢ موقع دفاعى مكونة من ٣٦ نقطة حصينة ، تسيطر جميعا على المواجهة والجوانب والخلف أما الفواصل التى تركت فيما بينها فقد جهزت على قمة الساتر الترابى بمرابض للدبابات بفاصل ١٠٠ متر بين كل مربض وآخر بحيث يمكنها اطلاق نيران جانبية تكتسح سطح القناة وضفتها الغربية وقد بلغ عددها أكثر من ٣٠٠ مربض دبابة .

٤ — وقد اختيرت هذه النقط الحصينة بحث تغطى كافة الاتجاهات الصالحة لعبور القناة ولتقدم القوات فى سيناء وأن تتبادل المعاونة فيما بينها بالنيران أو بالاشتراك مع الدبابات الموجودة فى الفواصل على الأجناب .

كان ذلك هو الشكل العام للخط الأول فماذا عن نقطة الحصينة .. ماذا كانت مكوناتها وأسلحتها وهل هى حقا نقطة ملاحظة محمية أم قلعة قتال كاملة ؟! فلنستعرض معا مكونات هذه النقطة الحصينة :

١ — بلغت مساحة النقطة حوالى ٤٠٫٠٠٠ متر مربع أو أكثر . وهى عبارة عن منشأة هندسية معقدة تتكون من عدة طوابق تبدأ من باطن الأرض حتى تعلو قمة الساتر الترابى . وحصنت مبانيها ودشمها بكافة أنواع التحضينات سواء من الاسمنت المسلح أو الكتل الخرسانية أو الكتل الحجرية أو الرمال والاتربة أو قضبان السكك الحديدية .

٢ — وقد حسبت هذه التحصينات حسابا هندسيا دقيقا بحيث توفر وقاية كاملة ضد الاصابة المباشرة لجميع أنواع قذائف المدفعية الثقيلة وقنابل الطائرات التى تزيد عن ١٠٠٠ رطل . وقد علق على هذه التحصينات أحد الخبراء الغربيين عندما شاهدها بقوله أنها لا تتأثر الا بالقنبلة الذرية .

٣ — ولزيادة المناعة أحيطت كل نقطة بعدد كبير من نطاقات الاسلاك الشائكة الكثيفة وحقول الالغام بعمق ٢٠٠ متر حولها . وقد جهزت كل هذه النقط بعدد كبير من الاسلحة الاوتوماتيكية الثقلية وقطع المدفعية والهاون والاسلحة المضادة للدبابات والاسلحة المضادة للطائرات والدبابات كذلك بل أن بعض النقط البعيدة نوعا عن الخط قد زودت بمدافع من عيار ١٥٥ مم .

٤ — بالاضافة لذلك جهزت معظم النقط الحصينة بخزانات للوقود والمواد الملتهبة لكى تطلق خلال أنابيب خاصة الى سطح المياه . وباشعالها تتحول القناة الى مسطح هائل من اللهب . ثبت بالتجربة أن حرارته بلغت ٧٠٠ درجة مئوية

٥ — وكاحصائية للمنشآت الرئيسية التى وجدت فى نقطة واحدة وجدنا الآتى :
٢٤ ملجأ ثقيل للافراد .
٢٦ دشمة للرشاشات المتوسطة والثقيلة .
٤ دشمة للأسلحة م/ط .
٤ دشمة للأسلحة م/د .
٣ مرابض للدبابات .
٦ مرابض للهاونات .
١٥ نطاق من الأسلاك الشائكة بينها حقول الالغام والشراك الخداعية للانذار .

٦ — زودت كل نقطة بالمواد والمخزونات التى تحقق لهـا اكتفاء ذاتيا اداريا لمدة ١٥ يوم . أما الاكتفاء الذاتى القتالى فيمكنها من صد قوة متفوقة قدرت بكتيبة مشاة لمدة أسبوع .

وفى ضوء هـذه الحقيقة الأخيرة فان خط بارليف بنقطه المحصنة التى بلغت ٣٦ نقطة كان قادرا على صد هجوم لعدد ٣٦ كتيبة . هذا بالاضـافة لمئات الدبابات المعدة لاحتلال مرابضها فوق الساتر الترابى عدا ما هـو فى العمق من احتياطيات مدرعة أخرى .

وصف العمق :

ليس هذا فحسب .. فقد كان كل هـذا الوصف منصبا على **الخط الاول** فحسب . **وفى الواقع فان ما أطلق عليه خط بارليف لم يكن دفاعا خطيا هامشيا** بل كان نظاما دفاعيا متكاملا تم تجهيزه هندسيا تجهيزا عاليا يبدأ من خط القناة ويمتد شرقا بعمق حوالى ٣٠ كم فى مساحة تصل الى ٥٠٠٠ كم^{2} تضمنت سلسلة مـن الخطوط والسواتر الاخرى فى العمق كمرابض للدبابات ومناطق قتل للمدرعات أو كقواعد لشن الهجمات المضادة ضد خط القناة . بالاضافة لذلك :

١ — كان هناك خط التحصينات الثانى عـلى مسـافة ٥ — ٨ كم . يحتوى على ١١ موقعا محصنا . تتمركز فيها وحـدات مدرعة مهيأة للاندفاع غربا لمواقع القتال على الساتر الترابى لضرب اية محاولة عبور مصرية .

٢ — تم تجهيز مراكز قيادة تحت الأرض محصنة تحصـينا كاملا . وذلك كقيادات للقطاعات فى **بالوظة والطاسة والجدى** .

٣ — قواعد الصواريخ م/ط — مرابض مدفعية ذاتية الحركة والبعيدة المدى — شبكة طرق مرصوفة بلغت ٧٥٠ كم طرق جديدة .

٤ — خصصت لهذه المنطقة الاحتياطيات المدرعة والمشـاة الميكانيكية ووحـدات المدفعية وعناصر الدفاع الجـوى وجميعها متعـاونة ومدربة تدريبا عاليا على اداء مهامهـا .

الخلاصـــة :

لقـد اردت بهذه الـكلمة أن أسجل الحقائق كاملة للتاريخ بتلك الحقائق التى لايمـكن أغفالها عنـد تقييمنا لخط بارليف .. باعتبـاره نظاما دفاعيـا فـريدا فى نوعـه . لأوجـه فعلا لمقارنته بالخطوط المحصنة التى عرفها التاريخ . فجميعهـا كانت خطوطا واقعـة فوق أرض مفتوحـة لايفصلها عـن الجيوش المقتحمة شىء لذلك فقـد تمكن جدريان مثلا من اختراق خط ماجينو ومن تطويقه .

أمـا خط بارليف فسوف يسجل التاريخ العسكرى أنـه الخط المحصن الوحيد الذى اقيـم على ارتفـاع ٢٥ مترا مرتكزا على حافة قنـاة ملاحية يزيـد عرضها عن ٢٠٠ متـر يغطيهـا حاجز مـن اللهب والنيران ويستند طرفيهـا على بحرين كبيرين ولـم يكن هناك من سـبيل لمواجهة ذلك واقتحامه سـوى شجاعة الجندى المقـاتل ومسـتوى ادائه العالى .

ولـذلك اجمعت آراء الخبـــراء والعلمـــاء العســكريين علـى أن خـط بارليف هـو خـط دفـاعى كـامل التحصين جعلت منـه قنـاة السويس حـالة فـريدة فى التـاريخ العســكرى . لذلك أصـبحت عمليـة اختراقة تدرس فى المعـاهد العسـكرية بانحـاء العالم كجـزء من عملية اقتحـام قنـاة السويس وكمثال فذ لاسـلوب اقتحـام الموانع المـائية والخطوط المحصـنة فى آن واحـد .

ولعـل افضل ما أختـم بـه كلمتى ذلك التعليق الذى اطلقــه دافيــد اليعـازر عن خط بارليف حين قال :

« ان خط بارليف سيكون مقبـرة للجيش المصرى » كـان هذا التعليق قبل حـرب أكتوبر ٧٣ . أمـا بعـد هذا التاريخ فليس لدى تعليق اضيفه وشكرا .

١٠ ــ المقـــرر :

اعتقـد انـه قد وضح لنـا تماما بعـد ذلك التعقيب ماهـو خط بارليف ، وشكل العمل العسكرى الذى تـم لاقتحـام اقسى مانـع مائى فى العـالم.

١١ ــ السؤال الموجـه من البروفيسور « سامبا كابوتو » من زائير

ــ لماذا تـرك الجيش المصرى فاصلا كبيرا خاليـا فى خط الدفـاع الـذى تكـون بعـد عبـور قنـاة السويس ؟

أجـاب اللـواء أحمد سيد نصر على ذلك قائلا .

أ ــ قامت القـوات المسـلحة المصرية فى حـرب أكتوبر ٧٣ بعملية هجومية استراتيجية فى اطـار الحـرب المحليـة الشاملة فى جبهـة القنـاة (الجبهـة الجنوبية) بواسطة جيشين ميدانيين تعـاونهما القـوات الجـوية والبحـرية والدفـاع الجـوى لاقتحـام قنـاة السويس

(لا عبورهـــا) وتدمير التجمع الرئيسى للعـــدو شرق القنـــاة أدت الى حدوث تغييرات حـــادة فى الموقف العسكرى فى مسرح العمليـــات الحربية (الاتجاه الاستراتيجى سيناء /اسرائيل) .

ب — طبقـــا لمبادىء الحرب التى تقضى بحشد الجهود الرئيسية فى الاتجاهات الحاســـمة ســـواء فى العمليـــة الدفاعية أو الهجـــومية فانـــه لـــم يكن من الممكن شغل كل مواجهـــة الهجـــوم عبـــر القنـــاة والبـــالغ طولهـــا حـــوالى ١٨٠ كـــم بالقـــوات وعلى هذا الاســـاس ســـمح بوجـــود فـــاصل بين الجيشين فى منطقـــة البحيرات المـــرة (حوالى ٣٠ كـــم) وشرقهـــا على ان يؤمن بواسطـــة المنـــاورة بجـــزء مـــن قوات ونيران الجيشين للقضـــاء على اى قوات للعـــدو تتقـــدم عبرها لتوجيه هجمـــات / ضربات مضـــادة على جنب احـــد الجيشـــين (ثـــم اقتحـــام وتدمير النقط القـــوية الاربعـــة على الشـــاطىء الشرقى للبحيرات) .

جـ — نظـــرا لطبيعـــة الارض الصحراوية الجبليـــة بسينـــاء والتى تقيـــد الحـــركة والمناورة بالقوات فى اجزاء كثيرة منهـــا لـــذا فان اعمـــال القتـــال الهجومية تدار بهـــا فى اتجاهات المحـــاور الصالحة للهجـــوم الأمـــر الذى يؤدى الى وجـــود فواصل بين القوات — وان اسرائيل تتبع نفس الاسلوب فى عملياتهـــا الهجومية حيث ركـــزت ضرباتها فى الحروب السابقة ٥٦ ، ١٩٦٧ فى اتجـــاه المحـــاور الصالحة للتحـــرك وسمحت بوجود فواصل بين القـــوات يتم تغطيتها بالمناورة بالقـــوات وبالنيران كمـــا انهـــا تتبع نفس الاسلوب فى عملياتها الدفاعية بتركيز جهودها على المحـــاور الصالحة لتقـــدم المهاجم .

د — لم تتحول قوات الجيشين بعـــد انشـــاء رءوس الكبارى الى الدفـــاع الخطى ولكن قامت قـــوات كل جيش بتعزيز رأس الكوبـــرى الـــذى انشأته والذى تستند اجنابه على المانع المـــائى لصـــد وتدمير هجمات / ضربات العدو المضـــادة واستنزاف قـــوته البشرية وتكبيده أكبـــر قدر من الخسائر (وقد صمدت رءوس الكبارى أمام هذه الهجمـــات والضربات المضـــادة) ثم لحشـــد القـــوة الضـــاربة للجيوش تمهيدا لتطوير الهجـــوم .

هـ — الخلاصـــة :

يتضح مما سبق أن رءوس الكبارى التى انشأتها الجيوش قـــد صمدت امـــام الهجمـــات والضربات المضـــادة الشرسة التى شنهـــا العدو عليهـــا

كمـــا ان الفاصل بين رءوس الكبارى شرق البحيرات كـــان مؤمنـــا بالجهود المشتركـــة للجيشين ولـــم يشكل تهـــديدا لاوضاع قواتهـــا شرق القنـــاة، كمـــا لـــم يحاول العـــدو أقتحـــام البحيرات المـــرة بقـــوات برمائية كبيرة لعـــدم صلاحية معظم شواطئها للاعمال البرمائية .

وبهذا فشل العـــدو فى تحقيق هـــــدفه الاستراتيجى للقضـــاء على رءوس الكبـــارى الخمسة التى انشأتها فرقنا الخمسة شرق القنـــاة .

١٢ ــ المقـــــرر :

جـــاء فى بعض البحوث التى قدمت اشـــادة بموضوع القيـــادة والسيطـــرة المصرية ، بينمـــا انتقدها البعض الآخـــر ويرغب اللـــواء عبد الســـتار أمين فى التعليق على الدروس المستفادة من القيادة والسيطرة فى اثناء المعركة .

١٣ ــ تعليق اللواء عبدالستار أمين على القيادة والسيطرة المصرية خلال عمليات أكتوبر ٧٣ :

لفت نظرى فى بعض الأبحاث التى شملتها النـــدوة أنها تناولت موضـــوع القيادة والسيطرة المصرية خلال حرب أكتوبر ٧٣ ، فمنها من أشاد بكفـــاءة وحـــزم القيادة مستشهدا بأعمـــال القوات المصرية داخل رءوس الكبـــارى وغرب القنـــاة ، فى حين أنتقدها أخرون ، ووصفها احدهم بالجمـــود وعـــدم المرونـــة فى بعض المواقف ، وربط بين ذلك وبين الاسلوب الروسى فى القيـــادة والسيطرة .

واردت أن أضع بين أيديكم بعض الحقائق والدروس المستفادة التى وصلنا اليها من ممارســـة القيادة والسيطرة خـــلال الحرب لعلها تفيـــد .

أننى أذكر جيـــدا أن الـــدعاية الاسرائيلة ــــ عقب حـــرب ٦٧ ـــ قدرت نفس المعنى ، وقد تكون نفس الالفاظ ، واعادته عـــام ٧٣ بنفس الاســـلوب ، وشتان بين الموقفين ، وقصدت من وراء ذلك الانتقاص من قيمة ما حققناه بمهاجمة أسلوب القيـــادة والسيطرة .

امـــا عن الحقائق :

فالحقيقة الاولـــى :

أن القيادة المصرية لهـــا أسلوبها المصرى الخـــاص بها فى القيادة والسيطرة، وهو احـــد اسرانا العســـكرية ، وقد نبع من واقعنـــا وطـــورناه بعد جـــولة ١٩٦٧ كما جاء فى تحليل الاستراتيجية العسكرية لحرب اكتوبر ١٩٧٣ للفـــريق أول محمد الجمسى ، وما رسناه فى التخطيط والتدريب ، وطبقناه خـــلال حـــرب اكتوبر ، فـــأدى بنـــا الي تحقيق المهـــام بنجاح والي احـــراز النصر والحمد

لله ، ثم طورناه مرة أخرى — فى ضوء حرب أكتوبر — وهو اسلوب يجمع بين مركزية ولا مركزية السيطرة طبقا لظروف الموقف ومتطلبات المعركة .

والحقيقة الثانية :

أن السيطرة على المستوى الاستراتيجى والتعبوى كانت مستمرة طوال فترة العمليات ، ولم تفقد لحظة واحدة ، حتى مع قوات رأس كوبرى الجيش الثالث الميدانى شرق القناة ، وذلك بفضل التبادليات العديدة لوسائل السيطرة من مجموعات سيطرة وضباط اتصال ، وأساليب أخرى .

والحقيقة الثالثة :

أن المرونة ، وهى القدرة على تعديل القرارات اذا تغير الموقف ، كانت هى العلامة البارزة فى القيادة والسيطرة المصرية على المستوى الاستراتيجى والتعبوى ، فقد كان قرار تطوير الهجوم بهدف تخفيف الضغط عن سوريا يوم ١٤ أكتوبر ، وقرار احتواء قوات العدو غرب القناة مع التمسك برءوس الكبارى شرق القناة ، ومدن القناة الاسماعيلية والسويس وبورسعيد فى الغرب ، ومالزم ذلك من اجراء المناورة الواسعة بالقوات والوسائل والنيران والاحتياجات ، وخاصة داخل رءوس الكبارى ، قرارات مرنة جاءت متمشية مع تطور الأحداث فى المسرح ، ولعبت فيها المبادأة الشخصية للقادة المحليين دورا كبيرا نذكر منهم قادة الفرقة السابعة وهى يسار الجيش الثالث الميدانى ، والفرقة (١٦) وهى فرقة يمين الجيش الثانى ، وقائد مدفعية الجيش الثانى الذى حشد من النيران مايفوق كل تصور مما أرهق واستنزف قوات العدو شرق وغرب القناة .

والحقيقة الرابعة :

أنه كانت هناك بعض الاخطاء التكتيكية فى القيادة والسيطرة ، نتيجة نقص المعلومات أو التسرع فى اتخاذ بعض القرارات ، وخصوصا فى المراحل الحرجة للمعركة ، واعتقد أن هذا أمر كبير الاحتمال فى مثل هذه الظروف ، ولقد خرجنا من ذلك بدروس كبيرة ستفيدنا فى المستقبل .

واهم الدروس المستفادة عن القيادة والسيطرة هى :

اولا :

اهمية تواجد مجموعات سيطرة تحت تصرف القيادة العامة تدفعها الى المناطق والاتجاهات الحساسة والتى تتعقد فيها الامور بغرض الاطلاع على الموقف

واتخاذ قرارات على الطبيعة . وقد يلزم الأمر القيام بزيارات ميدانية لكبـــار القـــادة للقوات فى الميدان ، ومن أمثلة ذلك زيارة رئيس أركـــان حرب القوات المســـلحة المصرية للقـــوات أربع مـــرات خـــلال القتـــال .

ثانيا :

أهمية تواجد واندفاع القادة للامام ما أمكن لأن تواجدهم وسط قواتهم يزيد من قدراتهـــا ويرفع معنوياتها ويحقق سيطرة فوريـــة واقعية فعالة ، وينطبـــق ذلك على المعارك البرية والجوية والبحرية على الســـواء .

١ — القوات البريـــة :

أ — تواجد قـــادة الكتائب المشـــاة والقادة معاونيهم بعد ١٥ دقيقة من بدايـــة القتال على الضفة الشرقية للقنـــاة .

ب — قـــادة اللواءات ومعاونيهم بعد ٣٠ دقيقـــة .

جـ — قـــادة الفرق ومعاونيهم بعد ٦٠ دقيقة من بـــدء القتال .

د — اندفاع مراكز القيادة المتقدمة للقوات للأمام أكثر ممـــا تنص عليه قواعد التكتيك .

٢ — القوات الجـــوية والبحـــرية :

أ — سيطر قـــادة تشكيلات القوات الجوية — بما فى ذلك قـــــادة اللواءات — على وحداتهم من الجـــو .

ب — كانت السيطرة وادارة العمليات البحرية فى البحر تتم بواسطة قادة التشكيلات البحرية أنفسهم من على ظهر قطعهم البحريـــة .

ولقد كان نتيجة هذا الاندفاع أن نسبة الخســـائر بين الضباط اذا ماقورنت مع الرتب الاخرى تعتبر نسبة عاليـــة قياسا لخبرة الحروب السابقة ، واننا نفخر أن من بين شهدائنا قادة فرق وقادة لواءات خلال حرب أكتوبر .

ثالثـــا :

ثبتت أهمية الجمع بين الحزم والمرونة أثناء السيطرة على وحدات الدفاع الجوى وخاصة المتحركة منها ، كما حدث عندمـــا أمتدت مظلة الدفاع الجـــوى الى الشرق لحمايـــة رءوس الكبارى ، وكـــذا أثناء انتقالات وحدات الصواريـــخ مع تطـــور أعمال قتال القوات البرية غرب القناة ، ممـــا ضمن عـــدم حدوث ثغرة فى نظـــام الدفاع الجوى خـــلال تلك المراحـــل .

رابعـــا :

ثبتت اهمية اللامركزية فى السيطرة فى المواقف سريعة التغير لاعطـــاء فرصـــة لاستغلال مبـــادأة ومرونة اعمـــال القادة والقيادات المرءوسة فى الميدان مع ضرورة توفر القدرة على استعادة مركزية السيطرة اذا دعت الضرورة .

هذه بعض الحقائق والدروس حـــول القيادة والسيطرة المصرية خـــلال حرب أكتوبر وشـــكرا .

١٤ ــ كلمة رئيس الجلسة ومقرر القطـــاع العسكرى / اللواء محمد حسن غنيـــم فى ختـــام جلســـات القطاع العســـكرى من النـــدوة :

فى ختـــام ندوتكم المثمرة اتوجـــه باسم مقـــرر القطاع العســـكرى بالشكر الى جميع المشتركين فى النـــدوة على العلم العســـكرى الغزير الذى تضمنته الأبحـــاث التى قدمت والكلمات التى القيت وعلى الروح الطيبـــة للمناقشـــات البنـــاءة التى ظهر فيها مـــدى الحرص على الوصول الى الحقائق والبيانات المجردة الأمـــر الذى أضـــاف وسيظل يضيف الكثير الى الفكر العســـكرى .

ولايفوتنى هنـــا أن أقـــدم شكرا خاصا الى السادة الباحثين والصحفيين الذين قدموا من الخـــارج على تحملهم مشـــقة السفر فى سبيل الوقوف على حقائق معركة أكتوبر ١٩٧٣ التى أصبحت نقطـــة تحـــول فى تاريخ مصر والعالم .

وختامـــا اشكركـــم جميعا على تفضلكم

بالحضـــــور والاســـتماع

الباب الخامس

التقرير الختامى للندوة

الدكتور صوفى أبو طالب

رئيس جامعة القاهرة

السيد مندوب السيد رئيس الجمهورية « بالنيابة »

سيداتى سادتى .

يشرفنى أن نتقابل اليوم فى الجلسة الختامية للندوة الدولية لحرب اكتوبر ١٩٧٣ . وباسم جامعة القاهرة واللجنة التنظيمية للندوة أقدم لكم عميق الشكر والتقدير على اسهامكم الموضوعى والايجابى فى نشاط الندوة . ويسعدنى أيضا أن أقدم خالص الشكر والتقدير لجميع الزملاء والعاملين وجميع الهيئات والمؤسسات والأجهزة والافراد الذين بذلوا جهدهم وقدموا نشاطهم فى تنظيم وادارة أعمال الندوة .

لقد اتسم جو النقاش والحوار حول الابحاث وما أثارته من موضوعات بالطابع العلمى الموضوعى . واثبت تبادل الآراء المشاركة الجادة من جانب جميع الاعضاء للكشف عن الجوانب المنوعة التى ترتبت على هذه الحرب . ودار كل هذا الاسهام الفكرى فى جو حرية الراى الكاملة . لقد رأت اللجنة التنظيمية للندوة أن تقوم بطبع الابحاث المقدمة . وما دار من مناقشات وتبادل للراى فى اللجان الفرعية فى كتاب جامع باللغات الدولية الخمس فضلا عن اللغة العربية . وسوف نقوم بارسال نسخة كاملة الى كل عضو من المشتركين فى الندوة . كما سوف نضع عددا من النسخ تحت تصرف ورهن طلبات هيئات ومراكز البحث العلمى والجامعات فى كل دول العالم .

وتعلمون جميعا أن المناقشات التى دارت حول البحوث المقدمة فى الندوةانتهت فى الساعة الواحدة بعد ظهر اليوم الخميس ٣٠ اكتوبر ١٩٧٥ . الأمر الذى استحال معه اعداد تقرير تفصيلى عن أعمال الندوة . ولذلك استقر الراى على أن نكتفى اليوم بتقديم بيان شامل يتضمن الاتجاهات الهامة للبحوث وللمناقشات أما البيان التفصيلى فقد قررت اللجنة التنظيمية للندوة أن ينشر مع الكتاب الجامع سالف الذكر.

سيداتى سادتى .

لقد بدأت اجتماعات الندوة صباح يوم الاثنين ٢٧ أكتوبر واستمرت حتى الساعة الواحدة ظهرا يوم الخميس ٣٠ اكتوبر ١٩٧٥ . وبلغت الجلسات العامة عشر جلسات خصصت ثلاث منها لقطاع البحوث العسكرية وثلاث لقطاع البحوث السياسية وجلستان لقطاع البحوث الاقتصادية وجلسة لقطاع البحوث الحضارية والاجتماعية وجلسة لقطاع البحوث العلمية طبية وهندسية .

وفضلا عن ذلك تم عقد جلسات للمناقشات الفرعية بلغ عددها اثنتا عشر جلسة كالتالى : اربع جلسات لقطاع البحوث السياسية وجلستان لقطاع البحوث العسكرية . وجلستان لقطاع البحوث الاقتصادية . وجلستان لقطاع البحوث العلمية وجلستان لقطاع البحوث الحضارية والاجتماعية .

لقد استقبلت اللجنة المنظمة للندوة ١٠٨ بحثا تم طبعها وترجمتها الى لغات الندوة وهى العربية والانجليزية والفرنسية . كما تم توزيعها على أعضاء الندوة وضيوفها أثناء انعقاد الجلسات وبيانها كالتالى :

— فى قطاع البحوث العسكرية بلغ عدد البحوث ١٨ بحثا قدم المصريون ٦ ابحاث وجاء من خارج مصر ١٢ بحثا .

— فى قطاع البحوث السياسية بلغ عدد البحوث ٣٤ بحثا قدم المصريون ١١ بحثا وجاء من خارج مصر ٢٣ بحثا .

— فى قطاع البحوث الاقتصادية بلغ عدد البحوث ١٥ بحثا قدم المصروين ١١ بحثا وجاء من خارج مصر ٤ أبحاث .

— فى قطاع البحوث الحضارية والاجتماعية بلغ عدد البحوث ١٦ بحثا قدم المصريون ١١ بحثا وجاء من خارج مصر ٥ أبحاث .

— فى قطاع البحوث العلمية بلغ عدد البحوث ٢٦ بحثا قدمها جميعا المصريون.

سيداتى سادتى .

ان الاهتمام الدولى بآثار حرب اكتوبر ١٩٧٣ . يبدو أمامنا واضحا فى اسهام المدعوين الذين قدموا من العدد الاكبر من دول العالم المعاصر والذين يمثلون الجامعات ومراكز الابحاث وهيئات ومؤسسات الاعلام .

لقد وجهنا الدعوة الى الخبراء والمتخصصين الاساتذة من كافة انحاء العالم ودولة . لقد بلغ عدد الذين قبلوا الدعوة واسهموا فى أعمال الندوة ٧٠٠ عضوا من بينهم ٥٠٠ عضوا من المصريين و ٢٠٠ عضوا ينتمون الى ٥٢ دولة هى :

— فى قارة أوربا : فرنسا — المملكة المتحدة — سويسرا — ألمانيا الاتحادية — النمسا — هولندا — السويد — الدانمارك — ايطاليا — اسبانيا — يوغوسلافيا اليونان — بلجيكا — رومانيا .

— فى قارة آسيا : تركيا — لبنان — الكويت دولة الامارات العربية — قطر — الاردن — المملكة السعودية — اليمن الجنوبية — اليمن الشمالية — ايران — اليابان — الهند — باكستان — تايلاند — البحرين — الفلبين — الصين الشعبية — أفغانستان .

— فى قـــارة افريقيا : المملكة المغربية — الجزائر — تونس — السودان — كينيا — غـــانا — اثيوبيا — تنزانيا — أوغندا — داهومى — السنغال — بورونــدى — زائير — ليبريا — جابــون — الصومال — نيجيريا .

— فى قـــارة أمريكا الشمالية : الولايات المتحدة الامريكيـــة — كنــدا .

— استراليـــا .

ولقد اعتذر عن عـــدم الحضور مدعوون ينتمون الى ١٣ دولة وهى : بلغـــاريا — تشيكوسلوفاكيا — المانيا الديمقراطية — الاتحاد السوفيتى — بولندا فنلنـــدا — ســـوريا — العـــراق — زامبيـــا — غينيـــا — سيراليون — ساحل العـــاج — موريتانيـــا .

بالاضافة الى هذا العدد من المدعووين الاجانب الذين أسعدونا بحضورهم ومسـاهمتهم فى أعمال الندوة ، فقــد أسهم بكل الجهــد والنشاط فى أعمـــال الندوة عدد كبير من العلمـــاء والخبراء المصريين من مختلف القطاعات العلمية كالجامعـــات وهيئات ومراكز البحث العلمى ، كمـــا اسهم فيها كثير من رجال الاعلام .

ســـيداتى ســـــادتى .

تبين من الابحاث المقدمة للندوة وماجرى حولهـــا من مناقشـــات أن حـــرب اكتـــوبر أسفرت عن عـــدة نتائج نجملهـــا فيما يلى :

أولا : فى المجـــال العسكرى

اجمعت الاراء على أنـــه من السابق لأوانه تحديد النتائج العسكرية لحـــرب اكتـــوبر عـــام ١٩٧٣ تحديدا شاملا ودقيقـــا وذلك بالنظر الى أن بعض جـــوانبها العســـكرية لـــم يكشف عنـــه بعـــد .

وقد أبرزت الابحاث والمناقشات التى دارت حولها عـــدة نتائج نجملهـــا فيما يلـــى :

١ — ان الوفاق الدولى وما أسفر عنـــه من الاتفاق على استرخـــاء عســـكرى فى المنطقـــة لـــم يكن من شأنه أن يحول دون توفر ارادة مصرية حـــرة لاتخـــاذ قـــرار الحـــرب .

٢ — استخدم فى حـــرب أكتوبر عام ١٩٧٣ اكبر حشد من القوات المسلحة ســـواء من ناحية الحجم او النوع أو التسليح فى هذه المنطقة وخرج العلم العســـكرى بالكثير من الدروس المستفادة على المستويات الاستراتيجية والتعبوية والتكتيكية وقد ترتب على ذلك أن تأثرت الاستراتيجية الدولية والتكتيكات العســـكرية فى بعض جوانبها .

٣ — ثبت أن العقائد العسكرية والنظريات التى تبنتها اسرائيل منذ انشائها حتى الآن بقصد التوسع تعتبر مصدرا للتوتر والصراع المسلح ، وانه لا مناص من أن تكون الشرعية الدولية هى البديل لذلك .

٤ — كان من ابرز سمات حرب أكتوبر أنها حققت بنجاح المفاجأة على مستوياتها المختلفة رغم التطور الكبير فى وسائل الاستطلاع الحديثة .

٥ — اثبتت حرب أكتوبر أن الحرب الحديثة باهظة التكاليف الامر الذى يتطلب اعادة النظر فى تقدير الخسائر ومعدلات الاستهلاك وتوفير الاحتياطيات اللازمة لمواجهة جميع الاحتمالات والاحتفاظ بالقدرة على استمرار القتال دون الوقوع فى اختناقات الاحتكار العالمى للسلاح .

٦ — ثبت من حرب أكتوبر أن الصراع بين الصاروخ والطائرة أو الدبابة سوف يستمر مع احتفاظ كل منها بدورة البارز فى معركة الاسلحة المشتركة التى سيتوقف نجاحها على تحقيق التوازن المتبادل بين أسلحتها المختلفة كما ونوعا .

٧ — بدأ العالم منذ أكتوبر عام ١٩٧٣ يعيد حساباته وموقفه بالنسبة للمنطقة على أساس الحقائق الاستراتيجية التى فرضتها نتائج هذه الحرب .

٨ — أكدت حرب أكتوبر أن العامل البشرى ركيزة أساسية من ركائز النصر فى المعركة الحديثة ، فان التخطيط الجيد والاعداد المتقن والروح المعنوية العالية تعتبر عوامل رئيسية من عوامل النصر .

وفى هذا الصدد أشادت البحوث والمناقشات ببسالة المقاتل المصرى وارتفاع مستوى ادائه وقدرته على استيعاب الاسلحة المتطورة وحسن استخدامها .

٩ — أجمع الباحثون والنقاد على أن اقتحام قناة السويس كان انجازا عسكريا رائعا أفقد الاسرائيليين توازنهم ، ولم يكن الهدف من عملية الثغرة فى منطقة الدفرسوار تحقيق انجاز عسكرى بقدر ما كان هدفا اعلاميا بقصد رفع معنويات الشعب الاسرائيلى وطمس معالم العمل الرائع الذى انجزه الجيش المصرى .

وفى هذا الصدد جاء فى بعض الابحاث المقدمة فى الندوة من الاجانب أنه لولا الكميات الضخمة من المعونات العسكرية الامريكية

لما تمت عملية الثغرة ، بل أن بعض البحوث الاجنبية اكدت انه لولا التجاهل الصارخ من جانب اسرائيل لاتفاق وقف اطلاق النار اكثر من مرة لما تمكنت من التقدم والاستيلاء على أراضى فى الضفة الغربية كان يستحيل الاستيلاء عليها فى ساحة القتال .

١٠ — قضت هذه الحرب على الهالة التى روجت لها الدعايات للجندى الاسرائيلى فى أعقاب الحروب السابقة على حرب أكتوبر ١٩٧٣ فقد اهتزت هذه الصورة وكان نجاح المقاتل المصرى فى هذه الحرب راجعا الى عدم التهويل فى قدرة العدو أو التهوين من شأنها .

ثانيا : فى مجــال البحوث الســياسية

حظيت الجوانب الســياسية لحــرب أكتوبر بدراسة واســعة تمثلت فى ٣٤ بحثــا ، ساهم فى اعدادها وتقديمها نخبة من الاساتذة العرب وغير العرب ، ينتمون الى مختلف الاتجــاهات الفكرية العالمية .

وقــد تركزت معظم الابحاث على جوانب من القضية كان أبرزهــا :

١ — ما يتعلق بحــرب أكتوبر والنظــام الدولى حيث نوقشت مجموعة من ابحاث تتناول دور الامم المتحدة فى الشرق الاوسط بعــد حــرب أكتوبر ، فرأى البعض انهــا لعبت دورا رئيسيا فى أزمة الشرق الاوسط فى حين ذهب آخــرون الى انهــا كانت ســتارا لمآرب الدولتين العظميين وعنــد نفــر ثالث لم تتجــاوز استجابة الامم المتحــدة للنزاع المسلح الذى أندلع فى أكتوبر ١٩٧٣ النطــاق الذى تمارس فيه نشــاطهــا حيال الاحــداث العالمية المماثلة .

وتصدت مجموعة أخرى من الابحــاث لدور القــانون الدولى فى تحــديد طبيعة النزاع المسلح بين العــرب واسرائيل خــلال معــارك أكتوبر فأبرزت انها ليست حربا عدوانية بل أنها حرب مشروعة من جانب العــرب ، أعمالا لقــواعد القانون الدولى والحق الطبيعى فى الدفاع الشرعى الذى كفــله ميثاق الأمــم المتحــدة .

وقد عنيت مجموعة ثالثة من الابحــاث بآثار حــرب أكتــوبر على الوفــاق الدولى فكشفت ابعاده وأبانت مــدى تثبت العملاقين بأهدافه ومحاولة انقاذه بعد أن اوشك على التصدع نتيجة لحرب أكتوبر وقد اشار أحد هذه الابحاث الى موقف الصين من هذا الوفاق واستنكارها لتلك الوصاية الدولية الثنائية .

٢ — أمــا المجموعة الثانية من الابحاث فقد قدمت تحليلا للعلاقات المصرية الامريكية اتضح فيه اتجاه الدبلوماسية الامريكية الجديدة نحــو سياسة أكثر توازنا فى المنطقة وقــد أثارت بعض الابحاث تساؤلات عن مستقبل الجهود الامريكية فى المنطقة وحقيقة النوايا التى تكمن وراء بعض المبادرات الدبلوماسية الأمريكية كمــا اشــارت الى العلاقات العربية السوفيتية وحــرص العــرب على الا يطــرأ على تلك العلاقات مايكدر صــفواهــا .

وقــد أكدت بعض البحــوث على الدور الخلاق الذى حققتــه سياســة عــدم الانحيــاز ابان الصراع وماتلاه وركز على مستقبل تلك السياسة وحماية مصالح دول العــالم الثالث فى مواجهة الدول الصناعية المتقدمة .

٣ — وعالجت عــدة ابحاث العلاقات العــربية الافريقية عــامة والعلاقات المصرية الافريقية خاصــة عن طــريق ابراز التضامن العــربى الافريقى الذى بعثته

حــرب أكتوبر وما خلقه من عزل اسرائيل عن العالم الافريقى مسجلة آفــاق التعــاون بين جامعة الدول العــربية ومنظمة الوحــدة الافريقية .

٤ — واتجهت مجموعة رابعة من الابحاث الى دراسة المتغيرات التى طرأت علــى العالم العربى بعد حــرب أكتوبر التى اتسمت بدعم التضامن العربى فى كافــة المجالات وظهور التساند بين القــوة العســكرية العربية والقــوة البترولية كما أشــارت الابحاث الى الخلافات الطارئة التى ظهرت على المسرح العــربى فى الاونة الاخيرة وخصت بالذكر الصراع الداخــلى فى لبنــان ومــوقف جبهــة الرفض .

٥ — أمــا المجموعة الخامسة من الابحاث فقد عنيت بالمتغيرات التى طرأت علــى الاوضـــاع الداخلية فى اسرائيل مبينة مدى الصــدمة التى اصابت الرأى العام الاسرائيلى فى أعقاب اندلاع معارك أكتوبر وأشارت الى ارهاصــات التناقض بين اتجاه الطبقة الحاكمة فى تمســكها بالمفاهيم الصــهيونية العــالمية وبعض القطاعات الاسرائيلية التى استبان لهــا عدم صلاحية تلك المفــاهيم لمواجهة حاجات الســلام فى الوقت الــراهن .

وجــرت مناقشات موضــوعية بنــاءة فى الجلســات التى خصصت للمناقشات الفرعية أوضحت أن حرب أكتوبر كانت منعطفا دوليا عكس اثارة على مايلى :

١ — تأكيد حق العــرب فى استرداد اراضيهم المحتلة واستعادة الحقــوق المشروعة لشــعب فلسطين .

٢ — تغير النظرة الدولية حيــال المواجهة العربية الاسرائيلية والحقوق المشروعــة لشعب فلسطين .

٣ — قيــام حوار مزدوج بين العرب من ناحية وكل من العالم الافريقى والعــالم الاوربى من ناحية أخــرى .

٤ — تدعيم جهود الدول المنتجة للمواد الأولية نحــو استحداث نظام اقتصــادى دولى جديد يتسم بالعدالة ويراعى مقتضيات ظروف الدول النامية ويمكنها من التخلص من قبضــة الدول الصناعية المتقدمة .

٥ — اعتبــار الاتفاق الثانى لفك الارتباط الذى انعقــد اخيرا خطوة هامة نحــو احلال السلام العــادل فى المنطقة ، يجب أن تتلوها خطوات أخــرى لفــك الاشتباك فى الجولان والمناطق الاخرى المحتلة وذلك توطئة لعقــد مؤتمر جنيف لتنفيذ قــرار مجلس الامن رقم (٢٤٢) وقرار مجلس الامن رقم (٣٣٨) .

٦ — أن السياسة التى تنتهجها جمهورية مصر العربية منذ حــرب اكتوبر ١٩٧٣ تكشف عن نواياها الحقيقية فى احلال سلام عادل ودائم فى المنطقة الامر الذى يخــدم قضيــة السلام العالمى .

ثالثـــا : فى مجال البحوث الاقتصادية

انعقـــد قطاع البحوث الاقتصادية من الندوة الدولية لحـــرب أكتوبر صبـــاح يـــوم ١٩٧٥/١٠/٢٩ فى شكل جلسة عـــامة كمـــا انعقد يـــوم ١٩٧٥/١٠/٣٠ فى شكل حلقـــة مناقشة وكـــان عـــدد البحوث التى قدمت للندوة ١٥ بحثـــا منهـــا اربعـــة بحوث أجنبية واحدى عشر بحثا محليا ، عـــرض منهـــا فى الجلسة العـــامة احـــد عشر بحثـــا ـــ وقد تناولت هذه البحوث أربعة موضوعات أساسية هى :

١ ـــ الآثار الاقتصادية لحـــرب أكتوبر على الاقتصاد الدولى وقـــد تعرضت لهذا الموضوع ســـتة أبحاث جمعها اتجاه أساسى هو أنـــه لأول مـــرة فى التاريخ المعـــاصر استطاعت حـــرب محدودة أن تترك آثارها الواســـعة فى المجـــال الدولى وهى حـــرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ ، كذلك تناولت الابحاث قضية تحول مركز القـــوة الاقتصادية فى صالح الدول المنتجـــة للبترول ، اذ ترتب علـــى حـــرب أكتـــوبر أن تهيأت ظروف موضوعية مكنت من اتخـــاذ قرارات لم يكن من الممكن اتخاذها من قبل مثل رفع اسعـــار النفط الخـــام ، وهنـــا تناولت هذه الابحاث موضوع ارتفاع أسعار النفط وتأثيرها على موازين مدفوعـــات الـــدول الصناعيـــة والتأمين من ناحيـــة وتأثيرها كذلك فى تراكـــم فـــوائض الاموال لدى الدول المنتجة للنفط وعلى الاخص العربية منهـــا وقد كان الاتجاه العـــام لهذه الابحاث يـــرى أن الازمة الاقتصادية العالمية المتمثلـــة فى تضخم النفقـــات واختلال موازين المدفوعات والاتجاه العـــام نحـــو الركود لـــم تكن من النتائج المباشرة لحـــرب أكتوبر وحدها ، ذلك أن هذه الازمـــة قد ولدت ونمت قبل حـــرب اكتـــوبر ، كل مافى الامر أن حـــرب أكتـــوبر قـــد هيـــأت الظروف لتفاعل متغيرات جـــديدة أضيفت الى المتغيرات السابقة .

وقـــد طرحت هذه الابحاث من ناحية أخرى مشكلة اعـــادة استخدام فوائض الاموال التى تراكمت لدى الدول المنتجـــة للنفط داخـــل الـــدول الصناعيـــة المستهلكة للبترول واتجـــه الرأى الى ضرورة توجيه هذه الفوائض لتنميـــة اقتصاديات الدول العربية وبنـــاء هياكلهـــا الاساسية واعادة تعمير ماخربته الحـــرب فى دول المواجهـــة .

وقـــد اشـــارت الابحاث الى النتائج المترتبـــة على حرب اكتـــوبر علـــى اقتصاديات الدول المتقدمة الصناعية والمتمثلـــة فى الوفـــر الكبير فى نفقـــات النقـــل البحـــرى نتيجـــة لاعـــادة فتح قنـــاة السويس للملاحة .

٢ ـــ وقد تعرضت المجموعة الثانية من الابحاث لآثار الحرب على دول المواجهـــة بصفـــة عـــامة والاقتصاد المصرى بصفـــة خاصة ، وقـــد اشـــارت هـــذه الابحاث الى المظاهر السلبية التى كانت عليها اقتصاديات هذه الدول قبل حرب اكتـــوبر وتغير نمط استخدام الموارد المتاحة نتيجـــة للانفاق العسكرى المتزايد

ومن جهــة أخرى اشارت هذه الابحاث الى النتائج الايجابية لحرب أكتــوبر والى الظروف المتعددة التى هيأتها للتنمية الاقتصادية السريعة وخاصة بالنسبة لمصر وتتمثل هذه الآثار فى عديد من الامور من بينها اعــادة فتح قناة السويس للملاحة البحرية والتى يبلغ ايرادها السنوى حوالى ٥٠٠ مليون دولار واحتمال زيادة هذه الايرادات فى المستقبل ، واسترداد حقول النفط فى سيناء والتى تبلغ ايراداتها حوالى ٣٥٠ مليون دولار سنويا ، كذلك عــودة الحياة الاقتصاديــة الى منطقة قنــاة السويس . ولقد اقترحت هذه الابحــاث وضع استراتيجية طويلة المدى للنمو الاقتصادى تقوم على اعتبــارين أساسيين همــا المــرونة والاعتماد على النفس فى اطــار الانفتاح على العــالم الخارجى .

٣ ــ تعرضت المجموعة الثالثة من الأبحاث لآثــار حرب أكتوبــر على الاقتصــاد الاسرائيلى وقــد بينت هذه الابحاث جميعــا أن الثلاثة حــروب الســابقة التى خاضتهــا اسرائيل مع العــرب كانت نعمــة للاقتصاد الاسرائيلى بينما كانت حــرب أكتــوبر سنة ١٩٧٣ نقمــة عليه ذلك أن الحرب السابقة كانت وسيلة لخــروج اسرائيل من أزمــات اقتصــادية حــادة واجهتهــا فى حين أن حــرب أكتــوبر قــد عمقت من هذه الازمــات وزادتها حــدة ، فمثــلا واجهت اسرائيل ازمــــة انكماشيــة حــادة قبيــل يونيــو ١٩٦٧ تمثلت فى انخفــاض معــدل النمو للدخل القومى الى ١٪ سنويا وارتفع معدل البطالة الى ١٣٪ من القــوة العاملة الاسرائيلية ، واستطاعت حــرب يونيه ١٩٦٧ أن تضع الاقتصاد الاسرائيلى على مســار توسعى وصــل بــه الى مشارف التشغيل الشامل ســنة ١٩٦٨ وارتفع معــدل نمو الدخل القومى الى ١٣ ٪ وانخفض معدل البطالة الى ٢٪ من القــوة العاملة ، أمــا حــرب أكتــوبر سنة ١٩٧٣ فقــد تركت الاقتصــاد الاسرائيلى يعانى من ازمة تضخمه ومــن عجز متزايد فى ميزان المدفوعات وصــل فى نهــاية سنة ١٩٧٤ الى ٤ر٣ مليار دولار وانخفض معــدل نمــو الدخل القــومى الى ٥ر٤٪ ســنويا والى ٣٪ ســنة ١٩٧٥ . وقــد اضطرت الحكومة الاسرائيلية لمواجهــة هذه الازمــة الى تخفيض الليرة الاسرائيلية فيمــا بين نوفمبــر ســـنة ١٩٧٤ واكتــوبر ســنة ١٩٧٥ بحوالى ٥٧ ٪ . وقــد انتهت البحوث المقدمــة الى أن هــذه الاجراءات لن تنشل الاقتصاد الاسرائيلى من الهوه التى تردى فيــه .

٤ ــ عالجت المجموعة الرابعة من الابحاث موضوعات متفــرقة تناولت بعضهــا آثار حــرب أكتــوبر على الاقتصاد الايطالى والدول الصناعيــة فى غــرب أوربا وما ترتب على حــرب أكتــوبر من كشف النقاب عن صراع المصــالح الاقتصادية بين هذه الدول الاوربية والولايات المتحدة الامريكيــة .

كمــا تناولت بعض الابحاث آثار حــرب أكتــوبر على اقتصاديات الدول الافريقية موضحة ماعانت منــه نتيجــة لاغلاق قنــاة السويس فى اعقــاب

العدوان الاسرائيلى عام ١٩٦٧ ، ثم اشارت الى الانفراج الناجم عن اعادة فتح قناة السويس نتيجة لحرب أكتوبر ١٩٧٣ وزيادة فرص التعاون الاقتصادى والفنى بين الدول الافريقية من ناحية والدول العربية من ناحية أخرى — وفى هذا المجال اكدت بعض الابحاث الاستجابة العربية لمعاناة الدول الافريقية نتيجة لارتفاع اسعار البترول فأنشأت جامعة الدول العربية ثلاث مؤسسات مالية فى ميدان التعاون العربى الافريقى وهى المصرف العربى للتنمية الاقتصادية فى أفريقيا والصندوق العربى للقروض السهلة للدول الافريقية والصندوق العربى للمعونة الفنية لافريقيا .

رابعا : فى مجال البحوث الاجتماعية والحضارية

ورد الى قطاع البحوث الاجتماعية والحضارية ستة عشر بحثا ، منها خمسة بحوث من الخارج واحد عشر بحثا من الداخل . وتناولت بعض هذه البحوث دراسة الشخصية المصرية والشخصية العربية ، فأوضحت الجوانب الايجابية والسلبية لهذه الشخصية وكيف أن حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ دعمت الجوانب الايجابية فى الشخصية المصرية وهى الاتزان والتعقل وتقديس العمل وغلبه النظرة العملية الى الحياة والسعى نحو الكمال والدقة والاحكام ، وخفضت من الجوانب السلبية وعلى راسها التواكل والقناعة بأنصاف الحلول .

وتناولت مجموعة ثانية من البحوث الحضارية الانسان العربى عامة والمصرى خاصة ، واوضحت أنه يرتكز فى نضاله الى أسس راسخة من حضارته العريقة ، وان حرب أكتوبر كشفت عن طاقاته الخلاقة وقدراته البناءة ، واتاحت له الانطلاق لنفض غبار التخلف العلمى والتكنولوجى ، واللحاق بركب التقدم الحضارى .

وتناولت المجموعة الثالثة من البحوث الاثار الاجتماعية والنفسية لحرب أكتوبر سواء بالنسبة للمجتمع العربى والمجتمع المصرى أو المجتمع الاسرائيلى . ومن أبرز ما أوضحته هذه البحوث الخاصة بالمجتمع المصرى والعربى هو اخفاء الكآبة الاجتماعية ومظاهرها ودعم الاحساس بالنصر والثقة فى النفس وفى القيادة، والثقة فى امكان العمل والثقة فى القدرة على الوصول الى الهدف ، والاحساس المتزايد بالانتماء لمصر وللامة العربية والنظرة الواقعية للصديق والعدو . كما أوضحت بعض البحوث أن حرب أكتوبر ١٩٧٣ قد أسفرت عن آثار سكانية وعمرانية فى مصر ، تضىء الطريق لوضع استراتيجية حضارية واجتماعية لمصر المستقبل .

لقد أكدت البحوث والمناقشات صحة استراتيجية جذر التقدم فى التنمية والتقدم الاجتماعى فى المجتمعات النامية عامة وان ماحققته القوات المسلحة المصرية من استخدام للأجهزة العلمية المتطورة ومن الكفاءة فى الأداء يعتبر نموذجا رائعا يمكن احتذاؤه فى مختلف المجالات فى مصر وفى البلاد العربية وباقى دول العالم الثالث .

خامسا : فى مجال الدراسات العلمية

(طبيـــة وهندسية)

عقـد قطــاع الدراسات العلمية جلسته العامة يوم الاربعاء ٢٩ أكتـــوبر ١٩٧٥ وعقـد جلستين فرعيتين صباح يـوم الخميس ٣٠ أكتـوبر ١٩٧٥ ، وقـد ناقش ٢٦ بحثـا قدمت من الاعضاء المصريين منهـا خمسة أبحاث هندسية وبحث علمى عـام وعشرون بحثا طبيـا .

وقـد برزت فى المناقشات بالقطاع الحقائق والاتجاهات التاليـة :

١ — أن حـرب اكتـوبر ١٩٧٣ وما حققته من انتصارات هيأت المجـال الاساسى العلمى لاحراز تقدم على المستوى التطبيقى فى العمل بالميـدان العسـكرى وبالميـدان المدنى ، ووضح هذا فيمـا ظهـر بالمناقشات من تعـاون مخطط دائم بين القيادات العلمية المدنية والعسـكرية فى مجالات خـدمة المعركـة والاستفادة من نتائجهـا .

٢ — أوضحت الابحاث الهندسية دور المهندسين العسكريين فى حـرب أكتـــوبر ١٩٧٣ وما اضافوه من جهـد ونشاط فى المعركة ومن الامثلـة ازالة الساتر الترابى وما استخدم فى ذلك من آلات مختلفة وما استحدث من فكر ونظريات. ومن الامثلة أيضـا التى نوقشت كبارى العبـور ونوعيتهـا وتصنيعها وطرق اسقاطها فى المـاء وصيانتها وكذلك خدمة المطارات وتنفيذ الدشـم الحامية للمعـدات الحربيـة والجـوية .

٣ — أوضح البحث العلمى سياسة التعاون بين مختلف قطاعات العلميين المدنيين والعسـكريين فى تطوير الاسـلحة والانتاج والصيانة ، وكشف البحث عـن ظاهرة جديدة فى المجتمع المصرى وهى انه بعـد حـرب أكتوبر ١٩٧٣ هبطت معدلات هجرة العلميين الى الخـارج وبدأت ترتفع معدلات العودة للعـمل فى الوطن . وهذه ظاهرة جديدة تختلف عما حدث بعـد حـرب ١٩٦٧ .

٤ — كشفت البحوث الطبية عن أهمية دور الاطباء العسكريين فى فتـرة الحـرب ومـا بعدها ، والاسهام المشترك بين الاطباء العسـكريين والمدنيين فى مواجهة اصابات الحـرب بالعلاج وبالخدمات الطبية المنوعة ، ومن الامثلة نقل كميـات كبيرة من الدم الى ميدان المعركة ، وتقديم خدمات طبية سريعة الامر الذى أدى الى نقص ملحوظ فى الوفيات وعمليات البتر عن المعدلات العالمية .

ومن مجموع هذه الابحاث ثبت أن التعـاون والتخطيط وكفـاءة الآداء كانت سمة العمـل فى مجـال العمـل الهنـدسى والطبى خـلال حـرب اكتوبر ١٩٧٣ .

خـاتمة التقـرير الختـامى للنـدوة

ونتيجـة لهـذه الحـرب اسـتعادت مصر والأمة العـربية شرفهـا وكرامتها وعبر المجتمع المصرى والعربى فترة الظلام الى فجـر العزة والقوة وخرجت مصر من هـذه الحـرب وقد استعادت ثقتهـا فى نفسها وفى حاضرهـا ومستقبلها كمـا اسـتعاد الانسـان العـربى فى كل مكان فى العـالم العربى احترامه لنفسه واحترام العـالم لـه .

الباب السادس

الملاحق

الملحق «أ»

كشـف
باعداد المشتركين فى الندوة
مقسم حسب الدول

م	الدوله	المشتركون	المرافقون	ملاحظات
١	الولايات المتحدة الامريكية	٢٨	٣	
٢	كنـــدا	٣	–	
٣	فرنســا	١٥	٤	
٤	المملكة المتحدة	٧	١	
٥	اليابان	٢	–	
٦	لبنـــان	١	–	
٧	المانيا الاتحادية	٣	–	
٨	النمســا	٣	–	
٩	هولنــدا	٤	٣	
١٠	الدنمـــارك	١	–	
١١	أسبانيا	٣	–	
١٢	ايطاليا	١٢	٥	
١٣	بلجيكا	١	–	
١٤	يوغوسلافيا	٦	–	
١٥	المغــرب	٢	–	
١٦	الأردن	٣	–	
١٧	كينيا	٢	–	
١٨	تونس	٧	١	
١٩	اليمن الجنوبية	٣	–	
٢٠	غانا	٣	–	
٢١	الحبشة	٣	–	
٢٢	تنزانيا	١	–	
٢٣	داهومى	١	–	
٢٤	الهنــد	٥	–	
٢٥	الباكستان	٢	–	
٢٦	ايران	٥	١	ابنة احد المشتركين

تابع الملحق «أ»

م	الدولة	المشتركون	المراقبون	الملاحظات
٢٧	تايلاند	١	–	
٢٨	اليونان	٢	٢	
٢٩	المملكة العربية السعودية	٣	–	
٣٠	الجزائر	٢	–	
٣١	الكويت	٤	–	
٣٢	اتحاد الامارات العربية	٢	–	
٣٣	استراليا	١	–	
٣٤	تركيا	١	١	
٣٥	السودان	٦	–	
٣٦	السويد	٣	–	
٣٧	اليمن الشمالية	٣	–	
٣٨	السنغال	٢	–	
٣٩	أوغندا	٢	–	
٤٠	قطر	١	–	
٤١	البحرين	١	–	
٤٢	الفلبين	٢	–	
٤٣	جابون	١	–	
٤٤	ليبريا	١	–	
٤٥	بوروندى	١	–	
٤٦	الصومال	١	–	
٤٧	رومانيا	٢	–	
٤٨	افغانستان	٤	١	
٤٩	زائير	٢	–	
٥٠	نيجيريا	١	–	
٥١	مصر	١٠	–	مدعوين من خمس دول أجنبية
	الاجمالى	١٨٥	٢٢	٢٠٧

الملحق «ب»

كشـــف

بأسـماء المدعـوين لنـدوة اكتـوبر

١٨٥ مدعو + ٢١ سيدة + كـريمةاحـد المشتركين = ٢٠٧

مسلسل	إسم الدولة	عام	خاص	الإسم	زوجات أو مرافقون
١	٢	٣	٤	٥	٦
١	الولايات المتحدة	١	١	كولونيل ت.ن ديبوى	١
	٢٨ مشترك	٢	٢	د. روبرت برانجر	
		٣	٣	مالكلوم كير	
		٤	٤	آلان روس تيلور	
		٥	٥	مورتون كوندراك	
		٦	٦	نورمان ف.ديس	
		٧	٧	دون بيرتز	
		٨	٨	ويليام توماس ماليسون	١
		٩	٩	د . ديل ر . تاهتنين	
		١٠	١٠	رايموند أ . بيت	١
		١١	١١	جلبرت وارن ناتر	
		١٢	١٢	برنارد رايش	
		١٣	١٣	دين براون	
		١٤	١٤	هارى هـ. فابيان	
		١٥	١٥	كولونيل جيمس ف . دينويدى	
		١٦	١٦	ريتشارد هـ. أولمان	
		١٧	١٧	ايرل س . رافينال	
		١٨	١٨	مانفريد هالبيرن	
		١٩	١٩	ويليام ب. كاندت	
		٢٠	٢٠	السيدة / جانيس فين	
		٢١	٢١	توماس ر. ستوفر	
		٢٢	٢٢	دافيد ا. لونج	
		٢٣	٢٣	ولیام ا . جريفيث	

١	٢	٣	٤	٥	٦
		٢٤	٢٤	مايكل كريج هدسون	
		٢٥	٢٥	ويليام د . دافيدسون	
		٢٦	٢٦	جيوفرى توماس جود سيل	
	هندى الجنسية	٢٧	٢٧	ميجورجنرال/اندارجيت ريكى	
		٢٨	٢٨	دافيدج . نيس	
٢	كنـــدا	٢٩	١	بو س. نوبل	
		٣٠	٢	جون هـ. زيجلر	
	٣ مشـــترك	٣١	٣	تشـارلز ج . ادامز	
٣	فرنســـا	٣٢	١	السيدة / جوزيت اليا	
		٣٣	٢	جاك جوبار	
	١٥ مشـــترك	٣٤	٣	بيير روندو	
		٣٥	٤	جورج بوى	
		٣٦	٥	البرت ميرجلين	
		٣٧	٦	أوفروى فروكيكا	١
		٣٨	٧	ميشيل شاتيليف	١
		٣٩	٨	جيرار شاليان	١
		٤٠	٩	د.جين مارى شيفاليه	
		٤١	١٠	فيلى اردان	
		٤٢	١١	جلوليف بريتون	١
		٤٣	١٢	بيير جيلبرت تاكسبير	
		٤٤	١٣	بيير سالنجر	
	أمريكـى	٤٥	١٤	ميشيل تاتو	
		٤٦	١٥	د . جاك بيرك	
٤	المملكـة المتحدة	٤٧	١	هنرى سيمور ستانهوب	
	٧ مشترك	٤٨	٢	بريجادير كينيث هانت	
		٤٩	٣	جنرال / أنتونى فارار هوكلى	
		٥٠	٤	بنـــايوتى جـــيرا سيمـــوس فاتيكيوتس	

١	٢	٣	٤	٥	٦
		٥١	٥	ادجار أوبالانس	١
		٥٢	٦	بيتر مانسفيلد	
		٥٣	٧	دافيد فيرهول	
٥	اليابان	٥٤	١	شيزوماكاى	
	٢ مشترك	٥٥	٢	بوزواتاجاكى	
٦	لبنان ١ مشترك	٥٦	١	عميد / فوزى ابراهيم الخطيب	
٧	المانيا الاتحادية	٥٧	١	أريك هلمندورفر	
	٣ مشترك	٥٨	٢	د. ويليام فردريك فوس	
		٥٩	٣	د . كنيث ليفان	
٨	النمسا	٦٠	١	كونراد جينثر	
	٣ مشترك	٦١	٢	بيتر جيرلتش	
		٦٢	٣	د . ليوبولد استرلى	
٩	هولندا	٦٣	١	د . فيرهاجن	
	٤ مشترك	٦٤	٢	ب.ج تنيسين	١
		٦٥	٣	جان بييكمانز	١
		٦٦	٤	بيتر باير	١
١٠	الدانمرك ١ مشترك	٦٧	١	ايرلنج بجول أرهوس	
١١	اسبانيا	٦٨	١	روبرتو ميسا	
	٣ مشترك	٦٩	٢	الفونسو لاتورى دى فيليز	
		٧٠	٣	جوميز تيللو	

١	٢	٣	٤	٥	٦
١٢	ايطاليا ١٢ مشترك	٧١	١	السيدة / بياتريس زينو زنكوفيتش	
		٧٢	٢	ماريو البرتو كوبينى	
		٧٣	٣	رومولو سيشرو	
		٧٤	٤	جاكو فيللو البرتو	
		٧٥	٥	جوزانو فرانشسكو	
		٧٦	٦	ارتفرو بيللرينى	
		٧٧	٧	باولو مسيشيا	١
		٧٨	٨	مونتفوستشى مافريزيو	
		٧٩	٩	بيجونوى كورادو	١
		٨٠	١٠	فاكارو جوزيبى	١
		٨١	١١	جان جينالدو	١
		٨٢	١٢	بورينتوب	١
١٣	بلجيكا ١ مشترك	٨٣	١	فان باليير أربان	
١٤	يوغوسلافيا ٦ مشترك	٨٤	١	برانكو بريبيس فيك	
		٨٥	٢	ميلان ساهوفيى	
		٨٦	٣	ميلنفوفيك مليوتين	
		٨٧	٤	فاكوزى ستيبور	
		٨٨	٥	جنرال اليا راداكوفيتش	
		٨٩	٦	دوسان سيميك	
١٥	المغرب ٢ مشترك	٩٠	١	د . المهدى بن عبسود	
		٩١	٢	د . عبدالهادى التازى	
١٦	الاردن ٣ مشترك	٩٢	١	د . كامل صالح أبوجابر	
		٩٣	٢	ابراهيم على سكجها	
		٩٤	٣	لواء/يوسف أحمد نايف كعوش	

١	٢	٣	٤	٥	٦
١٧	تونس	٩٥	١	محمد على حسنى	
	٧ مشترك	٩٦	٢	فريق أ / السوسى محمد الحبيب	
		٩٧	٣	عبدالقادر المهيرى	
		٩٨	٥	د . البشير التليلى	
		٩٩	٦	عبداللطيف الفرائى	
		١٠٠	٧	الشاذلى بن عبدالسلام	
		١٠١		محمد الهادى الغالى	
١٨	اليمن الجنوبية	٠٢	١	عبدالواحد غالب حيدر	
	٣ مشترك	١٠٣	٢	شايف عبده سعيد	
		١٠٤	٣	رائد / أحمد صالح حاجب	
١٩	كينيا	١٠٥	١	د . احمد سالم	
	٢ مشترك	١٠٦	٢	مودى داى مودى	١
٢٠	غانا	٠٧	١	جون ارهنفول مينياه	
	٣ مشترك	١٠١	٢	ياومانى	
		١٠٩	٣	د . جوزيف أوابيساه	
٢١	الحبشة	١١٠	١	دانييل جاما شو	
	٣ مشترك	١١١	٢	د . نيجومى ايللى	
		١١٢	٣	كولونيل هايل جورجيوس هابت ماريام	
٢٢	تنزانيا ١ مشترك	١١٣	١	أحمد رشاد على	
٢٣	داهيومى ١ مشترك	١١٤	١	كارال أمانويل	

١	٢	٣	٤	٥	٦
٢٤	الهند ٥ مشترك	١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩	١ ٣ ٣ ٤ ٥	بروفيسور / رانجنات شارى محمد شافى أجوانى كولونيل / نارايان د . موروندر بوتانى كريشنا سوبهامانيان	
٢٥	باكستان ٢ مشترك	١٢٠ ١٢١	١ ٢	سعيد الدين أحمد دار محمد احسن شودرى	
٢٦	ايران ٥ مشترك	١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦	١ ٢ ٣ ٤ ٥	أحمد فوريشى على محمد خاجنورى نوشرقان كيهانى زاداه د . أسعد نظامى د . محمد سعيد	 ١
٢٧	تايلاند ١ مشترك	١٢٧	١	د . كرامول تونجد هاماشار	
٢٨	اليونان ٢ مشترك	١٢٨ ١٢٩	١ ٢	بروفيسور فلاشوس جيورجس كارا جيورجس ديونيسيوس	١ ١
٢٩	المملكة العربية السعودية ٣ مشترك	١٣٠ ١٣١ ١٣٢	١ ٢ ٣	د . أحمد ا الصباب عبدالله على الماجد د . على عبد الله الغامدى	
٣٠	الجزائر ٢ مشترك	١٣٣ ١٣٤	١ ٢	حسن فضيل حسن محسن بن عمرو السفير / نورالدين الجودى	
٣١	الكويت ٤ مشترك	١٣٥	١	محمد مساعد الصالح	

١	٢	٣	٤	٥	٦
		١٣٦	٢	د . محمد غانم الرميحى	
		١٣٧	٣	د . بدرية عبد الله العوضى	
		١٣٨	٤	د . عبداللطيف الدعمج	
٣٢	اتحاد الامارات العربية ٢ مشترك	١٣٩	١	محمد صالح اسماعيل	
		١٤٠	٢	نقيب / خادم مبارك الهامى	
٣٣	استراليا ١ مشترك	١٤١	١	ستيفن روزن	
٣٤	تركيا ١ مشترك	١٤٢	١	جوزى أرجور	١
٣٥	السودان ٦ مشتـــرك	١٤٣	١	عميد / عبدالماجد حامد	
		١٤٤	٢	د . كرم الله أحمد كرم‌الله	
		١٤٥	٣	د . عمر الامين محمد حسن	
		٤٦	٤	نورالدين مدنى أبوالحسن	
		١٤٧	٥	ابراهيم القيوم	
		١٤٨	٦	د . محمد عبدالغنى	
٣٦	السويد ٣ مشترك	١٤٩	١	فريق / ستيج لوفجرين	
		١٥٠	٢	ليونارت لينج	
		١٥١	٣	د . اكى أوسكار سبارنج	
٣٧	اليمن الشمالية ٣ مشترك	١٥٢	١	حسين هادى جباره	
		١٥٣	٢	حسين محمد الصافى	
		١٥٤	٣	رائد / على على الانس	
٣٨	السنغال ٢ مشترك	١٥٥	١	نادو على	
		١٥٦	٢	راسين ساى	

١	٢	٣	٤	٥	٦
٣٩	اوغندا ٢ مشترك	١٥٧ ١٥٨	١ ٢	جنجيرا ابنيوا أسالوك واجو	
٤٠	قطر ١ مشترك	١٥٩	١	على بن حمد سلطان آل ثان	
٤١	البحرين ١ مشترك	١٦٠	١	رائد/عبدالله سليمان آل‌خليفه	
٤٢	الفلبين ٢ مشترك	١٦١ ١٦٢	١ ٢	ايفا مينيرفا دوكافنتورا جوان ر. فرانسيسكو	
٤٣	جـــابون ١ مشترك	١٦٣	١	امبوروا آفارو	
٤٤	ليبيريـــا ١ مشترك	١٦٤	١	توماس ب. كين	
٤٥	بو روندى ١ مشترك	١٦٥	١	باندبرا بونافنتور	
٤٦	الصومال ١ مشترك	١٦٦	١	نقيب / عبدالقادر عمر	
٤٧	روما نيـــا ٢ مشترك	١٦٧ ١٦٨	١ ٢	ميجور جنرال / نيكولاى كوكو كولونيل / كيرنات ساندوافليان	
٤٨	افغانستان ٤ مشترك	١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢	١ ٢ ٣ ٤	محمد كبير عبدالمجيد صبيا محمد شفيق وجدان عطا مراد الماك	١
٤٩	زائيـــــر ٢ مشترك	١١٣	١	كابوتو سامبا	

١	٢	٣	٤	٥	٦
		١١٤	٢	كابى موتوزا	
٥٠	نيجيريا ١ مشترك	١٧٥	١	د . س . ج نولوتشنجو	
٥١	مصر ١٠ مشترك	١٧٦	١	د . محمد ممدوح أحمد البلتاجى	
		١٧٧	٢	د . أنور سكندر عبدالملك	
		١١٨	٣	مختار عبد المنعم خطاب	
		١٧٩	٤	د . على السمان	
		٨٠	٥	د . عفاف لطفى السيد	
		١٨١	٦	د . نازلى شكرى	
		١٨٢	٧	جورج ميشيل أبو صعب	
		١٨٣	٨	د . عبدالشافى غنيم عبدالقادر	
		١٨٤	٩	د . جابر عبدالحميد جابر	
		١٨٥	١٠	د . جلال ثروت	

تم طبع هـــذه الندوة فى يـــوم الخميس ٣ مـــن رجب سنـــة ١٣٩٦ هـ (المـــوافق أول يولية سنـــة ١٩٧٦ م) بادارة المطبوعـــات والنشر للقـــوات المســـلحة

لـــواء
احمد على محمد عـــامر
مدير ادارة المطبوعات والنشر
للقوات المسلحة

(ادارة المطبوعات والنشر ٩٤٥/٧٦/١٠٠٠٠)

Bibliotheca Alexandrina
0416639